International Islamic University
Islamabad - Pakistan
Faculty of Ushuluddin
Department of Tafseer and
Qur'anic Science

الجامعة الإسلامية العالمية
بإسلام آباد باكستان
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

" سـنـه الله في نصـر المـؤمنين "

(دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم)

(بحث مقدم للحصول على درجة إيم فل M.Phil في التفسير وعلوم القرآن)

إعداد الطالب:

أحمد مصدوقي بن أبي علي الأندونيسي

رقم التسجيل : 121/FU-M.Phil/2008

إشراف:

الدكتور محمد الطنطاوي جبريل

أستاذ مشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين

بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ـ باكستان.

العام الجامعي: 1431هـ / 2010م

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي خلق كل شيء وقدّره تقديرا ، والصلاة والسلام على خير الأنام خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ؛

فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [1]. وقد قال رسولنا ρ : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) [2]. ومن هذه الآية والرواية أودّ أن أوجه شكري العام لجميع الأئمة والعلماء الذين ألفوا أمهات الكتب وبينوا فيها مراد الله تعالى بقدر طاقتهم البشرية، وميزوا الدخيل من الأصيل، فقد استفدت من علومهم كثيرا ، كما أوجه شكري للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد باكستان رئيسا وعميدا وإداريين على ما يقدمون لطلاب المسلمين من خدمة وعناية ، وعسى الله أن يتقبل منهم خالص أعمالهم .

وأخصّ شكري وتقديري **لفضيلة الأستاذ الكريم الدكتور محمد الطنطاوي جبريل** ـ حفظه الله ورعاه ـ المشرف على هذا البحث، فقد كان نِعم المشرف علماً وخلقاً ونصحاً، وتعاوناً وتكارماً وتواضعاً. وقد استفدت منه كثيرا في المسائل العلمية وغيرها ، وأسأل الله أن يتقبل منه صالح أعماله ويجزيه عني خير الجزاء. كما أوجه شكري الخاص لوالدي الكريمين وأخي الكبير **محمد إكليل** الذين قدموا لي خدمة ونصيحة أثناء دراستي بهذه الجامعة ، وعسى الله أن يتقبل منهم خير أعمالهم ويجزيهم خيرا الجزاء .

وأشكر أيضا أساتذتي الأفاضل الذين علّموني كل الخير خلال دراستي في هذه الجامعة ، وقد قاموا بخدمة العلم والدين خير خدمة ، فجزاهم الله خير الجزاء.

---

(1) سورة إبراهيم (الآية: 7) .

(2) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البرّ والصلة باب "الشكر لمن أحسن إليك" حديث رقم: 1955 (339/4). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح لغيره . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت تحقيق أحمد محمد شاكر (دون سنة

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

كما أوجه ذلك للجنة التي قامت بتنظيم **المكتبة الشاملة** وقدمتها للباحثين في العلوم الشرعية، وقد بذلت جهودهم وطاقتهم واستحقوا الشكر والتقدير، فقد استفدت كثيرا منها خلال إنجاز هذا البحث البسيط، فعسى الله أن يتقبل منهم خير أعمالهم، ويجعلها في ميزان أعمالهم .

ولا يفوتني أن أقدم شكري لإخوتي الأندونيسيين الذين ساعدوني خلال دراستي في هذه الجامعة، فعسى الله أن يوافقهم، ويتقبل منهم جهودهم، ويردهم إلى بلادهم لخدمة الدين وإصلاح الأمة...! . وصلى الله على نبينا الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إسلام آباد: 28 مايو 2010م .

أحمد مصدوقي بن أبي علي الأندونيسي

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الإهداء

أهدى هذه الرسالة إلى والديّ الكريمين، اللذَين رعياني وربياني صغيرا

أمي وأبي

وإلى أبناء هذه الأمة عموما

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

- التعريف بالموضوع
- أسباب اختياري له
- أهمية دراسة الموضوع
- مشكلة البحث
- الدراسة السابقة في الموضوع
- منهجي في البحث
- خطة البحث

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الحمد لله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء الذي لا نبيا بعده. وبعد .....

فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [1]. إن هذه الآية تثبت أن وعد الله سبحانه في نصر عباده المؤمنين حق، يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، بل أنه سبحانه جعل سنته في نصرهم لأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

❖ **التعريف بالموضوع:**

هذا الموضوع له أهمية كبرى حيث يبين للمؤمنين بأن النصر على الأعداء الذي يتمنّونه اليوم لا يسقط من السماء ولا يقع صدفة وإنما يقع ويحدث وفق قانون عام، دقيق ثابت، صارم لا يخرج عن أحكام الله شيئا، أي بأن المؤمنين الذين ينصرون دين الله ورسوله فالله سينصرهم على عدوّهم ويفتح لهم ويثبّت أقدامهم. وبالاختصار فإن الموضوع يفسّر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [2].

وبالتالي فالموضوع يبين للمؤمنين عوامل النصر الواجب على المؤمنين تحصيلها ومعوّقات النصر الواجب عليهم إبعادها عن أنفسهم وجمعهم.

❖ **أسباب اختياري له:**

1. الرغبة في دراسة التفسير وعلوم القرآن، والتفسير الموضوعي خاصة، لأجل ذلك أودّ التعمق في إخراج العلوم والحكم من الآيات المتعلقة بنصر الله للمؤمنين .
2. إنّ وضع العالم الإسلامي اليوم يحتاج إلى إيقاظ المسلمين من رقودهم لينفروا إلى ميادين الدعوة والجهاد لنصر دينهم، فبهذا البحث البسيط أريد إيقاد النار الصغيرة حتى تشتعل وتبدد الشكّ والخوف من نفوس المؤمنين.
3. بهذا الموضوع أريد أن أظهر بأن نصر الله قريب.

---

(1) سورة غافر (الآية 51).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

❖ **أهمية دراسة الموضوع:**

وسنن الله تعالى التي بينها الله في القرآن الكريم أو بيّنها الرسول ρ جديرة بالدراسة والفهم، بل إن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جدا والواجبة ديانة، لأن معرفتها معرفة لبعض الدين قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [1]. منها ما يتعلق بأمور الدين أي بيانا بليغا لكل شيئ يتعلق بذلك، ومن جملته سنة الله في نصر المؤمنين في كل وقت.

وإن معرفة سنن الله في نصر المؤمنين جزء من معرفة الدين أو معرفة لجزء من الدين، وأن هذه المعرفة ضرورية. ومن الواجبات الدينية لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة عموما، وبكيفية نصر هذا الدين والحصول على النصرة من عند الله سبحانه فإنه لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وبذلك لا نقع في الخطأ والغرور والأماني الكاذبة، وننجو ممّا حذّر الله منه، ونظفر بما وعد الله به عباده المؤمنين المتقين كما وعده في كتابه العزيز .

❖ **مشكلة البحث**

إن موضوع سنة الله في نصر المؤمنين موضوع شامل حيث وجدناه في كتب مختلفة أعني؛ القرآن والسنة الشريفة، وأقوال الصحابة وكتب السيرة. لكنني أودّ بهذا البحث أن أنظر الموضوع بالمنظار القرآني وأبحث عن المعلومات والتفاصيل الخاصة به في ضوء ما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [2]. فيتكون الموضوع في ضوء تلك الآيات التي تلقي الضوء عليه، ومما لا أشكّ فيه أنني سأستعين بالمراجع الأخرى في الموضوع كذلك ولكن من باب التفاصيل الجزئية والاستشهاد .

❖ **الدراسة السابقة في الموضوع**

---

(1) ..... (ص 89).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

لم أجد كتابا أو رسالة عن هذا الموضوع "**سنّة الله في نصر المؤمنين**" (دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم) بحثا تاما مستقلا، إلا بعض المقالات وهي كما تلي:

1. كتاب "السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية" مؤلف هذا الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور عبد الكريم زيدان. نشرته مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1993 . وكان هذا الكتاب دراسة في الشريعة الإسلامية، وتقوم هذه الدراسات على المبادئ والنظريات العامة في الشريعة، ولم يستوعب الكتاب جانب سنة الله في نصر المؤمنين كاملا، حيث إن المؤلف لم يبيّن بيانا وافيا إلا في بضع صفحات القليلة.
2. كتاب "سنّة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم" مؤلف هذا الكتاب عبد السلام بن نصر الله الشريف، نشرته مؤسسة دار المعارج الدولية رياض 1994. وكان الكتاب يبحث عن السبب والمسببات في عقاب الأمم السابقة.

❖ **منهجي في البحث:**

رغبة في إنجاز هذا البحث العلمى ولأجل التعمق فى الفهم حتى أحصل في البحث على النتائج المرجوة ولكي يكون هذا البحث بحثا علميا موضوعيا، سلكت المنهج الموضوعي وفق **الخطوات التالية**:

1. الاعتماد على أمهات كتب التفسير في بيان المعنى المراد من الآيات، وما ذكره الصحابة والسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، بالإضافة إلى الرجوع إلى كتب التفسير الحديثة كتفسير المنار، وتفسير الشعراوي وغيرهما من التفاسير.
2. الاستشهاد بما ورد من أحاديث صحيحة، وقد أستشهد بحديث ضعيف في حلّ اللغة إن ألجأتني الضرورة.
3. الاستشهاد بما ورد من كتب التاريخ والقصص.
4. القيام بعزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها. والاعتماد على الرسم العثماني في كتابة الآيات.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

5. عند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة أذكر بيانات تفصيلية عن الطبعة ودار النشر، ومكان الطبع وزمانه، وعند إعادة ذكر المصدر أو المرجع أكتفي بذكر إسم الكتاب أو ما اشتهر به والجزء والصفحة.
6. ذكر تراجم الأعلام مختصرا ماعدا الأعلام المعروفين المشهورين في الأوساط العلمية.

❖ **خطة البحث:**

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

أما **المقدمة** فقد تحدثت فيها عن تعريف الموضوع، وأسباب اختياري له، وأهمية دراسته، ومشكلة البحث، والدراسة السابقة فيه، ومنهجي في البحث .

وأما **التمهيد** فقد تحدثت فيه عن التعريف بسنة الله سبحانه، والتعريف بالنصر، ووعد الله بالنصر الذي ورد في القرآن الكريم، ثم حال المسلمين الآن .

وأما الفصول الثلاثة فهي كالتالي:

الفصل الأول: [عوامل النصر و معوّقاته و أمثلة لذلك] . ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عوامل النصر (أسباب تحقيق النصر)، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: من عوامل النصر "الإيمان"

المطب الثاني: من عوامل النصر "تقوى الله"

المطلب الثالث: من عوامل النصر "نصرة الدين"

المطلب الرابع: من عوامل النصر "الجهاد وإعداد القوّة"

المطلب الخامس: من عوامل النصر "الصبر والمصابرة و المرابطة"

المطلب السادس: من عوامل النصر "ذكر الله"

المطلب السابع: من عوامل النصر "الأخذ بالحذر"

المطلب الثامن: من عوامل النصر "تأليف القلوب".

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الثاني: معوّقات النصر (أسباب تأخر النصر)، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: من معوّقات النصر "التنازع والاختلاف"

المطلب الثاني: من معوّقات النصر "البطر والرياء"

المبحث الثالث: من الأمثلة في هذا المجال، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تغيّر النصر في أحد

المطب الثاني: التفرق أول الأمر في حنين

الفصل الثاني: [نصر الله ـ عزّ وجلّ ـ أنبياءه]، ويشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث:

التمهيد

المبحث الأول: نصر الله نوحا ـ عليه السلام ـ .

المبحث الثاني: نصر الله هودا ـ عليه السلام ـ .

المبحث الثالث: نصر الله صالحا ـ عليه السلام ـ .

المبحث الرابع: نصر الله لوطا ـ عليه السلام ـ .

المبحث الخامس: نصر الله موسى ـ عليه السلام ـ .

المبحث السادس: نصر الله داودا ـ عليه السلام ـ .

المبحث السابع: نصر الله عيسى ـ عليه السلام ـ .

الفصل الثالث: [أمثلة لنصر الله رسوله والمؤمنين]، ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: [النصر على المشركين]، وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: في الهجرة إلى المدينة .

المطلب الثاني: في غزوة بدر .

المطلب الثالث: في غزوة أحد.

المطلب الرابع: في غزوة الخندق .

المطلب الخامس: في إتفاق الحديبية.

المطلب السادس: في غزوة فتح مكة.

المطلب السابع : في واقعة يوم حنين .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الثاني: [النصر على غير المشركين]، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النصر على اليهود بني النضير و بني قريظة .

المطلب الثاني: في غزوة خيبر .

المطلب الثالث: في غزوة تبوك .

أماالخاتمة ففيها بيان أهم نتائج البحث.

ثم نهاية هذ البحث بفهارس.

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس قائمة المصادر والمراجع.
- فهرس الأعلام والمترجم لهم .
- فهرس موضوعات الرسالة.

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

- التعريف بسنة الله
- التعريف بالنصر
- وعد الله بالنصر
- حال المسلمين الآن

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

قبيل الشروع في هذا البحث لا بد من توضيح وتحديد معاني الألفاظ الواردة في عنوان البحث، ليسهل على القارئ متابعة فصول هذا البحث، والذي يلزمني بيانه في هذا الشأن هو معنى كل من: السنة و النصر، وبالتالي بيان وعد الله بالنصر للمؤمنين و حال المسلمين اليوم.

❖ **التعريف بسنة الله:**

السنة في اللغة تعني السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال خالد بن زهير الهذلي[1]:

"فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها ❖ فأوّل راض سنة من يسيرها"

وفي التنزيل ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾[2] قال الزجاج: سنة الأولين أنهم عاينوا العذاب[3].

والسنة: الطريقة، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[4].

وقال الفيروزآبادي[5] في معنى (السنة):"الأَصل فيها الطريقة والسيرة، ومنه قوله ρ : "مَنْ سَنَّ سُنَّة حَسَنَة"[6] أَى طَرَّق طريقة حَسَنَة. وإِذا أُطلقت في الشرع فإِنما يراد بها ما أَمر النبى ρ به أَو نهى عنه أَو نَدَبَ إِليه، قولا وفعلا، ممّا لم ينطق به الكلامُ العزيز"[7].

---

(1) خالد بن زهير بن محرث الهذلي بن أخت أبي ذؤيب الشاعر المشهور قدم أبو ذؤيب على النبي صلى الله عليه و سلم مسلما فدخل المدينة حين مات النبي صلى الله عليه و سلم قبل أن يدفن وكان خالد بن عم أبي ذؤيب قال بن الكلبي وسمي جده محرثا وكان هو الذي ربي خالدا.(انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (297/2) دار الكتب العربية بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م).

(2) سورة الكهف (الآية:55)

(3) انظر لسان العرب لابن منظور الأفريقي المصري (ج:13/ 220) طبعة دار صادر- بيروت الطبعة الأولى سنة1410هـ /1990م

(4) سورة الأحزاب (الآية:62).

(5) الفيروزآبادي (729 - 817 هـ) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والادب.ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز.وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد (سنة 796 هـ)فأكرمه ملكها الاشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها.وانتشر اسمه في الافاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد.أشهر كتبه القاموس المحيط أربعة أجزاء. (الأعلام لخير الدين الزركلي : 146/7 ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان، الطبعة السادسة عشرة) .

(6) أخرجه ابن ماجه في سننه باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة حديث رقم:203 (31/1) دارالسلام - الرياض الطبعة الأولى 1420هـ .

(7) يز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (267/3- 268)تحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية بيروت -

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وقال الإمام الرازي[1] في تفسيره: "والسنة: الطريقة المستقيمة والمثال المتبع" [2].

مما سبق لاحظنا أن هذه الكلمة يدور معناها على معنى "الطريقة المتبعة" فأختار مما قاله الدكتور عبد الكريم زيدان فيكون المعنى المقصود من (سنة الله) هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة [3].

❖ التعريف بالنصر

النصر لغة من كلمة نصر ـ ينصر ـ نصرا ، بمعنى: أعانه على دفع ضدّه أو ردّ عدوّه[4]. والنصر: إعانة المظلوم، كما ورد في الحديث "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"[5] ، وتفسيره أن يمنعه من الظلم إن وجده ظالما ، وإن كان مظلوما أعانه على ظالمه. والنصرة: حسن المعونة ، قال الله عزّ وجلّ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [6] أي من ظنّ من الكفار الكفار أن الله لا يظهر محمداρعلى من خالفه فليختنق غيظا حتى يموت كمدا ، فإن الله عزّ وجلّ يظهره ولا ينفعه غيظه وموته حنقا [7].

---

(1) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الشافعي المفسر المتكلم ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة واشتغل على والده وكان من تلامذة محيي السنة البغوي قال ابن خلكان فيه : فريد عصره ونسيج وحده شهرته تغني عن إستقصاء فضائله وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة وله التفسير الكبير و المحصول في أصول الفقه و شرح الأسماء الحسنى....(انظر طبقات المفسرين للسيوطي (100/1) مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى 1396هـ .).

(2) تفسير الرازي لفخر الدين الرازي (10/9). دار إحياء التراث العربي. دون سنة الطبع.

(3) اقتبس من قول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه "السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية" (ص:13) مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة 1414هـ .

(4) انظر "المنجد" في اللغة والأعلام ، باب: "ن" (ص:812) دار المشرق بيروت طبعة جديدة منقحة الطبعة الأربعون سنة 2003م

(5) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الظالم والمظلوم باب: أعن "أخاك ظالما أو مظلوما" حديث رقم:2443. 2444 (430/1) دار إحياء التراث العربي (طبعة جديدة مصححة ومنقحة) بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422هـ . أخرجه ابن حبّان في صحيحه بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ـ كتاب الغصب باب: "ذكر الأمر بردّ الظالم عن ظلمه ونصرة المظلوم" حديث رقم 5166 (570/11) مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية 1412هـ تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

(6) [illegible] (الآية:15).

(7) [illegible] (210/5).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ويقول الفيروزآبادي: "نصره على عدوه ينصره نصرا: أعانه. والاسم النصر، ونصرة الله لنا ظاهرة ونصرتنا لله هي النصرة لعباده، أو القيام بحفظ حدوده ورعاية عهوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾"[1].

فالمقصود بسنة الله في نصر المؤمنين هي طريقه سبحانه وتعالى وعاداته السالفة في نصر عباده المؤمنين على أعدائهم بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة.

❖ وعد الله بالنصر

إن سنة الله في نصر المؤمنين لا تتخلف أبدا لأنها إخبار من الله تعالى ووعده، وهو أصدق القائلين، وأذكر فيما يلي بعض النصوص من القرآن الكريم الدّالة على ما أقوله:

1. قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾[2] وجاء في تفسير الآية: "﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُ ﴾ يعني طريقة الله وعاداته السالفة نصر أوليائه على أعدائه"[3].

وقال ابن كثير[4] في تفسيرالآية: "أي هذه سنّة الله تعالى وعادته في خلقه: ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل كما فعل الله تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعُددهم وكثرة المشركين وعددهم[5].

---

(1) انظر بصائر ذوي التمييز (69/5). الآية من سورة محمد رقم:7 .

(2) سورة الفتح (الآية:22 23).

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 671هـ (287/16) ـ مؤسسة مناهل العرفان بيروت ـ لبنان أو مكتبة الغزالي دمشق، الطبعة الثانية دون سنة الطبع.

(4) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدين ابن الخطيب شهاب الدين وكنيته أبو الفداء. قال الذهبي إمام محدث مفت بارع (انظر طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي (260/1) مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة الطبعة الأولى 1997. حققه سليمان بن صالح الخزري).

(5) الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى 774هـ (194/4) دار عالم الكتب (مؤسسة الطبعة الخامسة 1416هـ .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

2. قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] وجاء في تفسير الآية : "﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾"[2].

3. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[3] ويقول الزمخشري[4] في تفسير هذه الآيات:"الكلمة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدّة، لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكمة كلمة مفردة. وقرئ: "كلماتنا" والمراد الموعد بعلوهم على عدوّهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة. ولا يلزم من انهزامهم في بعض المشاهد أن يكون نقضا للغلبة وللنصر، وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة، وكفى بمشاهد رسول الله ρوالخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها"[5].

4. قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[6] وجاء في تفسير تفسير الآية: " أي قد حكم الله وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدّل بأن النصر له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة" [7].

---

(1) سورة الأنعام (الآية:34).

(2) تفسير ابن كثير (2/123ـ124).

(3) سورة الصافات (الآية:171ـ 173).

(4) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الحوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زمانا ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر قرية من قرى خوارم وقدم بغداد وسمع من أبي الخطاب بن البطر وغيره. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (104/1).

(5) تفسير الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى 538هـ (69/4) طبعة جديدة حققها وخرّج أحاديثها وعلق عليها على نسخة خطية عبد الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى 1417هـ بيروت لبنان.

(6) [illegible] (الآية:21).

(3)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

5. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[1] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقرّ أعينهم ممن آذاهم. وقال السديّ[2]: "لم يبعث الله عز وجل رسولا قط إلى قوم فيقتلونه، أو قوما من المؤمنين يدعون إلى الحقّ فيقتلونهم فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا، قال السديّ: فكان الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها" [3]. ومعنى ذلك أن المؤمنين وهم أهل الحق هم المنصورون وإن قتلهم أهل الباطل وانتصروا عليهم في الظاهر إلا أن العاقبة والغلبة للمؤمنين ولو بعد حين، حيث يأتي من يعاقب المبطلين ويقتلهم جزاء ما فعلوه بأهل الحق، وهذا علامة على اندحار أهل الباطل وغلبة أهل الحق عليهم [4].

بل إن الآية تنصّ بوعد الله سبحانه بأنه سوف يغلّب المؤمنين على عدوهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحيان امتحانا من الله تعالى فالعاقبة لهم[5]. وقال الألوسي[6] ـ رحمه الله ـ: "إننا ننصر رسلنا وأتباعهم في الحياة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة، ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق للكفرة من صورة الغلبة امتحانا إذ العبرة إنما هي بالعواقب وغالب الأمر" [7].

6. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ويقول الألوسي في تفسير الآية: "فيها مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم، وإشعار بأن الانتقام لأجلهم، والمراد بهم ما يشمل الرسول عليه الصلاة

---

(1) سورة غافر (الآية:51).

(2) هو السدي الكوفي المشهور المفسر كان عالما بالتفسير وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي (15/1) مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ الطبعة الأولى سنة 1997م تحقيق سليمان بن صالح الخزي.

(3) تفسير ابن كثير (85/4).

(4) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان (ص:50) مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 2003م .

(5) تفسير الزمخشري (176/4 178).

(6) الآلوسي الكبير (1217- 1270ه = 1802- 1854م) محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا ـ انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي (176/7).

(7) تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي فضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة 128هـ بين العرب ـ بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر (116/13) دار الفكر بيروت 1417هـ .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

والسلام. وظاهر الآية أن هذا النصر في الدنيا وأنه عام لجميع المؤمنين فيشمل من بعد الرسول من الأمة" [1].

❖ **حال المسلمين الآن:**

إن من تدبر أحوال المسلمين في أيام مضت وأحوالهم في هذه الأيام يرى الفرق الشاسع بين الحالين، لقد كان المسلمون في الماضي أعزة منتصرين، فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، لم يستعص عليهم بلد، ولم يقف أمامهم جيش، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، ومع هذا كله فإنهم لم يتركو بلدا إلا فتحوها، كانوا يخرجون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لنصرة هذا الدين، وما حققوا النصر على الأعداء ونالوا العزّة والكرامة إلا لأنهم تمسكوا بدين الله، وأعزوه في أنفسهم، وقدّموه على كل شيء، فأعزهم الله ونصرهم، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[2] كانوا متسابقين إلى الشهادة في سبيل الله، وبذل أموالهم، يتسابقون إلى المساجد وحلقات العلم والإيمان، فأعزّهم الله ونصرهم وسخّر لهم جنود السموات والأرض بقدرته.

وفي هذه الأيام انقلبت أحوال المسلمين فتبدلوا بعد العزّ ذلاّ، وبعد النصر هزيمة، يُقتلون ويُشرّدون. تلك الأندلس صارت ديارا للنصارى بعد أن كانت إحدى بلاد المسلمين، وهذه القدس أولى القبلتين وثالث المسجدين، الأرض التي بارك الله سبحانه حولها، هي اليوم تحت أيدي اليهود، يقتلون فيها المسلمين، ويخربون ديارهم، والعالم العربي خاصة والعالم الإسلامي عامة يتفرجون أذلّة صاغرين كأنهم لا حول لهم ولا قوة، غير أن المسلمين اليوم أكثر عددا ممن سبقوهم، وصدق الرسول ρ القائل:" عَنْ ثَوْبَانَ[3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ». فَقَالَ قَائِلٌ أَوَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ

---

[1] المرجع السابق (79/12).

[2] سورة محمد (الآية:7).

[3] هو ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم صحابي مشهور يقال إنه من العرب حكمي من حكم بن سعد حمير وقيل من السراه اشتراه ثم الله عليه وسلم فعتقه إلى أن مات ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة أربع وخمسين.(انظر الإصابة في تمييز قلاني (413/1) دار الجيل - بيروت. الطبعة الأولى:1412هـ حققه على محمد البجاوي.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ »[1].

ربما خطرت في أذهان شباب المسلمين اليوم: لماذا صار المسلمون إلى هذه الحالة من الذلة والصغار بعد تلك العزة والكرامة التي كانوا عليها....؟ فالجواب عنه لأننا ضيعنا أمرالله ورسوله فضيّعنا، وطلبنا العزّة من غيره فأذلّنا، قال عمر ابن الخطاب[2] ـ رضي الله عنه ـ: " إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ فَلَنْ نَلْتَمِسَ الْعِزَّ بِغَيْرِهِ"[3] فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله. والله لو تمسك المسلمون بدينهم حق التمسك لما صاروا إلى هذه الحال، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وهذا هو الذي جعل المسلمين تحت حصار الذلّ إلى اليوم، إننا لما ضيعنا أمر ربنا وأهملناه وشغلتنا الدنيا عن الانتصار له والدفاع عنه صرنا إلى هذه الحالة، لما استبدل شبابنا المساجد بالملاعب والشوارع أصابتنا الذّلة والمهانة، لما استبدلنا أشرطة القرآن وحلقات الذكر بالأغاني والجلوس أمام الشاشات والمباريات صرنا إلى هذه الحالة، لما استبدلنا الصدقة والجهاد بأكل الربا صرنا إلى هذه الحالة، وصدق الرسول ρ القائل:" « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ »[4].

وهكذا حال الأمة اليوم: غثاء مشتتين، أحبوا الدنيا وأبغضوا الجهاد في سبيل الله، فاجتمعت الأمم على قتالهم، فوالله لا عزّ لنا ولا نصر إلا بهذا الدين، فإذا تمسكنا به حق التمسك وطبعنا شرائعه في أنفسنا وفي بيوتنا وبين أبنائنا وبناتنا فسوف ننتصر على أمم الأرض كلها، وقد تكفل الله لنا بذلك في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾[5].

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم:4299، باب في تداعي الأمم على الإسلام (184/4) وصححه الألباني. دار الكتاب العربي - بيروت، دون سنة الطبع.

[2] عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بالتحتانية بن عبد الله بن قرط بن رزاح بمهملة ومعجمة وآخره مهملة بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية. (الإصابة في تمييز الصحابة : 588/4).

[3] مصنف ابن أبي شيبه لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159 ـ 235 هـ ، حديث رقم:35585 باب: كلام عمر بن الخطاب (263/13). تحقيق محمد عوامة. دار السلفية الهندية الفديمة.

[4] أخرجه أبو داود في سننه، حديث رقم:3464. باب في النهي عن العينة (291/3). وصححه الألباني.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الفصل الأول

[عوامل النصر ومعوقاته وأمثلة لذلك]

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عوامل النصر (أسباب تحقيق النصر) ويشتمل على:

- ❖ المطلب الأوّل: من عوامل النصر "الإيمان"
- ❖ المطلب الثاني: من عوامل النصر "تقوى الله"
- ❖ المطلب الثالث: من عوامل النصر "نصرة الدين"
- ❖ المطلب الرابع: من عوامل النصر "الجهاد وإعداد القوّة"
- ❖ المطلب الخامس: من عوامل النصر "الصبر والمصابرة والمرابطة"
- ❖ المطلب السادس: من عوامل النصر "ذكرالله"
- ❖ المطلب السابع: من عوامل النصر "الأخذ بالحذر"
- ❖ المطلب الثامن: من عوامل النصر "تأليف القلوب"

المبحث الثاني: معوّقات النصر (أسباب تأخر النصر) ويشتمل على:

- ❖ المطلب الأول: من معوّقات النصر "التنازع والاختلاف"
- ❖ المطلب الثاني: من معوّقات النصر "البطر والرياء"

المبحث الثالث: من الأمثلة في هذا المجال، ويشتمل على :

- ❖ المطلب الأول: تغير النصر في أحد
- ❖ المطلب الثاني: التفرق أول الأمر في حنين

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

تمهيد

إن سنة الله في نصر المؤمنين المقررة في القرآن الكريم هي سنة مؤكدة لا غبار عليها، وهي لا تنقض أحوال المسلمين اليوم في كونهم مغلوبين مظلومين، محاصَرين متفرقين في بلادهم، لأن هذه السنة هي في نصر المؤمنين، والمؤمنون هنا هم الذين يكونون مؤمنين بأوصافهم وأخلاقهم ومقاديرهم ومعاني الإيمان كما بينها الله سبحانه في القرآن الكريم وكما بلّغ رسوله ρ في السنة الشريفة، لا أن يكونوا مؤمنين بأمانيهم وتخيلاتهم، فعدم الانتصار على أعداءهم يعني أن الإيمان المطلوب منهم، وما يستلزم هذا الإيمان من صفات وأفعال غير محققة فيهم، ومن ثمّ لا يستحقون نصر الله الموعود، فعليهم أن يحاسبوا أنفسهم ويراجعوا أفعالهم ويصلحوا أحوالهم وجمعهم وما هم عليه من معاني الإيمان ومقتضياته ليعرفوا الخلل والأخطاء التي هم فيها .

لأن سنة الله في نصر المؤمنين سنّة ماضية لا تتخلف أبدا، هذه السنة الإلهية إنما تتحقق في واقع الناس إذا هيأ المؤمنون أنفسهم لعوامل النصر التي أرشد إليها الإسلام وأمر بها الله تعالى في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم ρ ، وأبعدوا عن أنفسهم وعن جمعهم عوامل الفشل ومعوقات النصر، فما هي عوامل النصر الواجب على المؤمنين تحصيلها....؟ وما هي معوقات النصر الواجب عليهم إبعادها عن أنفسهم وجمعهم....؟ هذه كلها سوف يأتي بيانها في هذا الفصل الأول من هذه الرسالة بإذن الله.....! .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الأول

عوامل النصر (أسباب تحقيق النصر)

المطلب الأول: من عوامل النصر "الإيمان"

من عوامل النصر التي مضت بها سنة الله في النصر وأخبرنا بها الله سبحانه الإيمان. والإيمان: إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب وإقرار اللسان وعمل بحسب ذلك الجوارح[1]. ويراد بالإيمان في هذا المقام هو إيمان المؤمنين بمعية الله ونصرته لهم في جميع المجالات في سبيل الله.

والدليل على ذلك قوله سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] قال صاحب تفسير المنار في هذه الآية: "وهي نصّ في تعليل النصر بالإيمان" أي هو إخبار من الله سبحانه بأن نصره لعباده المؤمنين حقّ عليه، وهو صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، بل فيه تشريف للمؤمنين ومزيد تكرمة لعباده الصالحين[3] وقال الألوسي: " وظاهر الآية أن هذا النصر في الدنيا وأنه عام لجميع المؤمنين فيشمل من بعد الرسل من الأمة"[4]

وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، اي من كان الله في نصره لم تغلبه فئة وإن كثرت[6]. فلا شك أن غلبة المؤمنين على المشركين بسبب نصرة الله سبحانه ومعيته، وهذه المعية لا تحصل إلا بوجود الإيمان في صدور الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وهي كمعيته سبحانه مع الصابرين بوجود الصبر في نفوسهم في مواجهة الأعداء، كما يقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [7] يقول ابن

---

(1) بصائر ذوي التمييز (150/2).

(2) سورة الروم (الآية : 47)

(3) تفسير المنار للسيد محمد رشيد بن علي رضا المتوفى سنة 1354 هـ (283/5). الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1990م .

(4) تفسير الآلوسي (79/12).

(5) سورة الأنفال (الآية:19).

(6) [illegible] القرآن (387/7).

(1)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

جرير الطبري[1] في تفسير الآية: " فإن تأويله: فإن الله نَاصرُه وظَهيرهُ وراضٍ بفعله، كقول القائل:"افعل يَا فلان كذا وأنا معك"، يعني: إني ناصرُك على فعلك ذلك ومُعينك عليه [2].

ومن هنا يوضح الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين أن قوتنا وقدرتنا على الصبر محدودة لأننا بشر، فلا تغني هذه القوة المحدودة عن قدرته سبحانه غير المحدودة، وعلينا أن نصبر لأن الله مع الصابرين. فلا تستطيع أي قوة أن تتغلب علينا. *والله أعلم بالصواب*

وأذكر هنا بعض المظاهر التي تتأثر بعمق الإيمان في الحصول على النصر من عند الله سبحانه:

1. وضع الأنبياء السابقين والمسلمين اليوم لا ينقض سنة الله في نصر المؤمنين:

إذا نظرنا إلى تاريخ الأمم السالفة وأنبيائهم وجدنا أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحيى وزكريا وشعياء، ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجرا كإبراهيم ومحمد ρ وإما إلى السماء كعيسى ابن مريم. وفي حالنا الحاضر شاهدنا بأمّ أعيننا المسلمين مقتولين في بلادهم (في فلسطين، وفي العراق، وفي أفغانستان. وفي كشمير، وفي الشيشان) فضلا عن المسلمين القلة في بعض الجزر أو المناطق الصغيرة من بلاد الهند، والصين، والفيليبين، وتيلاندي وغيرها كثير.... غير أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[3]، فأين النصرة في الدنيا إذن....؟ يقول ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: "إن لقوله:(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وجهين كلاهما صحيح معناه. أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائنا على من كذّبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من المُلْك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد ρ بإظهاره على من كذّبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادّهم وشاقهم

---

(1) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها.....(انظر: طبقات المفسرين للأدنروي :48/1).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن للشيخ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري المتوفي310هـ (214/3). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1420 هـ- 2000م المحقق : أحمد محمدشاكر

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذّبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من إغراق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر[1] عليهم حتى انتصرنا به من قتله له وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه.

❖ ذكر من قال ذلك:

قال ابن جرير الطبري عن السديّ في قول الله:(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم. والوجه الآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمدا ρ والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، كما بيَّنا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه [2].

2. **الإيمان وعوامل النصر المادية:**

إن الله سبحانه وتعالى قد صرح في كتابه بأنه جعل لكل شيء سببا وقدّر له الأسباب، وفي قضية النصر فإن الإيمان وحده لا يغني عن عوامل النصر المادية مثل عدد الجيوش، ووسائل الحرب ومستلزماته من البناديق، والدبابات وغيرهما.... إما للهجوم على الأعداء أو لمدافعتهم أو للإرهاب وزرع الخوف في قلوبهم - إن صح التعبير- لأننا إذا جهّزنا كل شيء قبل فوات الأوان وأصبح كل شيء في مكانه، ربما قد يقوّي عزائم

---

(1) بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب صاحب الموصل وناحيتها بن داريوش بن عبيرى بن تيرى بن روبا بن رابيا بن سلامون بن داود بن طامي بن هامل بن هرمان بن فودى بن همول بن درمي بن قمائل بن صاما بن رعما بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام. (تاريخ [illegible] بتاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري :318/1 . دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى: 1407هـ .).

(401 .4(

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الجيوش وازدادوا إيمانا مع إيمانهم، غير أننا لا ننكر بأنه سبحانه قادر على إيجاد كل شيء بدون الأسباب وهو على كل شيء قدير.

ولهذا أمرنا الله تعالى بإعداد القوة المادية، كما ورد في سورة الأنفال:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1] قيل: إنه لما اتفق أصحاب النبي ρ في قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا آلة ولا عدة، أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله وأن يعدّوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة وقوة[2]، والآية تخاطب كافة المؤمنين لما أن المأمور به من وظائف الكل[3]، أي "أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكّد التقوى. وأن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتّفل في وجوههم وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله ρ ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ"[4]. يقول الشيخ رشيد رضا[5] في معنى الآية:" الإعداد تهيئة الشيء للمستقبل، أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب (التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر ولحفظ الأنفس ودعاية الحق والعدل والفضل) بأمرين: أحدهما: إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة. وثانيهما: مرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة، قوامه الفرسان، لسرعة حركتهم، وقدرتهم على الجمع بين القتال وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها، ولذلك عظم الشارع أمر الخيل وأمر بإكرامها. وهذان الأمران هما اللذان تعول عليهما جميع الدول الحربية إلى هذا العهد التي ارتقت فيه الفنون العسكرية وعتاد الحرب إلى درجة لم يسبق لها نظير،

---

(1) سورة الأنفال (الآية:60).

(2) تفسير الفخر الرازي لمحمد بن عمر بن حسين الرازي (148/16) دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ـ دون سنة الطبع.

(3) تفسير الألوسي (10 /35).

(4) تفسير القرطبي (35/8).

(5) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد، البغدادي الأصل، الحسيني النسب. صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب والعلماء الحدث، الأدب والتاريخ والتفسير. ولد سنة 1282هـ، ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس في لبنان)، وتعلم فيها وفي طرابلس، ثم 131هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وتوفي سنة 1354 هـ .(انظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم، تأليف السيد محمد لباعة: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ تهران. الطبعة الأولى 1373هـ).

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بل لم تكن تدركها العقول ولا تتخيلها الأفكار"[1]. ولا أتحدث عن معني القوة هنا لأنه ليس محلّه وسوف أتناوله في المطلب المقبل إن شاء الله تعالى.

إن الإسلام دين شامل ومتكامل، وواقعي في كل زمان ومكان كما أنه لا يترك شيئًا إلا وقد أشار إليه مثل ما وجدناه في الآية السابقة التي تأمرنا بإعداد القوة المادية مع وجود الإيمان، ولكن هذه القوة لها حدّ محدود في بعث إيمان الجيوش والمقاتلين لا يخالفه العقل السليم. أي علينا أن نقيّم ونقدّر قوة الأعداء أيضا مع الإيمان بوجود النصر الموعود من رب العالمين، حتى لا نغالي في الأمور وننتصر على الأعداء. لأجل ذلك أمر الله سبحانه نبيه في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2]. يقول الشيخ المتولى الشعراوي[3] في معنى الآيتين: " إذن فالمعيار الإيماني باختصار يساوي واحداً إلى عشرة ، أي أن القوة الإيمانية تجعل من قوة المؤمن ما يعادل قوة عشرة من الكفار ، هذا هو المقياس . ونحن نرى أن المقياس هنا ليس بعدد المقاتلين فقط، ولكن لا بد أن يكونوا موصوفين بالصبر. فالقوة القتالية لكي يتحقق بها ولها النصر لا بد أن تكون قوة صابرة قوية في إيمانها قادرة على تحمل شدة القتال وعنفه، فلكي تضمن أن عشرين صابرين يغلبون مائتين لا بد أن يتحقق في هؤلاء جميعاً قوة وصبر وجلد ، ولكن قد لا تكون قوة البدن متوافرة والجلد ضعيفاً . وقد تأتي للإنسان فترات ضعف ، وتأتيه أيضاً فترات قوة . ومن رحمته سبحانه وتعالى بالمؤمنين أنه خفف عنهم؛ لأنه يعلم أن هناك فترات ضعف تصيب الإنسان؛ لذلك جعل النسبة واحداً إلى اثنين" [4].

---

[1] تفسير المنار (53/10).

[2] سورة الأنفال (الآية:56 66)

[3] هو فضيلة الشيخ الفقيه محمد متولى الشعراوي، أحد العلماء في اللغة العربية، ومفسر للقرآن الكريم في وقتنا الحاضر، وسمى تفسيره "خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم". (المفسرون حياتهم ومنجهم: ص:269).

[4] راوي للشيخ محمد متولى شعراوي (4794/8 4799) دار أخبار اليوم – القاهرة 1991 .

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ويقول الشيخ عبد الكريم زيدان[1] في معناهما:"في الآية الأولى أن الله تعالى أخبر المؤمنين أصحاب رسول الله ρ أن عشرين صابرين منهم يغلبون مائتين من الكافرين، وهذا قبل التخفيف ولم يقل عز وجل أن العشرين من المؤمنين الصابرين يغلبون ألفين؛ لأن المؤمنين الصابرين وإن كان لإيمانهم قوة وهي أقوى من قوة الكفر في نفوس الكافرين، إلا أن هذه القوة الإيمانية لها حد محدود في غلبة قوة الكفر والكافرين، فقد جعل الله قوة الإيمان تصيّر المؤمن الواحد أقوى من عشرة من الكفار فيغلب العشرون من المؤمنين المائتين من الكافرين. أما إذا كان الكفار ألفا فليس في وعد الله وإخباره أن العشرين من المؤمنين يغلبون الكفار وهم ألف، بل إنها تشير بأن عدد المؤمنين في هذه الحالة لا يكفي –عادة إلى نصرهم. ومعنى ذلك أن للقوة المادية –ومنها عدد المقاتلين وزنها وتأثيرها غير المنكور وأن على المؤمنين والأمة عموما والجماعة المسلمة ملاحظة ذلك وفتح عيونهم عليه وأخذ العبرة منه وأن يحسبوا حسابا دقيقا لقوتهم وقوة أعدائهم بحيث تكون قوتهم مساوية أو مقاربة لقوة عدوهم فيرجح عندئذ المؤمنون بقوة إيمانهم على الكفار فتكون الغلبة للمؤمنين بإذن الله" [2].

فأقول: إن الإيمان (بوعد الله سبحانه بأنه سوف ينصر رسله والمؤمنين) وحده لا يغني عن عوامل النصر المادية كما أنه سبحانه أمرنا بإعداد القوة قبل حدوث الحرب لنرهب بها أعداءنا، كما أنه سبحانه قادر على نصر المؤمنين بدون عوامل النصر المادية لأنه على كل شيء قدير، ولكنه سبحانه أراد أن يجري سُنّته ويمتحن عباده المؤمنين حتى يأخذوا بأسباب النصر ويثابوا عليها. وبالتالي أنه سبحانه أراد أن يخبرنا بأن القوة الإيمانية لها ميزانها وتصرفها في بعث القوة المعنوية في نفوس المقاتلين، إلا أن هذه القوة لها حدّ محدود أي علينا أيضا أن نقدّر ونقيّم قوة الأعداء حتى لا نغالي في الأمور وننتصر عليهم، وهي كما أشارت الآية السابقة أي بأن الآية الأولى ترشدنا إلى أن الواحد من المؤمنين الصابر يقابل العشرة من الكفار وذلك في يوم بدر، وهذا هو الحدّ الأعلى الذي أخبر به الله سبحانه نبيه ρ أي بأن القوة الإيمانية الراسخة في الصدر تجعل قوة المؤمن الواحد تساوي قوة عشر من الكفار. وفي الآية الثانية وجدنا بأن القوة الإيمانية الراسخة

---

[1] عبد الكريم زيدان المراقب العام السابق لجامعة الإخوان المسلمين في العراق، وأحد علماء أهل السنة في العراق، وأحد علماء أصول الفقه والشريعة الإسلامية، رحل إلى العمل في اليمن وعمل في العديد من جامعاتها.(انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، عدّلت هذه الصفحة في 11 يناير 2010)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

في الصدر تجعل قوة المؤمن الواحد تساوي قوة رجلين، وهو الحدّ الأدنى الذي أخبر به رسوله وهو التخفيف من عند الله سبحانه للمؤمنين في حالة الضعف. فعلينا تبشير النصر بالإيمان مع العوامل المادية للنصر الموعود . *والله أعلم بالصواب*

3. للقوة المادية تأثيرها في نفوس البشر:

أعني بالقوة المادية هي عدد المقاتلين، توفر الآلات الحربية ومستلزماتها، وهي تتغير بتغير الزمن وبالتطور التكنولوجي. وأن هذه القوة المادية لها تأثير في نفوس البشر مسلما كان أو مؤمنا.

يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]. يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير الآيتين:"والمعنى أن الله تعالى أرى رسوله في ذلك اليوم أو الوقت رؤيا منامية مثل له فيها عدد المشركين قليلا ، فأخبر بها المؤمنين فاطمأنت قلوبهم ، وقويت آمالهم بالنصر عليهم كما قال مجاهد [2] ، ومن الغريب ألا ترى في دواوين الحديث المشهورة حديثا مسندا في هذه الرؤيا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم أي : أحجمتم ونكلتم عن لقائهم بشعور الجبن والضعف ولتنازعتم في الأمر أي : ولوقع بينكم النزاع ، وتفرق الآراء في أمر القتال ، فمنكم القوي الإيمان والعزيمة يقول : نطيع الله ورسوله ونقاتل ، ومنكم الضعيف الذي يثبط عن القتال بمثل الأعذار التي جادلوا بها الرسول كما تقدم في قوله تعالى :﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [3]" [4].

ويقول الزمخشري في تفسير الآيتين: "إن الله تعالى أرى ـ رسول الله ρ في منامه عدد الكفار قليلا قبيل بدء القتال في معركة بدر، فأخبر رسول الله ρ بذلك أصحابه

---

[1] سورة الأنفال (الآية: 43 44).

[2] مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي. قرأ على ابن عباس وصحب ابن عمر مدة كثيرة وأخذ عنه وحدث عنه قتادة وعمرو بن دينار وأيوب ومنصور والأعمش وابن عون وغيرهم، قال قتادة أعلم من بقي بالتفسير مجاهد . توفي سنة ثلاث ومائة هجرية.(انظر طبقات المفسرين للأدنروي : 11/1).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فكان ذلك الإخبار تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم. وبين الله تعالى لنبيه ρ أنه (وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا) اي لو أراك عدد الكفار كثيرا (لَّفَشِلْتُمْ) أي لأصاب المؤمنين جبن ووهن وهيبة من الإقدام والهجوم على الكفار (وَلَتَنَازَعْتُمْ) اي ولحصل نزاع واختلاف بين المؤمنين وتفرق كلمتهم فيما يصنعونه من مقاتلتهم أو الانصراف عنهم وعدم مقاتلتهم[1]. ولكن الله سلّم من ذلك الفشل والجبن والتنازع، بأن أراكهم قليلا، إنه تعالى عليم بذات الصدور أي بما تخفيه الصدور، وتنطوي عليه النفوس من شعور الضعف والجزع الذي يؤدي إلى الانثناء عن القتال[2] ثم بين الله تعالى أنه أرى المؤمنين عند لقائهم بالعدو أراهم إياهم قليلا تصديقا لرؤية رسول الله ρ وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا في قتالهم (ويقللكم في أعينهم) أي يقلل المؤمنين في أعين الكفار مما يجرئهم على الاندفاع في مقاتلة المؤمنين مع قلة مبالاة بهم فتفجؤهم كثرة المؤمنين التي لم يتوقعوها ولم يروها بأعينهم فيقع القتل فيهم وينتصر المؤمنون عليهم. قال صاحب الكشاف: الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر، فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعين الكفار....؟ قال: قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم، قلة مبالاة بهم، ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا، وتفل [3] شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم"[4].

فأقول: إن للقوة المادية تأثيرها في نفوس البشر مؤمنا كان أو كافرا، ضعيفا كان أو قويا على حدّ سواء، من هذا التأثير سوف تنبعث منه الإحساس بقوة العزيمة وثقة النفس - إن صح التعبير - في نفوس فريق ما إذا رأي في نفسه أكثر عددا و أكثر قوة مادية من عدوّه، ومن ثمّ تقوى عزائمه وحماسته إلى قتال العدوّ وتزداد أمنيته في التغلب عليه، بخلاف الفريق الذي رأى في نفسه أقل عددا و أقل قوة مادية من عدوّه، فإنه قد يحسّ بالضعف بل ربما حصل في صدره الرعب واليأس قبل الهجوم على الأعداء، وهذا كله قد يحمله إلى الانسحاب في يوم الزحف. فعلينا إعداد القوة بأقصى ما يمكن قبل فوات

---

(1) الكشاف (2/213 214) .

(2) تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي (18/10) الطبعة الأولى1411هـ دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان.

(3) [illegible] لسان العرب: 11/530 531)

(21

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الأوان، لأننا إذا علمنا أهمية هذه القوة المادية ثم أهملنا هذا الثغر، نكون قد جنينا على أنفسنا. *والله أعلم بالصواب*

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثاني:

من عوامل النصر " تقوى الله " :

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[1].

وجاء في تفسيرهما:"والظاهر في المدد أن الملائكة يشاركون الجيش في القتال إن وقعت الحاجة إليهم، ويجوز أن لا تقع الحاجة إليهم في نفس القتال، وأن يكون مجرد حضورهم كافيا في تقوّي القلب. وجعل مجيء خمسة آلاف من الملائكة مشروطا بثلاثة أشياء: الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور"[2].

ويقول صاحب تفسير المنير: "إن الآية السابقة تدلّ على ترغيب المسلمين بالتزام الصبر في القيام بالتكاليف الشاقة وتنفيذ الأوامر الإلهية، والاعتصام بتقوى الله بالابتعاد عما نهى الله عنه وحذر منه، فإن يصبروا ويتقوا لا يضرهم كيد الأعداء شيئا. وقد جرت سنة القرآن أن يذكر الصبر في كل مقام يشق على النفس احتماله، والموقف هنا يتطلب الصبر على عداوة الكافرين واتقاء شرهم، حتى يأذن الله بالفرج القريب والنصر العاجل، والله محيط بأعمالهم، وهو القادر على أن يمنعهم مما يريدون بالمسلمين، فلا بدّ من الثقة بالله والتوكل عليه" [3].

فمدد الملائكة للمؤمنين كان بسبب تقواهم؛ لأن صبرهم من جملة تقواهم؛ لأن التقوى كما قال ابن تيمية[4] ـ رحمه الله ـ:"التقوى تجمع فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه" [5] ، والصبر من جملة ما أمر الله به. ثم إن مدد الملائكة للمؤمنين

---

[1] سورة آل عمران (الآية: 124 125)

[2] تفسير الرازي(187/4).

[3] تفسير المنير (61/4).

[4] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الاسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. (الأعلام للزركلي :144/1 نشره دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان الطبعة الخامسة عشر 2002م) .

[5] مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (526/8) جمعه ورتبه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي رحمه الله وساعده ابنه محمد وسنة الطباعة، طبع بالرياض تحت إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

لتحقيق نصرهم على الكفار، فكانت التقوى ـ تقو الله ـ من العوامل المؤكدة لنصر المؤمنين حسب سنّة الله تعالى.

وأضرب هنا مثالا لما وصى به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سعد بن أبي وقاص[1] وجنوده في حرب العراق، جاء في هذه الوصية: ((فإني آمرك ومن معك من أجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدّة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدّتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلاّ نُنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أنه عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شرٌّ منا فلن يسلّط علينا وإن أسأنا، فرّب قوم قد سُلّط عليهم شرّ منهم كما سلّط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله، كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعد الله مفعولا. واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. أسال الله ذلك لنا ولكم)) [2].

فأقول: إن تقوى الله من أهم عوامل النصر، وهو خير الزاد كما أمر به سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [3] وهو أفضل العدّة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب ومن ثمّ فإنه مجلب للنصر، ومن يعص الله ورسوله وهو في سبيل الله يحرمه الله النصر كما حدث على للمؤمنين في أحد، كان بعض الرماة الذين كلفهم رسول الله ρ بحماية ظهور المسلمين على الجبل قد خالفوا وصية رسول الله ρ بالثبات في أماكنهم. فعندما وصلوا إلى هذه الغاية لم يعودوا مستحقين لهذه العناية والنصر الذي وعد به أهل الصبر والتقوى لمخالفتهم إياها". *والله أعلم بالصواب*

---

(1) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق أحد العشرة وأول من رمى بسهم في سبيل الله ومناقبه كثيرة مات بالعقيق سنة خمس وخمسين. (انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني 232/1 دار الرشيد – سوريا سنة 1986م حققه محمد عوامة).

(2) [illegible] عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (130/1) دار الكتب العربي بيروت الطبعة الثالثة 1965م / 1343هـ.

(19

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثالث:

من عوامل النصر " نصرة الدين "

ومن عوامل النصر التي جعلها الله تعالى من سنته في نصر المؤمنين وهم يدافعون الباطل وأهله، قيامهم بنصرة دين الإسلام، بكل ما أوتوا من قوة قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ﴾[1].

يقول صاحب الكشاف في تفسير الآية: " إن تنصروا الله، أي إن تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام "[2]. وقال الإمام الرازي في تفسيره: " وفي نصر الله تعالى وجوه: الأول: إن تنصروا دين الله وطريقه. والثاني: إن تنصروا حزب الله وفريقه. والثالث: المراد نصرة الله حقيقة، ثم يقول: النصرة تحقيق مطلوب أحد المتعادمين عند الجهاد وأخذ بتحقيق علامته، فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الإيمان. ومنها أيضا الخروج إلى القتال والإقدام في ساحة الحرب. والله سوف ينصره بتقويته وتثبيت أقدامه وإرسال الملائكة الحافظين له" [3]. بل يقويكم عليهم، ويجرّئكم، حتى لا تولوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقلّ عددكم كما يقوله الطبري [4]. وقال صاحب المنير في تفسير الآية (ويثبّت أقدامكم) مجاز مرسل، أطلق الجزء وهو الأقدام وأراد الكلّ أي يثبّتكم وعبّر بها لأنها أداة الثبات [5].

وآية أخرى في نصرة الدين كعامل من عوامل سنة الله في نصر المؤمنين هي قوله تعالى:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ [6]. قال الإمام الرازي في هذه الآية: وعد الله بالنصر لمن هذه حاله أي من ينصر دينه، ونصر الله تعالى للعبد أن يقويه على أعدائه وفيه ترغيب في الجهاد من حيث وعدهم النصر [7] وقال الزمخشري فيها:

---

(1) سورة محمد (الآية:7 8)

(2) تفسير الزمخشري (321/4).

(3) تفسير الرازي (42/28 43).

(4) تفسير الطبري (161/22).

(5) تفسير المنير (83/12).

(6) [illegible] (الآية: 40).

(

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

لينصرنّ الله من ينصر دينه وأولياءه [1]. وكيفية قيام المسلم بنصرة الله بأن يبذل جهده في إقامة دين الله في الأرض فيكون هو الحاكم على جميع تصرفات وأفعال وعلاقات البشر.

فخلاصة الكلام: هكذا ينادي الله عباده المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله فيعدهم هذا الوعد، ولا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون(هكذا حال أكثر المسلمين الآن) وعلينا أن نعي بأن الله يعدنا بهذا الوعد المتضمن لأمرين هامين كل أمر يتضمن شيئين، الأمر الأول: النصر وتثبيت الأقدام، والثاني: ذل أعدائهم وضلال أعمال هؤلاء الأعداء حتى يصبحوا يتخبطون في قراراتهم لا يهتدون سبيلا. ولكن هذا كله سوف يتحقق إذا أخذنا أسباب النصر والفوز وهي نصرة دين الله. فربما أشكل بعض الأمور في أذهاننا "كيف ننصر الله وهو القوي العزيز...؟" فأقول كما يقوله الشيخ السعدي[2] في تفسيره: "بأن المعني من نصرة الله: أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره" [3]. ومن ثمّ أن تكون هذه النصرة (إقامة شرع الله ودينه) تتحقق في الأفراد والجماعة كما أشار إليها الرازي في تفسير الآية، وعلى هذا فبمقدار ما يقوم به المؤمنون من نصرة لدين الله والجهاد في سبيله وتوفير الوسائل المفضي إليها سوف يتحقق لهم النصر كما وعد الله عباده المؤمنين. *والله أعلم بالصواب*

---

(1) تفسير الزمخشري (162/3).

(2) عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي. صاحب تفسير " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" المعروف بتفسير السعدي .

(-) ي تفسير كلام المنان. لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (785/1) مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م ، معلا اللويحق.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وسوف أذكر هنا **أهمية أو دور الجماعة المسلمة في نصرة دين الإسلام:**

إذا نظرنا إلى تفسير الآية السابقة وجدنا في قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ أي ينصر دينه وأولياءه. ووجدنا قول الرازي في أحد وجوه تفسيره قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ أي إن تنصروا حزبه وفريقه.

هاتان الآيتان أشارتا إلى أنّ نصرة دين الله يجب أن تكون بطريق جماعي منظم للقيام بمتطلبات النصرة لدين الله حتى يتحقق شرط نصر الله للمؤمنين. مع أن المطلوب من كل مسلم أن يعمل لنصرة دين الله بأن يسعى لإقامة شرع الله فينصره الله بقدر سعيه وجهده. ولكن مما لا شك فيه أن العمل الجماعي لنصر الإسلام هو الذي أرشد إليه الإسلام وأشار إليه القرآن الكريم، حيث قال تعالى:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[1] والأمة في هذه الآية بمعنى: جماعة يتخيّرون العلم والعمل الصالح أي يكونون أسوة لغيرهم[2] والأمة في أحد الوجهين بعض الأمة وليس كلها لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة [3].

والمراد بالأمة في الآية: جماعة تربطهم رابطة معينة تجمعهم [4] أي جماعة من المسلمين تقوم بالدعوة إلى الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أي تقوم بنصرة الدين. ويقول ابن كثير: "أن المقصود من هذه الآية أن تكون منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه [5]، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ρ : "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

---

[1] سورة آل عمران (الآية: 104).

[2] بصائر ذوي التمييز (80/2).

[3] تفسير الزمخشري (425/1).

[4] تفسير المنير (32/4).

[5] أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي700- 774 هـ (91/2) حققه سامي بن محمد سلامة دار طيبة : الثانية 1420هـ - 1999 .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ" [1]. وللشيخ عبد الكريم زيدان كلام رائع في هذه القضية: "والجماعة تنظيم جماعي، فهي إذن تقوم بنصرة الدين بشكل جماعي منظم، وعملها هذا بهذا الشكل أجدى وأنفع من عمل المسلمين فرادي ومتفرقين. وهذا يعني أن ضم جهود الأفراد بعضهم إلى بعض والعمل سوية بتنظيم جماعي يحقق من النتائج مالا يحققه العمل الفردي، ومعنى ذلك أن العمل الجماعي المنظم مما يحبه الله ويطلبه الإسلام قطعا للأمر بتكوّن (أمة) بنصرة الدين" [2].

وعلى هذا يمكن القول: إن قيام جماعة إسلامية أمر مرغوب فيه شرعا وتشتد درجة ندبه واستحبابه كلما كان قيام هذا التنظيم ممكنا وكانت الحاجة إليه شديدة والغرض منه نصرة الدين، وقد يكون قيام هذا التنظيم لنصرة الدين واجبا إذا كان الباطل قويا وأهله أشداء في خصومتهم وعداوتهم للحق وأهله. فمدافعة هذا الباطل وأهله وهم بهذه الدرجة من القوة، كما هو الحال في الوقت الحاضر، لاتتأتى بجهود فردية بل بجهود من أهل الحق مجتمعة بحيث يكونون قوة أكثر من قوة أهل الباطل أو في الأقل مساوية لأهله، ولا يتأتى هذا إلا إذا تجمعت جهود الغيارى على الإسلام في تنظيم واحد أي في جماعة إسلامية واحدة تعمل بنظام لنصرة الدين ومدافعة الباطل، وعلى المسلمين أن ينضموا إلى هذه الجماعة الإسلامية إذا ما قامت لأنها هي حزب الله وأفرادها أولياء الله ولأنها تحقق أمر الله: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير....)[3].

والله أعلم بالصلواب

* * * *

---

[1] أخرجه إمام مسلم كتاب الإيمان باب "بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان" حديث رقم: 186 (50/1) دار الجيل - بيروت دون سنة الطبع (ثمانية أجزاء في أربع مجلدات).

[2] [illegible].

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الرابع:

من عوامل النصر " الجهاد وإعداد القوة "

أ. الجهاد

والمراد بالجهاد هنا استفراغ الوُسْع فى مدافعة العدُو[1] أو هو بذل الجهد والطاقة والمشقة للقتال في سبيل الله، وهو كما قال رسول الله ρ حين رجوعه من بدر:" قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: مجاهدة العبد هواه "[2].

والجهاد الإسلامي ليس حرباً دينية لأجل الفتوحات فقط (كما زعمه النصارى اليوم)، لأن الإسلام لا ينتشر بالسف أو الشدة. والتهمة بأن المسلمين يحاربون لأجل فتح البلدان، وجمع الغنائم، ونشر الإسلام بالشدة أو الكره، هو أثر من آثار سوء الفهم للإسلام، أو سوء النية في تصوير الإسلام.

"ومفهوم الجهاد في الإسلام أوسع وأعم من القتال والرباط، إذ يشمل الجهاد القتال، والجهاد بالمال، واللسان وكل ما في وسع الإنسان، كما يشمل جهاد النفس وجهاد الشيطان، والقتال نوع من أنواع الجهاد، أما الرباط فهو إقامة المسلم في ثغر من الثغور المتاخمة لبلاد الأعداء" [3]. فكل قتال جهاد وليس كل جهاد قتالاً، إذ القتال هو الجانب العنيف من الجهاد وليس كل الجهاد.

وللجهاد ميادين شتى فبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد في ميادين العلم والتعلم والتعليم هو جهاد، ؛ وكذلك البر والإحسان إلى الوالدين والأقربين وأولي الأرحام هو جهاد. كما أن الخشية لله ومراقبته وتقواه والتبتل إليه هي قمة من قمم الجهاد الذي فرضه الإسلام، والكلمة الصادقة هي جهاد. من غير أن ننفى بأن حراسة الوطن والمرابطة على ثغور دار الإسلام كل الثغور والقتال الدفاعي(قتال المعتدين على ديار

---

[1] بصائر ذوى التمييز (2/401 403).

[2] حديث ضعيف، ضعفه السيوطي في كتابه "الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير" في حرف "القاف" 1/380 دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 2004.

[3] القرضاوي، يوسف: إسلام أون لين.نت ـ جوابا عن سؤال "ما الفرق بين الجهاد والقتال والرباط؟"

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المسلمين) لحماية حرية العقيدة وحرية الدعوة من الفتنة أهمّ من قتال الأفراد (لأن بدونه لا يقام الإسلام) وهو جهاد يكون أصحابه من أوائل من يدخل الجنة من خلق الله.

وقد أمرنا الله سبحانه بالجهاد القتال كما ورد في سورة البقرة : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفُّوا شرّ الأعداء عن حَوْزة الإسلام. وقال الزهري[2]: الجهادُ واجب على كلّ أحد، غزا أو قعد؛ فالقاعد عليه إذَا استعين أن يَعينَ، وإذا استُغيثَ أن يُغيثَ، وإذا استُنْفرَ أن ينفر، وإن لم يُحتَجْ إليه قعد. قلت: ولهذا ثَبَت في الصحيح((من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق))[3]. وقوله: { وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ } أي: شديد عليكم ومشقة. وهو كذلك، فإنه إما أن يُقْتَلَ أو يجرحَ مع مشقة السفر ومجالدَة الأعداء. ثم قال تعالى:{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } أي: لأنّ القتالَ يعقبه النصر والظفر على الأعداء، والاستيلاء على بلادهم، وأموالهم، وذرَاريهم، وأولادهم.{ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ } وهذا عام في الأمور كلّها، قد يُحِبّ المرءُ شيئًا، وليس له فيه خيرة ولا مصلحة. ومن ذلك القُعُود عن القتال، قد يَعْقُبُه استيلاء العدو على البلاد والحكم.ثم قال تعالى:{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } أي: هو أعلم بعواقب الأمور منكم، وأخبَرُ بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم؛ فاستجيبوا له، وانقادوا لأمره، لعلكم ترشدون"[4].

ثم يقول الإمام القرطبي: "أي هو كره لكم في الطباع (وعسى) من الله تعالى إيجاب. والمعنى: وعسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون عدوكم وتظفرون به وتغنمون أمواله وتؤجرون وتثابون على جهادكم (وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ) أي عسى أن تحبوا الدعة والراحة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تغلبون وتذلّون وتذهب أمركم أو قوتكم. ثم يقول: " وهذا صحيح لا غبار عليه كما

---

(1) سورة البقرة (الآية:216).

(2) محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة .(الأعلام للزركلي: 97/7) .

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب "ذمّ من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو" حديث رقم:5040 (49/6). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده - في مسند أبي هريرة- (453/14) مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1420هـ - تحقيق شعيب الأرنؤوط.الإمام أبو داود في سننه باب "كراهية ترك الغزو" حديث رقم:2504 (318/2). دار الكتب العربي بيروت. وأخرجه الإمام النسائي في سننه باب "التشديد في [illegible] 3097 (8/6) مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية 1406هـ . تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

(2

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

اتفق في بلاد الأندلس تركوا الجهاد وجبنوا عند القتال وأكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد وأسر وقتل وسبى واسترقّ فإنا لله وإنا إليه راجعون....! " [1].

ولكن إذا نظرنا إلى ما أورده ابن جرير الطبري في تفسيره وجدنا أن بعض أهل العلم اختلفوا في الذين عنوا بفرض القتال في تفسير آية سابقة، منهم من قالوا بأن الذين عُنوا بفرض القتال أولئك الصحابة فقط دون عامة الناس، ومنهم من قالوا بأنه واجب على المسلمين إلى قيام الساعة، بل بعضهم قالوا بنسخ الأحكام الواردة فيها، فعقبه ابن جرير الطبري بأن الأرجح هو أن الجهاد على كل واحد حتى يقوم به من في قيامه الكفاية، فيسقطُ فرض ذلك حينئذ عن باقي المسلمين، كالصلاة على الجنائز وغسلهم الموتى ودفنهم، وعلى هذا عامة علماء المسلمين[2]. ولسيد الشيخ رشيد رضا قول رائع حيث يجمع فيه بين الأراء، وهو قول منقول عن ابن عمر[3] أي "أن القتال كان واجبا في ذلك الوقت على الصحابة فقط وأن هذا هو المراد من الآية. بل إن القتال يجب في العمر مرة واحدة ، وقد انعقد الإجماع بعد هذا الخلاف الذي كان في القرن الثاني على أن الجهاد من فروض الكفاية إلا أن يدخل العدو بلاد المسلمين فاتحا فيكون فرض عين" [4].

فخلاصة الكلام أن الجهاد في الإسلام ليس القتال هدفا بذاته أو حربا دينية مقدسة(كما زعم النصارى اليوم) بل شرع لأهداف شتى، منها قتال المعتدين على ديار المسلمين، وهذا معلوم به شرعاً وواضح، فإذا هجم الأعداء على بلاد المسلمين فيشرع لأهل هذه البلاد ردع هذا العدو وقتاله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً كما أذن الله لنا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ..... ﴾ [5]. ومنها طلب العدو لنشر دعوة الإسلام في كل

---

[1] تفسير القرطبي (3/38 39).

[2] تفسير الطبري (4/295 296).

[3] عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوى أمه زينب بنت مظعون الجمحية ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي فيما جزم به الزبير بن بكار قال هاجر وهو ابن عشر سنين ....(انظر الإصابة 4/181).

[4] تفسير المنار (2/249).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

مكان، وهذا هو الأصل في الجهاد؛ لأن الأساس في الجهاد في سبيل الله هو فتح البلاد لتكون بلاد إسلام، وليرحم الله عز وجل هذه البلاد بتلك الفتوحات، كما حصل للصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين - في فتحهم لبلاد فارس، وبلاد الروم وغيرهما، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ويدخل الناس في دين الله أفواجا كما ورد في القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]. فمسئولية المسلمين اليوم تحرير البلدان المحتلة من بلاد الإسلام كفلسطين الذي فيه القدس المحبوب، والعراق، وأفغانستان، والشيشان وغيرها.... حيث نقاتل فيها المعتدين لحماية حرية العقيدة وحرية الدعوة من الفتنة، ونحمي دماء الأبرياء حتى يكون فيها الأمن والاستقرار لأهلها *والله أعلم بالصواب*.

ب. إعداد القوّة

1. معنى القوة ومستلزماتها

بعد أن شُرع الجهاد على المسلمين كما ذكرت قبل قليل أمر الله سبحانه بإعداد القوة قبل الغزو وهو كما صرحت سورة الأنفال:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]. قد تكلمنا عن الأمر بإعداد القوة في تفسير هذه الآية في المطلب السابق من هذا الفصل فلسنا في حاجة إلى تكرارها[3]، إلا أننا لم نتناول فيه عن معنى "القوة" بذاتها ومستلزماتها. يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: "والمراد بالقوة ههنا: ما يكون سببا لحصول القوة، وفيه وجوه: الأول: المراد من القوة أنواع الأسلحة. الثاني: روي أنه ρ قرأ هذه الآية على المنبر وقال ((ألا إن القوة الرمي)) قالها ثلاثا[4]. الثالث: قال بعضهم: القوة هي الحصون. الرابع: قال

---

(1) سورة التوبة (الآية:33).

(2) سورة الأنفال (الآية:60).

(3) انظر ص (12-14) من هذا الفصل.

(4) رواه مسلم في "فضل الرمي والحث عليه" حديث رقم:5055 (52/6).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أصحاب المعاني الأَولى أن يقال: هذا عام في كلّ ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة. وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ((القوة هي الرمي)) لا ينفي كون غير الرمي معتبرا، كما أن قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ((الحج عرفة))[1] لا ينفي اعتبار غيره، بل يدل على أن هذا المذكور جزء شريف من المقصود فكذا هنا، وهذه الآية تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات" [2].

من بعض المفسرين المتأخرين الذي أدرك هذه الآلات الحربية يقول في حق القوّة في معنى هذه الآية بعد إيراد أقوال رسول لله ρ الواردة في الرمي ـ: "وأنت تعلم أن الرمي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو لأنهم استعملوا الرمي بالبندق والمدافع ولا يكاد ينفع معهما نبل وإذا لم يقابلوا بالمثل عم الداء العضال، واشتدّ الوبال والنكال، وملك البسيطة أهل الكفر والضلال، فالذي أراه والعلم عند الله تعالى تعين تلك المقابلة على أئمة المسلمين وحماة الدين ، ولعل فضل ذلك الرمي يثبت لهذا الرمي لقيامه مقامه في الذب عن بيضة الإسلام ولا أرى ما فيه من النار للضرورة الداعية إليه إلا سبباً للفوز بالجنة إن شاء الله تعالى ، ولا يبعد دخول مثل هذا الرمي في عموم قوله سبحانه : {وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا استطعتم مّن قُوَّةٍ }"[3].

فأرى أن اجتهاد الشيخ الألوسي ورأيه في معني هذه الآية مطابق لحالنا الحاضر لأن رمي العدوّ عن بعد بما يقتله أسلم من مصاولته على القرب بسيف أو رمح أو حربة. وللشيخ رشيد رضا قول رائع في وصف الحديث ((ألا إن القوة الرمي)) حيث يقول:"وإطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يرمى به العدو من سهم أو قذيفة منجنيق أو طيارة أو بندقية أو مدفع وغير ذلك وإن لم يكن كل هذا معروفا في عصره ρ فإن اللفظ يشمله والمراد منه يقتضيه ولو كان قيده بالسهام المعروفة في ذلك العصر فكيف وهو لم يقيده، وما يدرينا لعل الله تعالى أجراه على لسان رسوله مطلقا ليدل على العموم لأمته في كل عصر بحسب ما يرمى به فيه . وهناك أحاديث في الحث على الرمي بالسهام، لأنه

---

[1] روي الحديث بلفظ: ((الحج عرفة))، أخرجه الترمذي باب " سورة البقرة" حديث رقم:2975 (214/5) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني ـ أخرجه الدارمي في سننه باب "بما يتمّ الحج" حديث رقم:1887 (82/2) دار الكتب العربية بيروت الطبعة الأولى 1407هـ تحقيق فواز أحمد زملي ـ أخرجه النسائي في سننه الكبرى باب "فرض الوقوف بعرفة" حديث رقم:4012 (424/2) دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1991م تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري.

[2] تفسير الرازي (148/16).

[3]

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

كرمي الرصاص في هذه الأيام. على أن لفظ الآية أدل على العموم لأنه أمر بالمستطاع موجه إلى الأمة في كل زمان ومكان كسائر خطابات التشريع حتى ما كان منها واردا في سبب معين"[1].

وكما بينه ρ في حديثه ((ألا إن القوة الرمي)) كررها ثلاث مرات، لأننا بالرمي نتمكن من عدونا ولا يتمكن هو منا، فإذا تفوقنا في الرمي كنا نحن المنتصرين عليه. ولكن السؤال كيف ينطبق ذلك على الحرب في العصر الحديث بعد أن تطورت الآلات الحربية والأسلحة الفتاكة..؟.وللشيخ محمد متولى الشعراوي جواب لهذا السؤال حيث يقول: " لقد صارت المدفعية لفترة من الزمن هي السلاح، لأنها المحقق للنصر لبعد مداها، ثم جاءت الطائرات لتصبح هي السلاح الأقوى، لأنها تستطيع أن تقطع مسافة طويلة وتلقي بقنابلها وتعود. وصارت قوة الطيران هي التي تحدد المنتصر في الحرب، لأنها تلحق بالعدو خسائر جسمية دون أن يستطيع هو أن يرد عليها مادام غير متفوق في الطيران، ثم بعد ذلك جاءت الصواريخ والصواريخ عابرة القارات، إلى آخر الأسلحة المتطورة التي تتسابق على اختراعها الدول الآن، وكلها أسلحة بعيدة المدى، والهدف أن تنال كل دولة أرض عدوها ولا يستطيع هو أن ينال أرضها"[2].

ومن هنا نعلم جميعا بأن لفظ (القوة) في الآية أدل على العموم لأنه أمر بالمستطاع موجه إلى الأمة في كل زمان ومكان. لأن من قواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطيارات والمناطيد وإنشاء السفن الحربية بأنواعها ومنها الغواصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلّم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب بدليل "ما لا يتمّ الواجب المطلق إلا به فهو واجب" وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله ρ في غزوة خيبر[3] وغيرها. وكل الصناعات التي عليها مدار المعيشة من فروض الكفاية كصناعات آلات

---

(1) تفسير المنار (52/10).

(2) تفسير الشعراوي (4777/8).

(3) أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المتوفى سنة 207هـ . (646/2، 670) عالم الكتب بيروت - لبنان، حققه سنة الطبع ..

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

القتال[1]. وأضيف على ذلك بأنه ρ قال لنا جميعا: « مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَهُ دَرَجَةٌ »[2] وهذا يعني أن من رمى في سبيل الله وأصاب فإن له درجة في الجنة، والرمي يشمل كل رمي في كل زمان ومكان بحسبه، فكما أن الرمي في وقته بالنبل والنشاب والمنجنيق، فالرمي المناسب في هذا الوقت يكون بالبارود والمدافع على اختلاف أنواعها والقنابل والصواريخ والطيارات ، لأن النبي ρ أطلق الرمي ولم يعين ما يرمي به. *والله أعلم بالصواب*

2. يجب أن يكون للمسلمين عدة وعتاد لإرهاب العدوّ .

وإذا لاحظنا الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾ وجدنا بأن الله سبحانه وتعالى أشار إلينا بإعداد القوة والجند المدمربين لنرهب بها عدو الله وعدونا. يقول الشيخ الشيخ رشيد رضا في تفسير كلمة ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ :" أي مرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها وهي مداخل الأعداء ومواضع منها جمعهم البلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة، قوامه الفرسان لسرعة حركتهم وقدرتهم على الجمع بين القتال وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها" [3]. إذن أن الخيل حينذاك عبارة لسرعة الحركة والقدرة على الجمع بين القتال وفي إيصال الأخبار إلى سائر الأماكن. ويقول صاحب تفسير المنير: "ومن مرابطة الخيول في الثغور والحدود، لأنها منفذ الأعداء ومواطن الهجوم على البلاد، وقد كانت الخيول أداة الحرب البرية الرهيبة في الماضي، وما تزال لها أهميتها أحيانا في بعض ظروف الحرب الحاضرة، مثل حال استعمال السلاح الأبيض والتجسس ونقل بعض المؤن والذخيرة في الطرق الجبلية، وإن كان الدور الحاسم اليوم هو لسلاح الطيران، والمدافع والدبابات، والغواصات البحرية، فصار ذلك هو المتعين إعداده بدلا من الخيول، لأن المهمّ

---

(1) ملخص من تفسير المنار(10/53-54).

(2) أخرجه أبو داود في سننه باب "أي الرقاب أفضل" حديث رقم:3967 (4/53). وصححه الألباني.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

تحقيق الأهداف بحسب متطلبات العصر، ويكون المقصود هو إعداد جيش دائم مستعد للدفاع عن البلاد [1].

يقول الشيخ المتولي الشعراوي في حق كلمة ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ : " ورباط الخيل هوالقوة التي تحتل الأرض، فمهما بلغت قدرتك في الرمي فأنت لا تستطيع أن تستولى على أرض عدوك، ولكن راكبى الخيل كانوا يدخلون المعركة في الماضي بعد الرمي ليحتلوا الأرض. وهذه عملية تقوم بها المدرعات الآن. فالمعركة تبدأ أولا رميا بالصواريخ والطائرات حتى إذا حطمت قوة عدوك انطلقت المدرعات لتحتل الأرض، فالطائرات والصواريخ تهلك العدو وتحطمه ولكنها لا تأخذ الأرض. ولكن الذي يمكننا من الأرض والاستيلاء عليها هو: رباط الخيل، أو المدرعات، ورباط الخيل هو عقده للحرب، أي أن الخيل تُعد وتُعلف وتدرب وتكون مستعدة للحرب في أية لحظة، تماما كما يأتي للمدرعات وتعدها إعدادا جيدا بالذخيرة، وتصلح ما كيناتها وتتدرب عليها لتكون مستعدا للقتال في أي لحظة. أي أنه لا ينتظر بل ينطلق لأي صيحة. ومن الإعجاز في الأداء القرآني أنه أعطانا ترتيبا للحرب، فالحرب أولا تبدأ بهجوم يحطم قوى العدو بالرمي، سواءا كان بالصواريخ أم بالطائرات أم بغيرهما، ثم بعد ذلك يحدث الهجوم البري، ولا يحدث العكس أبدا. ورتب الحق سبحانه وتعالى وسائل استخدام القوة أثناء القتال، فهي أولا الرمي، وبه نهلك مكينا[2] ثم نستولى على المكان، وكان ذلك يتم برباط الخيل الذي تقوم مقامه المدرعات الآن"[3].

وهذه القوة التي نعدّها يجب أن تكون مرهبة للعدوّ لأن الآية الكريمة تنصّ ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ بأنّ السبب من إعداد القوة هدفه هو إرهاب عدو الله وعدو المسلمين من الكفار الذين ظهرت عداوتهم. يقول الشيخ الشعراوي: "إن من إعداد القوة هو إرهاب العدو حتى لا يطمع فيكم، لأن مجرد الإعداد للقوة، هو أمر يسبب رهبا للعدو. ولهذا تقام العروض العسكرية ليرى الخصم مدى قوة الدولة، وحين تبين لخصمك القوة التي تملكها لا يجترئ عليك، ويتحقق بهذا ما نسميه بلغة العصر(التوازن السلمي)

---

[1] تفسير المنير (51/10).

[2] فلان عند الناس مكانة عظم عندهم فهو مكين (ج) مكناء، وفي التنزيل العزيز : "قال إنك اليوم لدينا مكين أمين" (انظر المعجم الوسيط ألفه [illegible] الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار (881/2) دار الدعوة، دون سنة الطبع).

[3] (4778 477).

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بين مجموعات من الدول، بالإضافة إلى العامل الاقتصادي المكلف للحرب، فالقوة الآن لا تقتصر على السلاح فقط، ولكن تعتمد القوة على عناصر كثيرة منها الاقتصاد والإعلام وغيرهما. وصار الخوف من رد الفعل أحد الأسباب القوية المانعة للحرب. وكل دولة تخشى مما تخفيه أو تظهره الدولة الأخرى. وهكذا صار الإعداد للحرب ينفي قيام الحرب"[1].

فأقول وهذا لا يكون إلا إذا كانت قوتنا أكبر من قوتهم أو على الأقلّ في نفس المستوى، أي إذا كان لديهم القنبلة الذرّية أو النووية فعلينا أن نمتلك أيضا كما يملكون أو هي أكبر منها، لأنه لا تحارب القوة إلا بالقوة، ولا تحارب القوة بالحجة ولكن بمثلها، أو كما يقول القائل: "لا يفل الحديد إلا الحديد". وليس شرطا أن ينتظر المسلمون حتى يروا أمارات السوء، والشر والعدوان من قبل الأعداء المعروفين فيبدءون في أخذ وسائل الدفاع، فالكفار إذا علموا استعداد المسلمين، وتأهبهم للجهاد، واستكمالهم لجميع الأسلحة والآلات، خافوا منا وأعادوا نظرهم في الهجوم علينا لأن الخوف كما يقول العلماء من ردّ الفعل أحد الأسباب القوية المانعة للحرب. فواجب الأمة الإسلامية أنها تهيئ نفسها بصفة دائمة ومستمرة إلى ضرورة الاستعداد، حيث إن هذا الإعداد والاستعداد جزء من العقيدة، وركن من العبادة. وأصلا إن الأمة الإسلامية تملك من الطاقات البشرية، والعقول الفكرية، والإمكانيات المادية، والمواقع الاستراتجية، ما يمكنها من أن تكون أعظم قوة في الأرض. وقد عرفها العدوّ فعلا حيث إن الدول القوية (الولايات المتحدة) تحرص على حرمان الدول الإسلامية من امتلاك الأسلحة القوية المتطورة ذات القوة التدميرية العالية مع أن هذه الدول تمتلك هذه الأسلحة وتستخدم في معاركها ضد أعدائها، وتهدد باستخدامها ضدّ من يحاول امتلاكها، ولم تتوقف مراكز أبحاثها عن النظر في هذه الأسلحة وتطويرها وابتكار أشكال جديدة منها، وهو ما يعني إصرار هذه الدول على التفرد بالقوة الحقيقية في العالم، واستخدام الأسلحة المتطورة ذات القوة التدميرية العالية ضد من يحاربونهم.

وأضرب هنا مثالا لما قلته قبل قليل، إن باكستان وإيران - هما من العالم الإسلامي - تملكان القنابيل الذرّية أو النووية - كأسلحة ذات القوة التدميرية العالية - حاليا (ولا تزال مراكز أبحاثهما في محاولة تتطويرها إلى الآن)، والولايات المتحدة كدولة قوية

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

تحرص على حرمانهما من امتلاكها، فقامت بالمؤامرات ضدهما على صورة المقاطعة الاقتصادية والعسكرية(نحو إيران)هدفا في تضعيف طاقة البلاد وإيقاف برامج تطوير تلك الأسلحة وابتكارها. وتمويل الحركات ضد الحكومة(نحو باكستان) هدفا من إيقاع الحروب الأهلية حتى تنقسم البلاد إلى الأقوام والأقاليم الصغيرة، ومن ثمّ تحاول الولايات المتحدة السيطرة عليهما.

والقوة في عصرنا الحاضر لا تقتصر على الأسلحة العسكرية فحسب، بل تعتمد على عناصر كثيرة كالاقتصاد، والإعلام، وتعلم العلوم الدنيوية وغيرها لتحمي ثغرا من ثغور الإسلام. ولكن الأهم فوق هذا وذاك هو الإيمان وشخصية صاحب هذه القوة. وكما بينا سابقا أن إعداد هذه القوة من باب الوجوب الكفائي لأن الأصل في الأمر الوجوب العيني. *والله أعلم بالصواب*

****

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الخامس :

من عوامل النصر " الصبر والمصابرة والمرابطة "

وأصل الصبر في اللغة الحبس، وكل من حبس شيئا فقد صبره[1]. أو هو التجلد وحسن الاحتمال، وعن المحبوب حبس النفس عنه وعلى المكروه احتماله دون جزع [2].

يقول الفيروزآبادي في معني الصبر والمصابرة والمرابطة:"فالصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة: مفاعلة من الرّبط وهو الشدّ. وسمّى المرابط مرابطًا لأَنَّ المرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفَزَع. ثمّ قيل لكلّ منتظر، قد ربط نفسه لطاعة ينتظرها: مرابط. وقيل فى تفسيره: اصبروا بنفوسكم، وصابروا بقلوبكم على البَلْوَى فى اللّه، ورابطوا بأَسراركم على الشوق إِلى اللّه. وقيل: اصبروا فى اللّه، وصابروا باللّه، ورابطوا مع اللّه لعلكم تفلحون فى دار البقاءِ. فالصبر مع نفسك، والمصابرة بينك وبين عدوّك، والمرابطة: الثبات وإِعداد العدّة؛ كما أَن الرّباط ملازمة الثغر لئلاً يهجُمه العدوّ. فكذلك المرابَطة أَيضًا: لزوم ثَغْر القلب؛ لئلاَّ يهجُم عليه الشيطان فيملكَه. أَو يُخربه أَو يشعِّثه[3].

فالمراد من إيراد هذه المفردات في عوامل النصر هنا إلزام صفة الصبر في نفوس المسلمين، ومصابرتهم على أعدائهم، ومرابطتهم في ثغر من ثغور الإسلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾[4]

يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية: "فالمصابرة، والمرابطة، وهي الرباط بمعنى مباراة الأعداء، ومغالبتهم في الصبر، وفي ربط الخيل كما قال:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ .... ﴾ على الأصل الذي قرره الإسلام من مقاتلتهم بمثل ما يقاتلوننا به، فيدخل في ذلك مباراتهم في هذا العصر بعمل البنادق، والمدافع، والسفن البحرية والبرية والهوائية، وغير ذلك من الفنون، والعدد العسكرية، ويتوقف ذلك كله على البراعة في العلوم الرياضية، والطبيعية، فهي واجبة على المسلمين في هذا العصر، لأن الواجب من

---

(1) لسان العرب (437/4).

(2) المعجم الوسيط باب "الصاد" (506/1).

(3) [illegible] (371/2).

[illegible] (200).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الاستعداد العسكري لا يتم إلا بها، وقد أطلق لفظ المرابطة عند المسلمين على الإقامة في ثغورالبلاد، وهي مداخلها على حدود المحاربين لأجل الدفاع عنها إذا هاجمها الأعداء، فإن هؤلاء يقيمون فيها ويقومون في أثناء ذلك بربط خيولهم، وخدمتها، وغير ذلك مما يحتاج إليه من الاستعداد. فإن الصبر، ومصابرة الأعداء، والمرابطة، والتقوى كلها من أسباب الفوز على الأعداء في الدنيا، كما أنها مع حسن النية، وقصد إقامة الحق والعدل- الذي هو شأن المؤمن- من أسباب سعادة الآخرة. وهذه الأعمال كلها اختيارية داخلة في مقدور الإنسان ، ولذلك أمر بها ، فعلمه إذا هو سبب فلاحه"[1].

وقال صاحب الكشاف: "اصبروا على الدين وتكاليفه(وصابروا) أعداء الله في الجهاد، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا. والمصابرة: باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه، تخصيصا لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها، مترصدين مستعدين للغزو" [2].

فخلاصة الكلام أن من أسباب الفلاح والحصول على نصرة الله سبحانه وتعالى التزام صفة الصبر في نفوس المسلمين، ومصابرتهم على أعدائهم، ومرابطتهم في ثغر من ثغور الإسلام استعددا لمواجهة الأعداء وقتالهم. وهذا لا يكون في حالة الحرب فقط بل في جميع الأحوال ومصالح المسلمين، لأن الحرب والغزو الذي نواجهه الآن أخطر بكثير من الغزو بالأسلحة في ميدان المعركة، وهو غزو الفكر الذي يمارسه الغرب والمستشرقون في زرع الشكوك والشبهات في قلوب شبان المسلمين اليوم نحو إيمانهم وعقائدهم هدفا من إيقاع الوهن في قلوب المسلمين. ومن هنا نعلم بأن الرباط والمرابطة في جميع حدود العالم الإسلامي برّا وبحرا وفي كل ثغر من ثغور الإسلام أمر هام لا يقوم به عامة الناس، بل يحتاج إلى شخصية معينة: مسلم، متّقي، شجاع، صبور، متمكّن في مجاله، وغير ذلك من الشخصيات النبيلة.

لأجل ذلك ورد في السنة النبوية عن فضائل الرباط والمرابطة، يقول رسول الله ρ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"[3].

---

(1) تفسير المنار (4/260 261).

(2) 48).

(3) صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب "فضل رباط يوم في سبيل الله" حديث رقم:2735 (3/1059).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وفي رواية مسلم: « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان»[1]. وفي رواية الترمذي : " أن رسول الله ρ قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولروحة يروحها العبد في سبيل الله أو لغدوة خير من الدنيا وما فيها "[2]. وغير ذلك من الأحاديث الواردة في فضائل الرباط والمرابطة في سبيل الله. *والله أعلم بالصواب*

❖ **ما يعين على الصبر ومصابرة الأعداء:**

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدنا أنه وعدنا بنعم كثيرة خاصة للمجاهدين والمرابطين في سبيله وهي التي تعين على الصبر ومصابرة الأعداء في الجهاد وفي الرباط، منها:

أ. **أن العاقبة والنصر للمؤمنين**

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[3] يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "لا تضعفوا بسبب ما جرى أي أن العاقبة والنصر لكم أيها المؤمنون، إن كنتم قد أصابتكم جراح، وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح. نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة"[4]. أي بأن الذي يصيبهم من القرح أو من الجراحة أو ألمها لا يجب أن يزيل جدّهم واجتهادهم في جهاد العدو ومصابرته وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا ولم يضعفوا لأجل ما أصابهم من قرح في القتال فأن لا يلحقكم - وأنتم مؤمنون - مع حسن عاقبتكم

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، **كتاب الإمارة، باب** "فضل الرباط في سبيل الله" حديث رقم:5047 (50/6).

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، باب "**فضل المرابط**" حديث رقم:1665 (188/4). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(3) [illegible]: 139 140).

(3)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وتمسككم بالحق أولى أن لا تفتروا ولا تضعفوا في مدافعتهم ومصابرتهم لما أصابكم من قرح [1].

وكأن هذه الآية تحرضنا وترفع حماستنا بنبئها أي أن العاقبة والنصر للمؤمنين حتى نصبر ونصابر ولا نضعف ولا نحزن أمام الأعداء مع وجود الجرحى والقتلى، لأن الأعداء أيضا أصيبوا كما أصبنا، ولا ينبغي للمجاهدين والمرابطين أن يضعفوا مع علمهم بحسن عاقبتهم من الثواب والجنة. *والله أعلم بالصواب*

ب. الدور الذي كلفنا الله به في أمره.

ومما يعيننا على الصبر ومصابرة الأعداء أمره سبحانه وتعالى الذي كلفنا به وهو القتال في سبيل الله، يقول تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ ﴾[2] أي أن الآية الكريمة تنص بأمره سبحانه الذي كلفنا به وهو القتال في سبيل الله أي مقاتلة الأعداء الذين همتهم قتال الإسلام و المسلمين، وبثّ الفتنة بينهم. يقول الشيخ ابن كثير في تفسير هذه الآية: " إن الآية الأولى أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ρ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت سورة براءة. وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[3] حتى قال هذه منسوخة بقوله:(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموثم) وفي هذا نظر لأن قوله :﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم كما قال:﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةً﴾[4] ولهذا قال في هذه الآية :﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾ أي لتكون همتكم منبعثة على

---

[1] تفسير الرازي (13/5).

[2] سورة البقرة (الآية:190 191).

[3] أسلم المدني أخذ معاني القرآن وروى عن والده وابن المنكدر توفي سنة اثنتين ومائة.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

قتالهم كما همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصا"[1].

هذه الآية تقول بأن قتال المشكرين أمر من عند الله سبحانه مصلحة للمسلمين عامة، لذالك علينا أن نصبر ونصابر في الرباط في سبيل الله تنفيذا لأوامره وابتغاء لمرضاته، لأن تركه مجلبة لعذابه سبحانه. *والله أعلم بالصواب*

ج. الرغبة في تحقيق الثواب الذي أعده الله للمجاهدين.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [2] يقول الشيخ رشيد رضا في المعنى من هذه الآية: "لا تحسبن يا محمد أو أيها السامع لقول المنافقين الذين ينكرون البعث أو يرتابون فيه فيؤثرون الدنيا على الآخرة لو أطاعونا ما قتلوا أن من قتلوا في سبيل الله أموات قد فقدوا الحياة وصاروا عدما. وقرأ ابن عامر[3] قتلوا بضم القاف وتشديد التاء للمبالغة بل هم أحياء عند ربهم يرزقون في عالم غير هذا العالم هو خير منه للشهداء وغيرهم من الصالحين ، ولكرامته وشرفه أضافه الرب- تعالى- إليه فهذه العندية عندية شرف وكرامة لا مكان ومسافة . وقيل عندية علم وحكم ، وإذا كان الأمر كذلك فليس يضير أولئك الذين قتلوا في سبيل الله قتلهم. وأن المختار فيها(الحياة) أنها حياة غيبية لا نبحث عن حقيقتها ولا نزيد فيها على ما جاء به خبر الوحي شيئا فلا نقول كما قال بعض متكلمي المعتزلة إن المراد بقوله بل أحياء أنهم سيكونون في أحياءالآخرة"[4].

أي يخبر الله تعالى عن الشهداء: "بأنهم وإن قتلوا في الدنيا ، فإن أرواحهم حية مرزوقة في الدار الآخرة، والخطاب للرسول ρ أو لكل أحد ، والمعنى لا تحسبنّ أيها السامع لقول المنافقين المتقدم أن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا لا يجازون على أعمالهم التي قدموها ، بل هم أحياء في العالم الآخر، مقربون عند ربهم، ذوو زلفى، يرزقون مثلما يرزق سائر

---

[1] تفسير ابن كثير (211/1).

[2] سورة آل عمران (الآية:169).

[3] عبد الله بن عامر اليحصبي وكان قليل الحديث مات سنة ثماني عشرة ومائة (انظر: الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري 449/7 دار صادر – بيروت، دون سنة الطبع

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الأحياء، يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء، ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله. فالعندية (عند الله) هنا عندية كرامة ومكانة وتشريف، وهي تقتضي غاية القرب، لا عندية مكان ومسافة وقرب وحدود. والحياة التي أثبتها القرآن الكريم للشهداء حياة غيبية، لاندرك حقيقتها، ونؤمن بها كما أخبر القرآن"[1].

وقد وردت الأحاديث بروايات مختلفة تتحدث عن هذه الآية، منها: عن عبد الله ابن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال « أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[2].

وعن ابن عباس[3] قال: قال رسول الله ρ : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه : أنا أبلغهم عنكم. قال : فأنزل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)»[4].

وعن ابن مسعود[5] : أنه سئل عن قوله { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون } فقال: "أما إنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم في طير

---

[1] تفسير المنير(4/164- 165).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب "في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون" حديث رقم 4993 (38/6).

[3] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه وقال عمر لو أدرك بن عباس أسناننا ما عشره منا أحد مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة.(انظر:تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني 309/1) .

[4] أخرجه أبو داود في سننه، باب "في فضل الشهادة" حديث رقم:2522 (322/2).

[5] عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش فاطلع إليهم ربك اطلاعة فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم ؟ قالوا ربنا وما نستزيد ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا ؟ ثم أطلع إليهم ثانية فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم فلما رأوا أنهم لم يتركوا قالوا تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى"[1].

من خلال تفاسير هذه الآية الكريم والأحاديث المختلفة أقول: إن الشهداء عندهم المكانة الخاصة عند الله سبحانه وتعالى، ومن لم ينهزم أمام العدو، وصبر وثبت، وقاتل حتى قُتل، له منزلة عالية وأن أرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين في الحياة الغيبية يرزقون فيها كما بينت الأحاديث السابقة، ومعرفة هذا الثواب وهذا الفضل مما يعين المرابطين والمجاهدين على الصبر والمصابرة مع الأعداء في سبيل الله، *والله أعلم بالصواب*.

****

[1] سورة آل عمران" حديث رقم: 3011 (231/5). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وصححه في سنن الترمذي.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب السادس:

من عوامل النصر " ذكر الله "

والمراد بذكر الله هنا ذكر قدرته ووعده بنصر رسله والمؤمنين في جميع الأحوال خاصة في مواطن الحرب أي مستظهرين بذكره، مستنصرين به، داعين له على الأعداء، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1]. إن الآية الكريمة تدلنا على تعليم الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، فأمر الله تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم فلا يفرّوا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه، بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم[2]. ويقول صاحب الكشاف: "وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره"[3].

وبذكرالله في القلب واللسان، والتضرع والدعاء بالنصر والظفر هو من أسباب النصر لأنه لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى. وذكر الله في أثناء القتال يحقق معنى العبودية لله، ويشعر بمعنى الإيمان والتفويض لله والتوكل عليه، ويقوي الروح المعنوية، فبذكره تطمئن القلوب، ويؤمّل النصر والفرج، وبدعائه تتبدد الكروب والمخاوف، ويحلو الموت في سبيل الله عزّ وجلّ. أي هذا الثبات وذكر الله من وسائل الفوز بالأجر والثواب، والنصر على الأعداء[4].

ومن ثمرات ذكر الله سبحانه في القلب واللسان والدعاء، على أنه يعيننا على الثبات على الشدائد، خاصة في ميدان القتال. يقول الشيخ الشعراوي في الأمر بذكر الله بعد الثبات في تفسير الآية الكريمة: "إن الله سبحانه وتعالى هو خالق النفس البشرية وهو العليم بها حين تكون أمام قوة لم تحسب حسابها وكيف تعاني النفس من كرب عظيم، خصوصا إذا كان ذلك في ميدان القتال، ولذلك طلب من المؤمنين أن يتذكروا

---

(1) سورة الأنفال (الآية:45).

(2) تفسير ابن كثير (819/2).

(3) تفسير الكشاف (214/2).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

دائما أنهم ليسوا وحدهم في المعركة وأنه سبحانه وتعالى معهم، فليذكروا هذا كثيرا ليوالي نصرهم على عدوهم، لأنهم إذا ما داوموا على ذكر الله تعالى فسيقوى هذا الذكر إيمانهم، ويجعل في قلوبهم الشجاعة اللازمة لتحقيق النصر. وذكر الحق كلمة ﴿كَثِيرًا﴾ هنا يعني أن الإنسان قد يذكر الله عند اليأس فقط، فإن جاءت الحياة بعد ذلك بالرخاء فقد ينسى ذكر الله، لذلك يؤكد سبحانه وتعالى هنا أن يكون ذكر الله كثيرا، ليوالي الله نصر المؤمن على عدوه. وذكر الله كثيرا معناه أنك تشعر في كل لحظة أن الله سبحانه وتعالى معك فتخشاه وتحمده وتستعين به. وهكذا تكون الصلة دائمة بينك وبين الله- عز وجل- في كل وقت"[1].

فخلاصة الكلام أن الأمر بذكر الله سبحانه قلبا ولسانا أهم عنصر يعيننا على الشجاعة والثبات أمام الأعداء أو القوة لم تحسب حسابها خاصة في المعارك، ودوام ذكره قلبا ولسانا يذكّرنا أننا لسنا وحدنا بل معنا ربّ العرش العظيم. وهذا من تعليم الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين في مواجهة الأعداء، فلا يمكن لجيش قديم أو حديث أن يتخلى عن هذه النصائح التي تكون سببا في الحصول على النصر والتقدم والغلبة. غير أنه ρ يحذرنا من تمنى لقاء العدو كما ورد في السنة النبوية: « يأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ».ثم قال النبى ρ «اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم»[2].

وهذا ما يتحلّى به الرسل والأنبياء وأولياؤه سبحانه في مواجهة الشدائد، نعرف سويا كيف نجا رسول الله ρ وأبو بكر الصديق إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، كما يقول القرآن:﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[3]. ونجاة موسى عليه السلام وبني إسرائيل حين وصلوا إلى شاطئ البحر ووجدوا أمامهم الماء، ونظروا خلفهم ورأوا جنود فرعون مقبلين من بعيد،

---

(1) ملخص من تفسير الشعراوي (8/ 4722 4723).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير باب "لا تتمنوا لقاء العدو" حديث رقم2861 (3/ 1101) واللفظ له . و مسلم، باب "كراهية تمنى لقاء العدو والأمر رقم:4640 (5/ 143). وأبو داود باب "في كرثية تمنى لقاء العدو" حديث رقم:2633 (2/ 346).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وليس لهم من طريق للنجاة باستخدام الأسباب العادية في هذا الكون، ولكن موسى - عليه السلام - بدوام ذكره سبحانه وقوة إيمانه بالله تعالى رفع الأمر من الأسباب إلى المسبب، وإذا بالله يأمره أن يضرب بعصاه البحر، فينفلق وتظهر الأرض اليابسة، ويعبر بنو إسرائيل البحر. كما يقول الله تعالى في كتابه: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾[1]. هاتان القصتان وغيرهما من القصص ترشدنا إلى أن ذكر الله سبحانه قلبا ولسانا جدير أن يفعله المسلم والجماعة المسلمة سلما وحربا. *والله أعلم بالصواب*

****

[1] - 63 -

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب السابع:

ومن عوامل النصر " الأخذ بالحذر "

والحذر في اللغة: احتراز عن مخيف، ورجل حَذِر وحَذُر أي متيقِّظ ومتحرِّز[1].

والمراد بالأخذ بالحذر في هذا المقال أن يكون المؤمنون متيقظين ومستعدين دائما لأعدائهم في جميع الأحوال خاصة في ميدان الحرب. يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾[2] . يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوّهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد[3]. وكأن الحذر هنا الآلة التي تقي بها النفوس وتعصم بها الأرواح، والمعنى إذن: احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوا من أنفسكم[4].يقول الشيخ الشعراوي في معنى هذه الآية: "فكلمة (خذ حذرك) هذه دليل على أن هذا الحذر مثل السلاح، مثل ما يقولون: خذ بندقيتك، خذ سيفك، خذ عصاك، فكأن هذه آلة تستعد بها في مواجهة خصومك وتحتاط لمكائدهم، ولا تنتظر إلى أن تغير عليك المكائد، بل عليك أن تجهز نفسك قبل ذلك على احتمال أن توجد غفلة منك، هذا هو معنى أخذ الحذر" [5].

ولكن كيف تطبق "الأخذ بالحذر" في أيامنا الحاضر؟ وكيف كان الرسول ρ يضرب لنا مثالا في هذه القضية، لأن الحذر كما يقوله المفسرون كأسلحة معنوية في السلم والحرب. يقول الشيخ رشيد رضا: يقول الإمام محمد عبده [6]:"الاحتراز والاستعداد لاتقاء شر العدو وذلك بأن نعرف حال العدو ومبلغ استعداده وقوته ، وإذا كان الأعداء متعددين فلا بد من أخذ الحذر من معرفة ما بينهم من الوفاق والخلاف ، وأن تعرف الوسائل لمقاومتهم إذا هجموا ، وأن يعمل بتلك الوسائل. ويدخل في ذلك معرفة حال العدو ، ومعرفة أرضه وبلاده ، طرقها ومضايقها وجبالها وأنهارها ، فإننا إذا اضطررنا في تأديبه إلى دخول بلاده فدخلناها ونحن جاهلون لها كنا على خطر، ويدخل في الاستعداد

---

(1) بصائر ذوي التمييز (441/2).

(2) سورة النساء (الآية:71).

(3) تفسير ابن كثير (475/1).

(4) تفسير الكشاف (564/1).

(5) تفسير الشعراوي (2396/4).

(6) رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني البغدادي الأصل، من آل البزركاني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد في الاسلام، توفي في سنة

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

والحذر معرفة الأسلحة واتخاذها واستعمالها ، فإذا كان ذلك يتوقف على معرفة الهندسة والكيمياء والطبيعة وجر الأثقال فيجب تحصيل كل ذلك كما هو الشأن في هذه الأيام ، ذلك أنه أطلق الحذر، أي : ولا يتحقق الامتثال إلا بما تتحقق به الوقاية والاحتراز في كل زمان بحسبه". يقول الشيخ رشيد رضا: والمراد من كلام الشيخ "أنه يجب على المسلمين في هذا الزمان اتخاذ أهبة الحرب المستعملة فيه من المدافع بأنواعها والبنادق والبوارج المدرعة وغير ذلك من أنواع السلاح وآلات الهدم والبناء وكذلك المناطيد الهوائية والطيارات، وأنه يجب تحصيل العلم بصنع هذه الأسلحة والآلات وغيرها وما يلزم لها، والعلم بسائر الفنون والأعمال الحربية وهي تتوقف على ما أشار إليه من العلوم الأخرى كتقويم البلدان وحرث الأرض"[1].

وقد كان النبي ρ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عارفين بأرض عدوهم، وكان للنبي ρ عيون وجواسيس في مكة يأتونه بالأخبار، ولما أخبروه بنقض قريش العهد استعد لفتح مكة، ولما جاء أبو سفيان لتجديد العهد لظنه أنهم لم يعلموا بنكثهم لم يفلح وكان جواب النبي ρ والصحابة له واحدا .وقال أبو بكر لخالد يوم حرب اليمامة: "حاربهم بمثل ما يحاربونك به، السيف بالسيف والرمح بالرمح "، وهذه كلمة جليلة، فالقول وعمل النبي وأصحابه كل ذلك دال على أن الاستعداد يختلف باختلاف حال العدو وقوته[2].

والأمر بأخذ الحذر أمر بالغ الأهمية في الحصول على النصر والفوز والفلاح لإعلاء كلمة الله سبحانه، حيث يطلبنا سبحانه بأن نأخذ حذرنا ولو أننا في أثناء الصلاة خاصة في ميدان المعركة، لأن أعداء الإسلام يودّون أن يغفل المسلمون عن الأسلحة والمتاع، لأن الغفلة أثناء القتال هي حلم للأعداء حتى يحققوا أهدافهم ويضربوا المسلمين ضربة واحدة، لأجل ذلك يقول تعالى في كتابه العزيز:﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ

---

(1) تفسير المنار (5/204).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾[1].

إن الآية الكريمة تبين كيفية صلاة الخوف أثناء الحرب حيث فيها الأمر بأخذ الحذر، ولكننا سوف نركز على ما نحن في صدده. تشير الآية الكريمة بأخذ الحذر والأسلحة حتى في الصلاة أو في حالة المريض بالجراح أو بغير الجراح من العلل. الأخذ بالأسلحة ربما فهمناه وعرفناه لأن الأسلحة شيء مرئيّ تدركه الأبصار وتلمسه الأيد. بخلاف الأخذ بالحذر، لماذا نأخذه وهو معنويّ غير مرئيّ ولا تدركه الأبصار. من هنا سوف أبين ما يجب على المقاتلين:

أ.الأخذ بالأسلحة، يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية:"والأسلحة جمع سلاح وهو كل ما يقاتل به، وإنما يحمل منه في حال إقامة الصلاة التامة الأركان ما يسهل حمله فيها كالسيف والخنجر والنبال من أسلحة الزمن الماضي ، ومثل البندقية على الظهر والمسدس في الحزام أو الجيب من أسلحة هذا العصر"[2].

ب.الأخذ بالحذر، أما الأخذ بالحذر فإنه سبحانه يصور المعنويات ويجسمها تجسيم الماديات حتى لا يغفل الإنسان عنها، فكأن الحذر آلة من آلات القتال، وإياك أيها المقاتل أن تغفل عنها، وهكذا يجسم الحق المعنويات لنفهم منها الأمر وكأنه أمر حسيّ [3].

وضحت لنا الآية الكريمة لأن نأخذ الحذر والأسلحة حتى في الصلاة ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾أي تمني أعداءكم الذين كفروا بالله وبما أنزل عليكم لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم التي بها بلاغكم في سفركم بأن تشغلكم صلاتكم عنها فيميلون حينئذ عليكم، أي : يحملون عليكم حملة واحدة وأنتم مشغولون بالصلاة واضعون السلاح تاركون حماية المتاع والزاد، فيصيبون منكم غرة فيقتلون من استطاعوا قتله، وينتهبون ما استطاعوا أخذه، فلا تغفلوا عنهم، ولا تجعلوا لهم سبيلا عليكم[4]. لأن المؤمن ساعة الصلاة يستغرق بيقظته

---

[1] سورة النساء (الآية: 102).

[2] تفسير المنار (5/304 305).

[3] (5/259).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

مع الله، ولكن على الإنسان ألا يفقد يقظته إن كان يصلى أثناء الحرب، فلا يصح أن ينسى الإنسان سلاحه أثناء القتال حتى وهو يصلى، فالقتال موقف لله، فلا تفصل القتال في سبيل الله عن الصلاة لله[1].

وتكرار كلمة الحذر في سورة النساء خاصة في هذه الآية تشيرنا إلى أنه تنبيه ضروري لا ينبغي غفله أي أن أخذ الحذر لا يعني أن الله تخلى عن المؤمنين، ولكن لتنبيههم أن يأخذوا بالأسباب، ولا يغفل عن الأسباب لأنه سبحانه هيأ وأعدّ العذاب المهين للكافرين[2].

فخلا صة الكلام أن الأخذ بالحذر من عوامل النصر المهمّة التي لا ينبغي للمحاربين غفلتها حتى في الصلاة وفي حالة المرض، وغفلة المحاربين عنها قد يكون تأجيلا للحصول على النصر والفوز، وحالة المسلمين اليوم أكبر دليل على أنهم أقل الناس حذرا من أعدائهم، حتى إن أكثر بلادهم ذهبت من أيديهم وهم لا يتوبون ولا يذكرون، ولا يتدبرون أمر الله سبحانه في هذه الآية وما في معناها ولا يمثلون أوامرها. وإذا كان الخطاب في الآية الكريمة للرسول ρ فإنه عام لجميع المؤمنين، ويكون أخذ الحذر نحو الأعداء اليوم يتمثل في الأمور والمجالات المختلفة لأن الحرب اليوم لا تكون حربا بالأسلحة فقط، بل تشمل جميع المجالات التي يكون القيام بها مقاومة الأعداء. *والله أعلم بالصواب*

---

(1) [illegible] (259/5).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثامن:

من عوامل النصر " تأليف القلوب "

والمراد بتأليف القلوب في هذا الموضوع هو تأليف قلوب المسلمين بجماع التواد والمساندة بأسس الإيمان والإسلام، لأنها إذا ظلت على تنافرها ما استطاع المسلمون مواجهة أعداء الإسلام ونصرة دينهم.

إن تنافر القلوب بين المسلمين من إحدى الجراثيم التي تأكل صفوف المسلمين كما تأكل النار الحطب، وهو واقع في الحال فيزداد الضعف في نفوسهم آنا بعد آن. وقد أبان الله تعالى كيفية التخلص من هذا المرض كما أبان الله كيفية تأييده بالمؤمنين وتوحيد صفوفهم واجتماع كلمتهم، فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[1] أي جمعها على الإيمان بك ρ وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك[2]. أي أنه تعالى جعلهم أمة واحدة متآلفة، متعاونة في مناصرتك، بعد ما كان الحال بين الأوس والخزرج [3] من الأنصار، ثم أزال الله كل تلك الخلافات بنور الإيمان، كما قال تعالى:﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا .....﴾[4][5]. " إذن هي دليل على أن النصر ينال بالأسباب، وأن ذلك يتوقف على التآلف والاتحاد، وكل ذلك بفضل مقدر الأسباب ورحمته بالعباد، ولذلك قال: لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعني أنه لولا نعمة الله عليهم بالإيمان، وأُخوته التي هي أقوى عاطفة ومودة من أُخوة الأنساب والأوطان، لما أمكنك يا محمد أن تؤلف بين قلوبهم بالمنافع الدنيوية، ولو أنفقت جميع ما في الأرض من الأموال والمنافع في سبيل هذا التأليف" [6].

---

[1] سورة الأنفال (الآية:63).

[2] تفسير ابن كثير (825/2).

[3] وهما اسم قبيلتي الأنصار (انظر لسان العرب: 572/11) .

[4] سورة آل عمران (الآية:103).

[5] تفسير المنار (57/10).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وقوله :(لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) ، يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية: "لم تكن المسألة في تأليف القلوب مسألة احتياج إلى مال، لأن المال لا يمكن أن يعطى الحب الحقيقي، ولذلك فهناك بين الناس ارتباط مصالح وارتباط قلوب، وارتباط المصالح ينتهى بمجرد أن تنتهي هذه المصالح، لكن ارتباط القلوب يتحدى كل الأزمات، وأنت لا تستطيع أن تجعل إنسانا يحبك حقيقة مهما أعطيته من مال، لأن الحب الحقيقي لا يشترى ولا يباع، إنما يشتري النفاق والتظاهر وغير ذلك من المشاعر السطحية"[1].

وهذه كلها دليل واضح على أن من أهم عوامل النصر هو التآلف واتحاد الكلمة. ولم يقتصر التأليف على تسوية المنازعات الجاهلية القديمة، وإنما شمل تسوية المنازعات الجديدة التي حدثت بعد الإسلام، كما وقع الخلاف بين المهاجرين والأنصار، حين قسمة الغنائم في حنين [2]، وقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ρ لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم: " يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا، فهداكم الله بي، وعالة [3] فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي " [4].

وأقول إن أحوال المسلمين و العالم الإسلامي اليوم كحال العرب قبل مجيء الإسلام، كانوا أمة مشتتة مفرقة حتى جاء الإسلام فجمعها، لم تجتمع تحت لواء قريش، ولم تجتمع تحت راية الأوس أو الخزرج، إنما جمعتهم ووحّدتهم كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله". وهي كأحوالنا الآن منشغلين بالعصبيات ومتفرقين بالقوميات والوطنيات والإقليميات، حتى أصبح أهل الوطن الواحد يتفرقون إلى شيع وأحزاب ولم نزل في هذا الطريق حتى ذبحنا الأعداء وغصبوا منا القدس وفلسطين، والأندلس، وأفغانستان، والعراق وغيرها من بلاد المسلمين. ولن ننتصر على اليهود والنصارى، ولن نحرّر القدس وتلك البلدان المحتلّة إلا إذا تألفت قلوب المسلمين وتوحدّت صفوفهم واجتمعت كلمتهم تحت راية الإيمان لإعلاء كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" . *والله أعلم بالصواب...*

المبحث الثاني:

---

[1] تفسير الشعراوي(4787/8).

[2] تفسير المنير (57/10).

[3] فقراء. (انظر:لسان العرب 488/11).

[4] أخرجه امام البخاري في صحيحه كتاب "المغازي" باب غزوة الطائف حديث رقم:4075 (1574/4) دار ابن كثير اليمامة بيروت. الطبعة مصطفى ديب البغا. ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب "إعطاء المؤلفة قلوبهم" حديث رقم:2493 (108/3).

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

معوّقات[1] النصر

المطلب الأول: من معوّقات النصر "التنازع والاختلاف"

والتنازع لغة :التخاصم، وتنازع القوم اختصموا[2]. والخلاف هو المضادة[3]، والاختلاف والمخالفة: أَن يأْخذ كلُّ واحد طريقاً غير طريق الآخر فى حاله أَو فعله. والخلاف أَعمّ من الضدّ، لأَنَّ كلَّ ضدّين مختلفان وليس كلّ مختلفين ضدّين. ولمّا كان الاختلاف بين النَّاس فى القول قد يقتضى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: {فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ}[4].

والمراد بالتنازع في هذا المجال هوالتنازع الذي يدعو إلى تشتيت الأمة وتفرقها المفضي إلى أسباب الضعف والجبن في نفوس المسلمين. والمراد بالاختلاف في هذا المقام هو الاختلاف المذموم الذي يؤدي إلى تفرق الأمة وانعدام التناصر فيما بين المختلفين لما يورثه الخلاف من كراهية وربما عداوة فيما بينهم، واعتقاد كل طرف ببطلان ما عند الطرف الآخر، وقد يؤول الأمر إلى استباحة قتال بعضهم البعض.

وقد قال تعالى في النهي عن هذه الأمور: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[5] فالاختلاف والتنازع مدعاة للفشل، " وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر ومن أكبر أسباب الضعف والجبن، ولذلك فسروا قوله تعالى: ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ أي فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي تذهب قوتكم ودولتكم، فقد شبهت الدولة في نفاذ أمرها بالريح وهبوبها"[6]. يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية: "هذا النهي مساق للأمر بالثبات وكثرة الذكر، وبطاعة الله والرسول، ومتم للغرض منه، فإن الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل، وهو

---

(1) من كلمة عوق بمعنى امتنع. فأريد بكلمة "بمعوقات النصر" أي الأمور التي تمتنع أو تسبب تأخير النصر. (انظر: المعجم الوسيط 637/2).

(2) لسان العرب (349/8) .

(3) المصدر السابق (90/9).

(4) بصائر ذوي التمييز (737/1)، والآية من سورة الزخرف رقم: 65.

(5) [illegible] (الآية 46).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر، وأكثر أسبابه الضعف والجبن، ولذلك فسروه هنا بهما"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأمرنا الله تعالى بالاجتماع والائتلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف"[2]، وما قاله ابن تيمية حق نطق به القرآن الكريم: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[3]، وقال الرسول ρ: (لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[4]. وفي حديث أخرجه الترمذي يسنده عن رسول الله ρ قال: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد....."[5].

ووجود هذا النهي عن الاختلاف والتنازع في ديننا لإمكان وقوعهما بين المسلمين خاصة وبين البشر عامة، إما على صورة الأفراد أو على صورة الجماعات. ولأنهما علّة هلاك الأمة. كما أخبرنا بذلك رسول الله ρ في الحديث السابق وفي رواية أخرى عند الإمام مسلم: "عَنِ ابْنِ شِهَابٍ[6] أَخْبَرَنِى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[7] وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ[8] قَالاَ قَالاَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلاَفُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ »[9].

---

(1) تفسير المنار (23/10).

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية (116/19).

(3) سورة آل عمران (الآية:103).

(4) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي حديث رقم:2279 (849/2).

(5) أخرجه الإمام الترمذي في سننه حديث رقم:2465 ـ باب لزوم الجماعة (465/4). قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ وصححه الألباني .

(6) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن مهاجر بن الحارث بن زهرة. (تهذيب التهذيب: 267/12) .

(7) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ثقة مكثر من الثالثة مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة وكان مولده سنة بضع وعشرين. (تقريب التهذيب: 409/2) .

(8) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل وقال بن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علما منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين . (تقريب التهذيب: 241/1) .

(9) كتاب الفضائل، باب "توقيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف حديث رقم:6259 (91/7) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها، فهو أيضا يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها. ولهذا كان شر ما تبتلى به الجماعة المسلمة وقوع الاختلاف المذموم فيما بينها بحيث يجعلها فرقا شتى، بحيث ترى كل فرقة أنها على حق وصواب وأن غيرها على خطأ وضلال، وتعتقد كل فرقة أنها هي التي تعمل لمصلحة الدعوة. وهيهات أن تكون الفرقة والتشتت والاختلاف المذموم في مصلحة الدعوة أو أن مصلحة الدعوة تأتي عن طريق التفرق، ولكن الشيطان هو الذي يزين الفرقة والتفرق في أعين المتفرقين المختلفين فيجعلهم يعتقدون أن اختلافهم وتفرقهم في مصلحة الدعوة. والاختلاف في الجماعات لا يقف تأثيره عند حد إضعاف الجماعة وإنما يضعف تأثيرها في الناس وتجعل المعارضين ينفثون باطلهم في الناس [1].

فخلاصة القول، أن التنازع والاختلاف المذموم من الأمور التي نهى عنها الله ورسوله، لأنها تفضي إلى ضعف الأُخوة الإسلامية فردا وجماعة، وإلى تشتت الأمة الإسلامية. وإذا نظرنا إلى حالنا اليوم وجدنا أن الأمة الإسلامية أو العالم الإسلامي منشغل بالتنازع والاختلاف الداخلي بين الجماعات وأحزاب السياسة التي تؤدي إلى الحروب الأهلية وإراقة دماء الأبرياء، ومن ثمّ ذهبت قوتهم ودولتهم وجبنوا أمام الأعداء. والمفروض على الأفراد والجماعات المسلمة تقديم الوحدة الإسلامية واجتناب الاختلاف والتنازع مع وجود التفاهم بين الجماعات والأحزاب، لأن أعداء الإسلام لا يفرق بين هذه الجماعة وتلك. *والله أعلم بالصواب*

****

(1) .(141 1

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثاني:

من معوقات النصر "البطر و الرياء"

ومن أسباب تأخر النصر الغرور والخروج للقتال على وجه البطر والفخر والرياء . والمراد بالرياء هنا: أن يعمل المرء ما يليق أن يراه الناس منه ويثنوا عليه ويعجبوا به وإن كان تلبيسا ظاهره غير باطنه. وقال بعضهم هو إظهار الحسن وإخفاء القبيح أي لأجل الثناء والإعجاب [1]. والله سبحانه وتعالى لا يعطي نصره إلا لمن خرج ابتغاء مرضاته ونصرة دينه، ولهذا نهى الله تعالى المسلمين عن مثل هذا الخروج، فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[2]. نزلت الآية في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ، ولهم بغي وفخر ، فقال رسول الله ـ ρ : " اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني " [3] قالوا : ولما رأى أبو سفيان[4]أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجاها الله فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرا ـ وكان موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام ـ فنقيم ثلاثا فننحر الجزور ، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا. فوافوها فسقوا كئوس المنايا مكان الخمر ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان. فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ρ [5].

ومعنى (بَطَرًا) أي فخرا وأشرا (وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ) أي خرجوا ليثني عليهم الناس أي يمدحونهم بالشجاعة والسماحة. والمقصود نهي المؤمنين أن يكونوا أمثال أولئك (مشركي مكة حين خروجهم إلى بدر) في البطر والرياء، وأمرهم أن يكونوا أهل تقوى وإخلاص [6].

---

[1] تفسير المنار (23/10)

[2] سورة الأنفال (الآية:47).

[3] السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (168/3) تحقيق طه عبد الرءوف سعد دار الجيل ـ بيروت 1411هـ . المغازي للواقدي (59/1) .

[4] صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سفيان القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته وكان يكنى أيضا أبا حنظلة وأمه صفية بنت حزن الهلالية عمة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه و سلم وكان أسن من النبي صلى الله عليه و سلم بعشر سنين وقيل غير ذلك بحسب الاختلاف في سنة موته وهو والد معاوية . (الإصابة في تمييز الصحابة: 412/3) .

[5] تفسير المنار (366/2)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وهذه الحصال المذمومة أكثر ما يتصف بها الأفراد من المسلمين، وهي سلاح الشياطين ليجرّ أبناء آدم إلى حفرة من النار، فعلينا أن نتسلح بالعلم والإيمان، وتجديد النية في جميع الأعمال الصالحة. لأن الأعمال بالنية كما يقول - عليه الصلاة والسلام - : (إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[1]. فمن أحسن نواياه فله ثواب نيته، ومن أساء نواياه فإن الله عليم بذات الصدور.

يقول الشيخ عبد الكريم زيدان محذرا من فعل الرياء: "ولكن هذا لا يعني أنها لا تتوقى سخط الناس ولا ترغب في رضاهم، فرضا الناس يؤدي إلى ثقتهم بالجماعة، والثقة بها شيء مطلوب وضروري لها، ولكن لا يجوز للجماعة طلب رضا الناس بسخط الله، وإنما لها أن تترك ما هو مباح في ذاته أو مباح بالنسبة إلى آحاد الناس حتى تبعد عن نفسها الشكوك والشبهات التي يثيرها المبطلون وينفثونها في الناس"[2].

فخلاصة الكلام أنه مادمت الأفراد تتصف بها فقد تقع الجماعة الإسلامية فيها، فعلى الجماعة المسلمة وأفرادها التحلي بحسن المروءة، والتخلّي عن البطر والرياء في جميع العبادات والأعمال الصالحة خاصة في الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، لأنها قد تحرمنا من النصر الذي يأمله الجميع. *والله أعلم بالصواب*

****

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور باب "النية في الأيمان" حديث رقم:6311 (2461/6) وفي لفظ آخر: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) باب "كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله" حديث رقم: 1 (3/1) . ومسلم كتاب العمارة، باب "قوله - صلى الله عليه وسلم -: (إنما الأعمال بالنية) حديث رقم:5036 (48/6).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الثالث:

من الأمثلة في هذا المجال

المطلب الأول: تغيّر النصر في أحد

❖ **نبذة يسيرة عن غزوة أحد .**

كانت مكة تحترق غيظا على المسلمين مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد والأشراف، وبدأ أبو سفيان زعيم قريش يؤلب المشركين على رسول اللّه ρ ، فجمعوا الأموال، وجهزوا جيشا نحو ثلاثة آلاف مقاتل، فيهم سبعمائة دارع، ومائتا فارس، على رأسهم صفوان بن أمية.

فاستشار النبي ρ أصحابه، فأشار الشيوخ ومعهم عبد اللّه بن أبي[1] زعيم المنافقين في المدينة بالبقاء في المدينة والقتال في شوارعها، وكان رسول اللّه ρ يكره الخروج. وأشار الشباب بالحرب، ومعهم رجال لم يشهدوا بدرا، وقالوا : يا رسول اللّه، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا.

وما زالوا برسول اللّه ρ ، حتى دخل بيته ولبس وتجهز ووافق الأغلبية رأي القائلين بالحرب، ثم ندم الذين اقترحوا الخروج وقالوا: استكرهناك يا رسول اللّه! ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد، صلى اللّه عليك فقال: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته ـ درعه ـ أن يضعها حتى يقاتل»[2].

فخرج في ألف أو إلا خمسين رجلا من أصحابه، فيهم مائة دارع وفرسان فقط، ونزل الشّعب من جبل أحد(على بعد نحو 3 كم من شمال المدينة) يوم السبت سابع شوال في السنة الثالثة من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى « أحد » وسوى صفوفهم، فانتخب منهم فصيلة من الرماة الماهرين وهم خمسون رجلا، وأمّر عليهم عبد اللّه بن جبير[3] بن النعمان الأنصاري الأوسي البدري، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة

---

(1) أبو الحباب عبد الله بن أبي بن سلول المنافق . (الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، تأليف: الشيخ علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، باب "الكنى الآباء" (142/2) دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الأولى 1411هـ .

(2) أخرجه الدارمي في سننه،"باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم" حديث رقم :2159 (173/2) .

(3) من الأنصار شهد العقبة وبدرا واستشهد بأحد وكان أمير الرماة يومئذ (انظر: الإصابة في تمييز

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الجنوبية من واد قناة ـ وعرف فيما بعد بجبل الرماة ـ جنوب شرق معسكر المسلمين، على بعد حوالي مائة وخمسين مترا من مقر الجيش الإسلامي.

والهدف من ذلك هو ما أبداه رسول اللّه ρ في كلماته التي ألقاها إلى هؤلاء الرماة، فقد قال لقائدهم: "انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك"[1]. ثم قال للرماة:"احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا"[2] وفي رواية أخرى أنه قال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)[3]. وكان لواء رسول اللّه ρ مع مصعب بن عمير[4]، وعلى أحد الجناحين الزبير بن العوام[5]، وعلى الآخر المنذر بن عمرو[6]، وعلى ميمنة المشركين خالد بن الوليد[7]، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل[8]، ولواؤهم ولواؤهم مع طلحة بن أبي طلحة [9] من بني عبد الدار، وعلى رماتهم وكانوا مائة: عبد

---

(1) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي محمد عبد الملك بن هشام (11/3). دار الصحابة للتراث بطنطا ـ تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد الطبعة الأولى 1995هـ .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب "تفسير سورة آل عمران" حديث رقم:3163 (324/2). دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى 1411هـ . وأحمد بن حنبل في مسنده، مسند "عبد الله بن عباس" حديث رقم:2609 (369/4).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير. باب "باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه" حديث رقم: 2874 (1105/3). وأبو داود باب "في الكمناء" حديث رقم:2664 (5/3). واللفظ للبخاري

(4) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري أحد السابقين إلى الإسلام يكنى أبا عبد الله قال أبو عمر أسلم قديما والنبي صلى الله عليه و سلم في دار الأرقم وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه . (الإصابة في تمييز الصحابة: 123/6) .

(5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله حواري رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابن عمته أمه صفية بنت عبد المطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى (الإصابة في تمييز الصحابة: 553/2).

(6) المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الساعدي (الإصابة في تمييز الصحابة: 217/6) .

(7) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان أمه لبابة الصغرى بنت الحارث ابن حزن الهلالية وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه و سلم كان أحد أشراف قريش في الجاهلية. (الإصابة في تمييز الصحابة: 251/2) .

(8) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أسلم عكرمة عام الفتح وخرج إلى المدينة ثم إلى قتال أهل الردة ووجهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان فظهر عليهم ثم إلى اليمن ثم رجع فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد (الإصابة في تمييز الصحابة: 538/4) .

(9) عبد الدار القرشي العبدري قتل يوم أحد كافرا، ورد ترجمته في ترجمة ابنه يزيد بن مسافع (الإصابة في تمييز الصحابة:

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

اللّه بن أبي ربيعة[1]. ورجع زعيم المنافقين ـ عبد اللّه بن أبي بن سلول ـ مع ثلاثمائة من أصحابه. وكاد بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار ألا يخرجوا إلى أحد ، ثم وفقهم اللّه، فخرجوا ، وهو معنى قوله تعالى:

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[2] فلم يبق بعد رجوع المنافقين مع النبي ρ ρ إلا سبعمائة رجل.

و لما التقى الجمعان، قامت هند بنت عتبة[3] زوج أبي سفيان في نسوة يضربن بالدفوف، ويمشين وراء الصفوف. وقاتل أبو دجانة[4] الذي أخذ السيف من رسول اللّه ρ، ووعده بأن يأخذه بحقه، فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله. وقاتل حمزة بن عبد المطلب[5] قتالا شديدا ، وقتل عددا من الأبطال، ولما قتل مصعب بن عمير أعطى ρ الراية لعلي بن أبي طالب، وقتل وحشي[6] غلام جبير بن مطعم حمزة بحربة دفعها عليه، حتى خرجت من بين رجليه، فسقط شهيدا سيد الشهداء.

وانهزم المشركون، وسقط لواؤهم وكاد النصر يتحقق للمسلمين، لولا أن الرماة على ظهر الجبل خالفوا أمر النبي ρ ، وانحدروا يجمعون الغنائم، وفارقوا مكانهم.

---

(1) عبد الله بن أبي ربيعة واسمه عمرو وقيل حذيفة ويلقب ذا الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يكنى أبا عبد الرحمن كان اسمه بجيرا بالموحدة والجيم مصغرا فغيره النبي صلى الله عليه و سلم وهو أخو عياش بن أبي ربيعة لأبويه أمهما أسماء بنت مخرمة. (انظر الإصابة في تمييز الصحابة: 79/4).

(2) سورة آل عمران (الآية: 122).

(3) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية والدة معاوية بن أبي سفيان أخبار ها قبل الإسلام مشهورة وشهدت أحدا وفعلت ما فعلت بحمزة ثم كانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها ثم أسلمت هي يوم الفتح. (الإصابة في تمييز الصحابة: 155/8) .

(4) أبو دجانة الأنصاري اسمه سماك بن خرشة وقيل بن أوس بن خرشة متفق على شهوده بدرا وقال علي إنه استشهد باليمامة وأسند بن إسحاق من طريق يزيد بن السكن أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما التحم القتال ذب عنه مصعب بن عمير يعني يوم أحد حتى قتل وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراحة وقيل إنه ممن شارك في قتل مسيلمة وثبت ذكره في الصحيح لمسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه و سلم أخذ سيفا يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف بحقه فأخذه أبو دجانة ففلق به هام المشركين. (الإصابة في تمييز الصحابة: 119/7) .

(5) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمارة عم النبي صلى الله عليه و سلم وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب . (الإصابة في تمييز الصحابة: 121/2) .

(6) وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل قيل كان مولى طعيمة بن عدي وقيل مولى أخيه مطعم وهو قاتل حمزة قتله يوم أحد وقصة قتله له ساقها البخاري في صحيحه مطولة فيها قصة إسلامه وأمره النبي صلى الله عليه و سلم أن يغيب وجهه عنه وكان قدومه عليه مع وفد أهل الطائف بعد قتل مسيلمة يكنى أبا سلمة وقيل أبا حرب وشهد وحشي اليرموك ثم سكن حمص ومات بها. (الإصابة في تمييز

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ففطن خالد بن الوليد لمكان الضعف، فبادر من قناة مع خيل المشركين إلى تطويق المسلمين من أعلى جبل الرماة من الخلف، وانقض مع جيشه يفتك بالمسلمين، وشاع بين الناس أن محمدا قد قتل، فتراجع المسلمون وهربوا، وأصيب النبي ρ بالحجارة حتى وقع لشقه فكسرت رباعيته، وشج في رأسه وجرحت شفته، وسال الدم على وجهه، وغاب حلق المغفر في وجنتيه، وأصيبت ركبتاه، وجعل يمسح الدم ويقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله ». فأنزل الله عز وجل (ليس لك من الأمر شيء)[1]. وأخذ بيده علي ورفعه طلحة[2] حتى قام، ومص مالك بن سنان[3] الدم عن وجهه ρ وابتلعه.

وكان يوم بلاء شديد على المسلمين، استشهد فيه منهم سبعون رجلا، وعدة قتلى المشركين اثنان وعشرون رجلا. ووجد في ساحة المعركة حمزة سيد الشهداء، وكانت هند بنت عتبة قد بقرت بطنه وأخذت كبده ولاكتها، ولم تستسغها، وصرخ أبو سفيان بأعلى صوته:"الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اعلُ هبل"(صنم عند الكعبة) أي ظهر دينك. ولما انصرف ومن معه قال: "إن موعدكم بدر العام القابل،فقال النبي ρ : قولوا له : "هو بيننا وبينكم". ثم بحث رسول ρ عن عمه الحمزة، فوجده مبقور البطن، مجدوع الأنف، مصلوم الأذن، فحزن حزنا شديدا، ثم سجّاه ببردته، وصلى عليه، وكبر سبع تكبيرات، وصف إلى جانبه القتلى، وصلى عليهم ثنتين وسبعين صلاة. ثم دفن حمزة [4].

[4].

❖ **سبب تغير النصر في غزوة أحد**

يقول تعالى في كتابه العزيز:﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[5] اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم بدر أو

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي باب "ليس لك من الأمر شيء أن يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون" (1493/4). ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب "غزوة أحد" حديث رقم:4746 (179/5).

[2] طلحة بن عتبة الأنصاري الأوسي من بني جحجبي شهد أحدا واستشهد باليمامة (الإصابة في تمييز الصحابة: 533/3) .

[3] مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الأنصاري الخدري (الإصابة في تمييز الصحابة: 727/5) .

(43/4)

(12

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

يوم أُحد؟، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:"إن ذلك كان يوم أُحد، لأن كان عدوهم ثلاثة آلاف مقاتل، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة، تأخر الوعد الذي كان مشروطا بالثبات والطاعة"[1].

يقول الرازي في تفسير هذه الآية:"إن إنزاله خمسة آلاف من الملائة كان مشروطا بشرط أن يصبروا ويتقوا في المغانم ثم إنهم لم يصبروا ولم يتقوا في المغانم بل خالفوا أمر الرسول ρ ، فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط، وأما إنزال ثلاثة آلاف من الملائكة فإنما وعد الرسول بذلك المؤمنين الذين بوأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد، فهذا يدل على أنه ρ إنما وعدهم بهذا الوعد بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد، فلما أهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط"[2].

وهذه الآية لها صلة قوية في بيانها مع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] أي أن الوعد في هذه الآية: وعد الله للمسلمين بالنصر وهو قد وقع في أول النهار من يوم أُحد، كما دلّ عليه النص الأول[4]، وقد يحتمل أن يكون المراد به ما تكرر كثيرا في القرآن، وإنما قال النبي ما قال للرماة عملا بالقرآن وتأولا له فإنه تعالى قرن الوعد فيه بشروط لا تتم إلا بالطاعة والثبات[5]. بل يحتمل أن يكون المشار إليه هو النصر في بدر[6].﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ المشركين المشركين أي تقتلونهم قتلا ذريعاً بعنايته وتأييده لكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ ضعفتم في الرأي والعمل فلم تقووا على حبس أنفسكم عن الغنيمة، فقال

---

(1) تفسير ابن كثير (373/1).

(2) تفسير الرازي (124/8).

(3) سورة آل عمران (الآية: 152)

(4) تفسير ابن كثير (373/1).

(5) تفسير الرازي (149/4).

(6) .181

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بعضهم ما بقاؤنا هنا وقد انهزم المشركون؟ وقال الآخرون لا تخالفوا أمر الرسول ﴿ وَعَصَيْتُم ﴾ رسولكم وقائدكم بترك أكثر الرماة للمكان الذي أقامهم فيه يحمون ظهوركم بنضح المشركين بالنبل﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ من النصر والظفر فصبرتم على الضراء ولم تصبروا في السراء ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ كالذين تركوا مكانهم وذهبوا وراء الغنيمة ليصيبوا منها ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ كالذين ثبتوا من الرماة مع أميرهم عبد الله بن جبير وهم نحو عشرة وكان الرماة خمسين رجلاً. فعندما وصلتم إلى هذه الغاية لم تعودوا مستحقين لهذه العناية، لمخالفتكم لسنته في استحقاق النصر الذي وعد به أهل الثبات والصبر فعلى هذا تكون "حتى" للغاية و"إذا" في قوله﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ ﴾ ليست للشرط وإنما هي بمعنى الحين والوقت[1]. ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡ﴾ ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها﴿ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ ﴾ لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله ρ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يتفضل عليهم بالعفو، أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم، لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة [2].

من النصوص السابقة وتفاسيرها نستطيع أن نستنبط بعض القضايا التي تفضي إلى تغير النصر في غزوة أُحد بعد أن كان جيش الإسلام منتصرا في أول النهار:

أ. **عدم الصبر والتقوى في المغانم**، وذلك كما أشار إليه النص الأول ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾. والصبر والتقوى من شروط الحصول على النصر(إنزال خمسة آلاف من الملائكة) كما يقوله الرازي سابقا مستدلا بهذه الآية، ولما فات الشرط لا جرم فات المشروط، أي لما تعجلوا ولم يصبروا وطمعوا في المغانم، رُفع عنهم المدد والنصر، فتغير النصر في أول النهار بالهزيمة لعدم الصبر والتقوى في المغانم.

(1) تفسير الرازي (149/4).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ب. **التنازع والاختلاف والعصيان**، وذلك كما أشار إليه النص الثاني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ أي وقع التنازع والاختلاف بين الرماة المفضي إلى مخالفة وصية الرسول، فجماعة قالوا: نظل كما أمرنا الرسول:(لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا)[1]. وجماعة أخرى قالوا: فيم وقوفنا هنا وقد انهزم المشركون؟ نذهب إلى الغنائم، ولم يثبت إلا عبد الله بن جبير مع نفر من أصحابه. فلما ترك بعض الرماة الجبل، وأصبحوا هنا قلة، حمل خالد وأصحابه على أصحاب رسول الله ρ ، ولما حدث ذلك تأخر النصر وأحدقت الهزيمة بالمسلمين، ولم يعودوا مستحقين لهذه العناية والنصر. فمن هنا رُفع عنهم مددُ الملائكة والنصر، وأعقبهم بالبلاء والهزيمة.

ربما نتساءل لماذا كان البلاء والهزيمة يعمّ جميع أصحاب رسول الله ρ غير أن الذين خالفوا أمر رسول الله قلة منهم؟ صحيح أن الرماة لم يعصوا كلهم وإنما أولئك بعض عامتهم، وأما الخاصة الراسخون في الإيمان العارفون بالواجب فقد ثبتوا. وفي هذه المسألة قال ابن مسعود رضي الله عنه: "والله ماكنت أعلم أن أحدا من صحابة رسول الله يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد" أي لم يتصور أن من بين الصحابة من يريد الدنيا، بل كان يظن أنهم جميعا يريدون الآخرة، فلما نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ عرف ابن مسعود أن من الصحابة من تقلب به الأغيار. وذلك لا يقدح فيهم، لأنهم رأوا النصر، فظنوا أن المسألة انتهت، لقد سقطت راية الكفر، وقتل المؤمنون عددا من صناديد قريش. ولقد عفا الله عنهم من مخالفة لأمر رسول الله ρ[2].

فخلاصة الكلام أن الصبر والتقوى، وعدم الاختلاف والتنازع، وطاعة أمر الرسول من شروط النصر وعوامله، وهذه الغزوة محنة للمسلمين، وتربية للمؤمنين، وتعليمها لهم بأن النصر منوط باتخاذ الأسباب، وأن الهزيمة لا تعني نقصا في الإيمان واضطرابا في

---

(1) أخرجه البخاري صحيحه، كتاب المغازي باب "غزوة أحد" حديث رقم:3817 (1486/4) .

(2) .181

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

اليقين، بل هي زيادة الإيمان بأن إنجاز النصر مرهون بنصر الله تعالى ودينه، وتحقيق النتائج هو بيد الله سبحانه.

وأن الحكمة ما وراء هذه الهزيمة كما يقوله الشيخ الشعراوي:"إنما هو رياضة وتدريب على المنهج، كأنها غزوة مقصودة للابتلاء، فترون منها كل ما حدث. وبعد ذلك نجحت التجربة، فبعد هذه المعركة لم ينهزم المسلمون في معركة قط"[1]. *والله أعلم بالصواب.*

****

(1) .6182

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثاني:

التفرق أول الأمر في حنين

❖ نبذة يسيرة عن غزوة حنين

بعد أن فتح المسلمون مكة، انزعجت القبائل المجاورة لقريش من انتصار المسلمين على قريش.

وفزعت هوازن[1] و ثقيف[2] من أن تكون الضربة القادمة من نصيبهم. وقالوا لنغزو محمداً قبل أن يغزونا. واستعانت هاتان القبيلتان بالقبائل المجاورة، وقرروا أن يكون مالك بن عوف[3] سيد بني هوازن قائد جيوش هذه القبائل التي ستحارب المسلمين. وأمر رجاله أن يصطحبوا معهم النساء والأطفال والمواشي والأموال ويجعلوهم في آخر الجيش، حتى يستميت الرجال في الدفاع عن أموالهم وأولادهم ونسائهم.

لما علم الرسول ρ بذلك خرج إليهم مع أصحابه وكان ذلك في شهر شوال من العام الثامن للهجرة. واستعار رسول الله ρ من صفوان بن أمية[4] دروعا وسلاحا. وكان عدد المسلمين اثني عشر ألفاً من المجاهدين. عشرة آلاف من الذين شهدوا فتح مكة، وألفان ممن أسلموا بعد الفتح من قريش.

ونظر المسلمون إلى جيشهم الكبير فاغتروا بالكثرة وقالوا لن نغلب اليوم من قلة، كما ورد في بعض الرواية: عن ابن عباس عن النبى ρ قال «خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة».[5]

---

[1] قبيلة من قيس وهو هَوَازِنُ بن منصور بن عِكرمة بن حَفْصة بن قيس عَيْلانَ (لسان العرب: 436/13) .

[2] بنو ثقيف بطن من هوازن من العدنانية، واشتهروا باسم أبيهم فيقال: لهم ثقيف واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوزان.(انظر نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب للشيخ القلقشندي(69/1) نشره دار الأبياري القاهرة 1963).

[3] مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن أبو علي النصري وواثلة في نسبه ضبطت بالمثلثة عند أبي عمر لكنها بالمثناة التحتانية عند ابن سعد قال ابن إسحاق بعد ان ذكر قصة مالك بن عوف بوفد حنين كان رئيس المشركين يوم حنين ثم أسلم وكان من المؤلفة وصحب ثم شهد القادسية وفتح دمشق (الإصابة في تمييز الصحابة: 742/5) .

[4] صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو وهب الجمحي أمه صفية بنت معمر بن حبيب جمحية أيضا قتل أبوه يوم بدر كافرا(الإصابة في تمييز الصحابة: 432/3) .

[5] أخرجه أبو داود في سننه، باب "فيما يستحب من الجيوش" حديث رقم:2631 (341/2). قال أبو داود والصحيح أنه مرسل. والترمذي باب "السرايا" حديث رقم:1555 (125/4) قال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني . وابن خزيمة في صحيحه باب: "الخروج وكيفية الجهاد" رقم:2538 (140/4) قال الأعظمي: اسناده صحيح. وابن حبان باب: لأربعة في السر
17/قال شعيب الأرنؤوط: اسناده صحيح على شرط الشيخين. واللفظ لأبي داود .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وبلغ العدو خبر خروج المسلمين إليهم فأقاموا كميناً للمسلمين عند مدخل وادي أوطاس (قرب الطائف) وكان عددهم أربعة آلاف .

وأقبل الرسول ρ في أصحابه حتى نزلوا بالوادي. وكان الوقت قبيل الفجر، والظلام يخيم على وادي حنين السحيق. وفوجئ المسلمون بوابل من السهام تمطر عليهم من كل مكان. فطاش صوابهم، واهتزت صفوفهم، وفر عددٌ منهم . ولما رأى الرسول ρ هزيمة المسلمين نادى فيهم يقول: أنا النبي لا كذب ❖ أنا ابن عبد المطلب

وأمر الرسول ρ العباس أن ينادي في الناس، فقال : يا معشر الأنصار، ويا معشر المهاجرين، يا أصحاب الشجرة. فحركت هذه الكلمات مشاعر الإيمان والشجاعة في نفوس المسلمين، فأجابوه : لبيك يا رسول الله لبيك.

وانتظم الجيش مرةً أخرى، واشتد القتال. وأشرف الرسول ρ على المعركة. وما هي إلا ساعة حتى انهزم المشركون، وولوا الأدبار تاركين النساء والأموال والأولاد. وأخذ المسلمون ينهمكون في تكتيف الأسرى وجمع الغنائم. وبلغ عدد الأسرى من الكفار في ذلك اليوم ستة آلاف أسير.

وعن عباس شهدت مع رسول الله ρ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ρ فلم نفارقه ورسول الله ρ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ρ يركض بغلته قبل الكفار قال عباس و أنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ρ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ρ فقال رسول الله ρ « أى عباس ناد أصحاب السمرة ». فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتى أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها. فقالوا يا لبيك يا لبيك ـ قال ـ فاقتتلوا والكفار والدعوة فى الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا يا بنى الحارث بن الخزرج يا بنى الحارث بن الخزرج. فنظر رسول الله ρ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ρ « هذا حين حمى الوطيس ». قال ثم أخذ رسول الله

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ρ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال « انهزموا ورب محمد ». قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ـ قال ـ فواللّه ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا [1] .

وهكذا تحولت الهزيمة إلى نصر بإذن اللّه تعالى .

وكانت حنين درساً استفاد منه المسلمون. فتعلم المسلمون أن النصر ليس بكثرة العدد والعدة. وأن الاعتزاز بذلك ليس من أخلاق المسلمين. ومرت الأيام فإذا بوفد من هوازن يأتي إلى الرسول ρ يعلن ولاءه للإسلام، وجاء وفد من ثقيف أيضاً يعلن إسلامه. وأصبح الذين اقتتلوا بالأمس إخواناً في دين اللّه... [2][3].

❖ **التفرق أول الأمر في حنين**

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[4] أي لقد نصركم اللّه أيها المؤمنون في مواقع حربية كثير، كبدر والحديبية ومكة وقريظة والنضير، وأنتم قلة وهم كثرة :[ولقد نصركم اللّه ببدر وأنتم أذلة] [5] حيث كنتم متوكلين على اللّه، متعمدين متعمدين على أن النصر من عند اللّه. ونصركم أيضا في يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فيه، إذ بلغتم اثنى عشر ألفا، وكان الكفار أربعة آلاف فقط، فكانت الهزيمة عليكم، فلم تغن كثرتكم عنكم شيئا من قضاء اللّه، وضاقت عليكم الأرض بما اتسعت من الخوف ثمّ وليتم مدبرين منهزمين. ثم أنزل اللّه سكينته أي أفرغ

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب المغازي باب "في غزوة حنين" حديث رقم : 4712 (166/5) .

(2) انظر المغازي للواقدي باب "غزوة حنين" (898/3ـ 899) .

(3) ملخص من الرحيق المختوم (496 504). ، تأليف صفي الرحمن المباركفوري . دار السلام 1399هـ

(4) [illegible] (26 ،25 ،123).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الله طمأنينته وثباته على رسوله، وعلى المؤمنين الذين كانوا معه، وأنزل جنودا لم تروها، وهم الملائكة، لتقوية روح المؤمنين وتثبيتهم، وإضعاف الكافرين بما يقذفون في قلوبهم من الخوف والجبن من حيث لا يرونهم. وعذب الذين كفروا بسيوفكم بالقتل والسبي والأسر، وذلك هو جزاء الكافرين في الدنيا[1].

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية تعقيبا على انهزام المسلمين في أول الأمر:"إن عسكر رسول الله في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين، ثم في حال الانهزام لما تضرعوا إلى الله قواهم حتى هزموا عسكر الكفار، وذلك يدل على أن الإنسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا، ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على أحسن الوجوه. أي أن المقصود من (فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا) أن الله تعالى أعلمهم أنهم لا يغلبون بكثرتهم، وإنما يغلبون بنصر الله، فلما أعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين"[2].

والآية تشير إلى أن المسلمين بدؤوا المعركة ولم يكن الله في حسبانهم، بل كانوا معتمدين على كثرتهم فلم تنفعهم ولم تحقق لهم النصر، ولذلك فروا خوفا من الهزيمة ووجدوا الأرض ضيقة أمامهم، أي يبحثون هنا وهناك عن مكان يختبئون فيه فلا يجدون، مع أن الأرض رحبة أي واسعة، ولكنها أصبحت ضيقة في نظرهم وثم يفرون من المعركة. إلا أن الحق سبحانه وتعالى لم يرد أن ينهي المعركة هذا الإنهاء. ولكنه أراد فقط أن ينزع من قلوب المسلمين المباهاة بكثرة العدد وظنهم أن اللجوء إلى الأسباب الدنيوية هو الذي سيحقق لهم النصر. أراد منهم سبحانه وتعالى أن يعلموا جيدا أنهم إنما ينتصرون بالله ـ عزّ وجلّ ـ، وأن كثرتهم دون الاعتماد عليه سبحانه لا تحقق لهم شيئا[3].

من الآية السابقة وتفاسيرها نستطيع أن نستنبط بعض القضايا التي تفضي إلى تفرق جيوش المسلمين والهزيمة في أول الأمر من هذه الغزوة مع كثرة عددهم:

---

(1) تفسير المنير (10/158، 160).

(2) تفسير الرازي (16/17، 18).

(3) .500

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أ. **الإعجاب والغرور بكثرة العدد**. وذلك كما أشارت الآية (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ .....)، والآية تعبر عن رأي الكثيرين الذين غرتهم الكثرة وفرحوا بها واعتمدوا عليها وغفلوا عن أن الناصر هو الله عزّ وجلّ لا كثرة العدد والعدد، وقد كانوا يومئذ اثنى عشر ألفا وعدوهم أربعة آلاف فقالوا:"لن نغلب اليوم من قلة"[1]. وبهذا أن ابتلاءه سبحانه إياهم بالتولى والهزيمة عقوبة على هذا الغرور والعجب الذي تشير إليه الكلمة، وتربية للمؤمنين حتى لا يعودوا إلى الغرور بالكثرة، لأنها ليست إلا أحد الأسباب المادية الكثيرة للنصرة[2]. ولم تكن كثرة العدد هي سبب لهذه التفرق والهزيمة في أول الأمر، لأن يوم فتح مكة أيضا كانوا كثرة، ولكنهم لم يعجبوا بعددهم، ولم يختالوا بذلك، بل من أسباب التفرق والهزيمة هو الإعجاب بهذه الكثرة، لأنهم عندما خرجوا إلى الحرب قالوا: نحن كثرة لن نهزم من قلة، وبذلك نظروا إلى الأسباب وتناسوا المسبب، فأراد الله أن يعاقبهم عقابا يخزيهم ويعلى من قدر رسول الله ρ[3]. وبهذا نقول بأن الكثرة ليست دائما هي سبب النصر، ويؤكد ذلك الآية السابقة، فللنصرعوامل كثيرة قد يكون التفوق العددي أحدها، ولكنه ليس العامل الوحيد. ولعل الحروب التي يمارسها العالم الإسلامي مع اليهود في العصر الحاضر أكبر شاهد على تأكيد ذلك. فالعرب خاصة والعالم الإسلامي عامة أكثر عددا من اليهود بمائة مرة، ومع ذلك لم يستطيعوا حتى الآن استرداد الأرض المغتصبة والقدس المحتل. *والله أعلم بالصواب*

ب. **عدم الصبر عند رؤية المغانم وعدم الثبات أمام العدوّ**. فهو مثل ما سبق في وقعة أحد من ظهور المسلمين على المشركين وإقبالهم على الغنائم واشتغالهم بها عن القتال وعند ذلك استقبلتهم هوازن وبنو نصر بالسهام وكانوا رماة لا يكاد يخطئ لهم سهم[4]. وهو كما ذكرت لنا بعض الروايات، منها: حدثنا قتيبة

---

(1) البخاري، كتاب المغازي باب: "قول الله تعالى (يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا...)" (1567/4).

(2) انظر تفسير المنار (231/10).

(3) انظر [illegible] (4994/8 و 4998).

(4) [illegible] (234/

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

حدثنا سهل بن يوسف عن شعبة عن أبي إسحاق : "قال رجل من قيس للبراء بن عازب [1] ـ رضي الله عنهما ـ: أفررتم عن رسول الله ρ يوم حنين ؟ قال: لكن رسول الله لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام فأما رسول الله ρ فلم يفر فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبي ρ يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)"[2]. أي أن هذه الرواية أيضا تشهد بأن من أسباب التفرق والهزيمة في أول الأمر من يوم حنين عدم صبر بعض الصحابة في الغنائم، فلما فعلوا ذلك استقبلهم العدو بالسهام ففروا متفرقين مدبرين منهزمين، ولو كانوا صابرين في الغنائم، مصابرين في محاربة الأعداء، ثابتين كما أمرهم القرآن الكريم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3]، ما تفرقوا منهزمين في أول الأمر. والدليل على ذلك أنهم لما تضرعوا إلى الله سبحانه عند الهزيمة وعادوا مجتمعين بعد التفرق، وثبتوا كما فعله الرسول ρ ومن معه من الصحابة، غلبوا الكفار في بضع ساعات، فانتصروا بعون الله سبحانه وتعالى. *والله أعلم بالصواب*

****

---

(1) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمارة. (الإصابة في تمييز الصحابة: 278/1).

(2) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب: "قول الله تعالى (يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا...)" حديث رقم:4063 (1568/4) . ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب:"في غزوة حنين" حديث رقم:4715 (167/5). واللفظ للبخاري .

(3)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

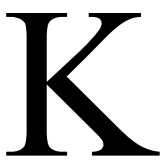

الفصل الثاني

[نصر الله عزّ وجلّ أنبياءه]

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: نصر الله نوحا . عليه السلام ..
- المبحث الثاني: نصر الله هودا . عليه السلام ..
- المبحث الثالث: نصر الله صالحا . عليه السلام ..
- المبحث الرابع: نصر الله لوطا . عليه السلام ..
- المبحث الخامس: نصر الله موسى . عليه السلام ..
- المبحث السادس: نصر الله داود . عليه السلام ..
- المبحث السابع: نصر الله عيسى . عليه السلام ..

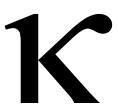

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

تمهيد

سبق بنا الحديث عن الأمور التي تسبب تحقيق النصر، من الإيمان، وتقوى الله، ونصرة الدين، والجهاد في سبيل الله، وإعداد القوة.... وغيرها. وهذه المواصفات كلها إن وجدت في أية أمة ما يسير لها بإذن الله تحقيق النصر الذي يأمله الجميع، وعلى عكس ذلك، فإن الأمة إن حلّت بها أمراض البطر والرياء، والتنازع والاختلاف، وخلّت عن عوامل النصر المذكورة فقد ترفع عنهم عين المدد، ومن ثمّ سلط عليهم الأعداء.

وفي هذا الفصل الثاني من هذه الرسالة، أودّ أن أعرض وأبرز الأمثال من الطوائف والأمم المنصورين من خلال قصص الأنبياء الذي ورد في القرآن الكريم، مع إبراز كيف نصر الله أنبياءه وعباده المؤمنين، وهو وعد الله، وإنه لا يخلف الميعاد، وقد قال في كتابه المجيد: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾[1]. إلا أن صور النصر التي أمدّ الله سبحانه بها رسله قد تختلف بين نبي و الأنبياء الآخرين.

وقد يكون النصر بالغلبة المباشرة، والقهر للأعداء على يد هؤلاء الأنبياء، وظهور الدين وتمامه وقيام دولة الإسلام. وقد يكون النصر بإهلاك هؤلاء المكذبين الكافرين، ونجاة الأنبياء والمرسلين ومن آمن معهم. بل قد يكون النصر بانتقام الله سبحانه من أعدائهم ومكذبيهم بعد وفاة هؤلاء الأنبياء والرسل. وهذه الأشياء كلها سوف نبينها في هذا الفصل مختصرة إن شاء الله.....!! .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الأول:

نصر الله نوحا ـ عليه السلام ـ

❖ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة

كان نوح ـ عليه السلام ـ يدعو قومه إلى سبيل توحيد الله ـ عز وجل ـ ويمضي في دعوته ساعة بعد ساعة. ويوما بعد يوم. وعاما بعد عام. ومرت الأعوام ونوح يدعو قومه. كان يدعوهم ليلا ونهارا ، وسرا وجهرا ، يضرب لهم الأمثال. ويشرح لهم الآيات ويبين لهم قدرة الله في الكائنات، وكلما دعاهم إلى الله فروا منه، وكلما دعاهم ليغفر الله لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا عن سماع الحق. واستمر نوح يدعو قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما.

❖ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قصة نبيه نوح ـ عليه السلام في أكثر من موضع، وبينت الآيات مدى الجهد الذي بذله سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ في تبليغ رسالة ربه إلى قومه، وما لاقاه في سبيل دعوته مما بينته الآيات الكريمة: كما ذكرت الآيات نهاية هذا الجهد النبوي بانتصار الله لنوح ـ عليه السلام ـ ولمن آمن معه، وإهلاك الله تعالى الكافرين.

ومن السور القرآنية التي ذكرت فيها قصة نوح ـ عليه السلام ـ: سورة الأعراف (الآية: 59 64) ـ سورة يونس (الآية: 71 73) ـ سورة هود (الآية: 25 49) ـ سورة الأنبياء (الآية: 76 77) ـ سورة المؤمنون (الآية: 30 33) ـ سورة الشعراء (الآية: 105 122) ـ سورة العنكبوت (الآية: 14 15) ـ سورة الصافات (الآية: 72 75) ـ سورة القمر (الآية: 9 17) ـ سورة نوح بتمامها ـ سورة النساء (163 165) ـ سورة الأنعام (الآية: 83 86) ـ سورة التوبة (الآية: 70) ـ سورة ص (الآية: 12 14) ـ سورة غافر

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

(الآية:5- 6) ـ سورة الشورى (الآية: 13) ـ سورة الذاريات (الآية: 46) ـ سورة النجم (الآية: 52) ـ سورة الحديد (الآية: 26) ـ سورة التحريم (الآية: 10)[1].

وفي هذا المقام سوف نقتصر عن كيفية تدخّل قوة الله سبحانه لنصرة نبيه نوح ـ عليه السلام ـ خلال تبليغ الرسالة الربانية.

يقول ربنا سبحانه في كتابه الكريم: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾[2] أي كذبت قبل قومك يا محمد بالرسل قوم نوح، فإنهم كذبوا عبدنا نوحا ـ عليه السلام ـ، واتهموه بالجنون، وانتهروه وزجروه وتواعدوه عن تبليغ الدعوة بمختلف أنواع الإيذاء والسبّ والتخويف، قائلين: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[3] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ أي فدعا نوح ربه سبحانه قائلا: "إني ضعيف عن مقاومة هؤلاء، فانتصر أنت لدينك، وانتقم لي منهم بعقاب من عندك". و قد طلب النصرة عليهم، بعد أن علم تمردهم وعتوهم وإصرارهم على الضلال. فأجاب اللّه دعاءه قائلا: "﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي صببنا عليهم ماء غزيرا كثيرا متدفقا. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي وجعلنا الأرض كلها عيونا متفجرة وينابيع متدفقة، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قضي عليهم، أي على أمر مقدر عليهم من الأزل، لما علم اللّه من حالهم. وهذا دليل على عقابهم والانتقام منهم "[4].

يقول ابن كثير: "نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيونا، فالتقى الماء من السماء والأرض على أمر مقدر". قال ابن جريج عن ابن عباس: [ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر] كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من

---

(1) قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير (64/1 – 69)، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز . الطبعة الأولى 1417 هـ . مكة المكرمة ـ الرياض.

(2) سورة القمر (الآية: 9 15).

(3) [illegible] (الآية: 116).

(4) [illegible] (160).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماءان على أمر قد قدر [1].

ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى "كيفية إنجاء نوح". يقول تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ أي وحملنا نوحا على سفينة ذات ألواح: وهي الأخشاب العريضة، ودسر: وهي المسامير التي تشد بها الألواح. ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي تسير بمنظر ومرأى منا وحفظ وحراسة لها، جزاء لهم على كفرهم باللّه، وانتصارا لنوح عليه السلام، لأنه نعمة من اللّه، وتكذيبه كفران أو جحود لتلك النعمة. ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي لقد أبقينا السفينة عبرة للمعتبرين، أو لقد تركنا هذه الفعلة التي فعلناها بهم عبرة وعظة، فهل من متعظ ومعتبر، يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها " ؟! [2].

❖ **كيف تدخلت قوة الله سبحانه لنصرة نبيه نوح ـ عليه السلام ..؟**

وبعد أن لاحظ نوح ـ عليه السلام ـ أن عدد المؤمنين لا يزيد، بينما يزداد عدد الكافرين، فكانت الأجيال توصي من بعدهم بعدم الإيمان بنوح ـ عليه السلام ـ ومحاربته ومخالفته. ولما بلغ نوح درجة اليئس من إيمان قومه بعد تسعمائة وخمسين سنة ـ على ما نصه القرآن ـ أقامها فيهم يدعوهم ولا ينفعهم نصحا، فأوحى اللّه سبحانه إليه، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [3]. أي أنه سبحانه أخبر نوحا ـ عليه السلام ـ خلال تبليغ الرسالة أنه لا يوجد غير من آمن بنوح من قومه، سوف يؤمن، فقد ختم اللّه المسألة. لأن مجيء "إلا" هنا ليس للاستثناء، ولكنها اسم بمعنى "غير" أي: لن يؤمن من قومك غير الذي آمن [4]. ولا تحزن عليهم ولا يهمّنّك أمرهم [5].

---

(1) تفسير ابن كثير (4/1802 ـ 1803).

(2) تفسير المنير (27/160 ـ 161).

(3) سورة هود (الآية: 36).

(4) تفسير الشعراوي (11/6457).

(5)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وقال البغوي [1]: " فلا تحزن بما كانوا يفعلون فإني مهلكهم ومنقذك منهم"[2].

ثم توجّه نوح ـ عليه السلام ـ إلى ربه بالدعاء عليهم قال الله تعالى مخبرا عنه أنه قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3] يعني لا تترك أحدا يدور في الأرض فيذهب ويجيء من هذا الدوران. لأن هؤلاء الكفار لا يلدو من هذا الجيل إلا فاجرا كفارا .

ولكن كيف يليق بمنصب النبوة أن يدعو على قومه غير أنه بعث ليصرفهم عن العذاب ...؟. يقول الشيخ علاء الدين الخازن [4]:" إنما دعا عليهم بعد أن أعلمه الله أنهم لا يؤمنون، وهو قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾[5].

وفي آية أخرى أنه توجه إلى الله سبحانه قائلا:﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ "إني ضعيف عن مقاومة هؤلاء، فانتصر أنت لدينك، وانتقم لي منهم بعقاب من عندك"[6].

فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه ـ عليه السلام ـ وأصدر حكمه سبحانه على الكافرين بالطوفان (طغيان الماء)،وأمره بعمل الفلك لتكون أداة لنجاته ومن معه من الغرق العتيد أن يأتي على القوم،وهو كما نصّ به القرآن: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[7] يعني السفينة أي اصنع السفينة بمرأى منا وتعليمنا لك ما تصنعه[8]. ذكر فخر الدين الرازي في تفسير كلمة ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾عدة وجوه: "الأول : أن معنى {بِأَعْيُنِنَا} أي بعين الملك الذي كان يعرفه كيف يتخذ السفينة، يقال فلان عين على فلان نصب عليه ليكون منفحصاً عن أحواله ولا تحول عنه عينه. الثاني:

---

[1] هو الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي يعرف بابن الفراء ويلقب محيي السنة وركن الدين أيضا : كان إماما في التفسير إماما في الحديث إماما في الفقه.له من التصانيف معالم التنزيل في التفسير و شرح السنة والمصابيح و الجمع بين الصحيحين و التهذيب في الفقه ، توفي سنة 516 هـ . (انظر طبقات المفسرين للسيوطي: 38/1).

[2] تفسير البغوي (173/4).

[3] سورة نوح (الآية: 26 27).

[4] علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي أبو محمد الشيخ علاء الدين المعروف بالخازن (طبقات المفسرين للأدنروي 267/1).

[5] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(156/7) دار الفكر بيروت لبنان 1979م /1399هـ.

[6] تفسير المنير (159/27).

[7] سورة هود (الآية:37)

[9]

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أن من كان عظيم العناية بالشيء فإنه يضع عينه عليه، فلما كان وضع العين على الشيء سبباً لمبالغة الاحتياط والعناية جعل العين كناية عن الاحتياط، فلهذا قال المفسرون معناه بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك، وحاصل الكلام أن إقدامه على عمل السفينة مشروط بأمرين أحدهما : أن لا يمنعه أعداؤه عن ذلك العمل. والثاني : أن يكون عالماً بأنه كيف ينبغي تأليف السفينة وتركيبها ودفع الشر عنه. وقوله: {وَوَحْيِنَا} إشارة إلى أنه تعالى يوحي إليه أنه كيف ينبغي عمل السفينة حتى يحصل منه المطلوب"[1].

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ أي لا تراجعني في أمرهم بشيء من طلب الرحمة بهم ودفع العذاب عنهم (إنهم مغرقون) أي حقت عليهم كلمة العذاب وقضى عليهم القضاء الحتم بالإغراق، فلا تأخذك بهم رأفة ولا إشفاق. وقيل معناه : ولا تخاطبني بعد في استعجال تعذيبهم وتكرار الدعاء عليهم، ويرجح هذ[2].

فلما أتمّ نوح من عمل السفينة، أوحى الله إليه أن فوران التنور علامة على بدء الطوفان (طغيان الماء)، أي أن خروج الماء منه كان هذا أمرا لنوح بالحركة، وهو كما أشارت الآية:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾[3]. فأسرع نوح يفتح سفينته ويدعو المؤمنين به،وكان عدد المؤمنين قليلا. وأخذ معه إلى السفينة من كل حيوان وطير ، ووحش، زوجين اثنين، بقرا وثورا ، فيلا وفيلة، عصفورا وعصفورة، إلى آخر المخلوقات، وذلك لضمان بقاء نوع الحيوان والطير على الأرض. وهذا يعني أن الطوفان أغرق الأرض كلها، فلولا ذلك ما كان هناك معنى لحمل هذه الأنواع من الحيوان والطير .

انفجرت عيون الأرض، وارتفعت المياه من فتحات الأرض، وأمطرت السماء أمطارا غزيرة لم تر مثلها من قبل، فالتقت أمطار السماء بمياه الأرض، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة حتى تجاوزت قمم الجبال، وحملت المياه السفينة ومن فيها إلى أن غرق كل ما على الأرض من إنسان وحيوان، وهو الذي أشارت الآية:﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا

---

(1) تفسير الرازي (2439/1).

(2) تفسير الرازي (62/12).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[1]. واستمرت طوفان نوح (طغيان الماء في زمن نوح) زمنا لم يخبرنا به القرآن، ثم صدر الأمر الإلهي إلى السماء أن تكف عن الإمطار، وإلى الأرض أن تستقر وتبتلع الماء ثم استقرت السفينة على الجودي[2]. وهو كما أشارت الآية: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[3]. وانتهت قصة نوح ـ عليه السلام ـ بنجاة نوح ومن آمن معه وإغرق الكفار، وكأن الطوفان غسل الأرض كلها وطهرها من الكافرين. وهي عين المدد من نصرة الله تعالى لسيدنا نوح ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه.

خلاصة الكلام

من هذه الآيات وتفاسيرها التي تتحدث عن قصة سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ في تبليغ رسالة ربه سبحانه، يتبين لنا تصديق قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[4]. وصورة النصر في هذه القصة تكون بإهلاك هؤلاء الكفار والمكذبين، ونجاة نوح ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه. والدليل على أن هذا نوع من أنواع النصر: أن نوحا عند ما بلغ درجة اليأس من دعوة قومه توجه إلى الله سبحانه كما أخبرنا القرآن الكريم: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ فاستجاب الله دعاءه قائلا: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[5] إذن فإهلاك الأمم نوع من أنواع النصر، مع أن الله لم يذكر لنا، ولم نجد في القرآن الكريم ماذا حدث لنوح ـ عليه السلام ـ بعد ذلك النصر.

---

(1) سورة القمر (الآية:11ـ 14).

(2) والجودي : جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وجبل بأجأ ـ انظر: "القاموس المحيط" للفيروزآبادي (351/1).

(3) سورة هود (الآية:44).

(4) سورة غافر (الآية:51).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

والنصرة التي حصل عليها نوح ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه لا تتأتى إلا بعد وجود الصبر، والتقوى، وقوة الإيمان في تبليغ الرسالة ونصرة دين اللّه سبحانه، التي هي من عوامل النصر وشروطه.

والنصرة أيضا لا تأتي إلا بعد الأخذ بالأسباب، وهو قيام نوح ـ عليه السلام ـ بصنع الفلك أو السفينة لتكون آدة لنجاته ومن آمن معه من العذاب القادم على الكافرين، وهذا دليل على أن اتخاذ الأسباب لتحقيق النتائج أمر ضروري، وهو أيضا محتاج إلى رعاية اللّه وعنايته وحفظه.

ومن باب الاتعاظ من هذه القصة أن الذين يسلكون السبيل إلى اللّه ونصرة دينه، ليس عليهم إلا أن يؤدوا واجبهم كاملا لكل ما في وسعهم وطاقتهم من جهد، ثم تُوكل هذه الأمور للّه سبحانه في طمأنينة وثقة، وعندما انهزموا أن يلجأوا إليه ـ عزّ وجلّ ـ كما فعل نوح ـ عليه السلام ـ حين يئس وعرف بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن وما آمن معه إلا قليل. *واللّه أعلم بالصواب.*

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الثاني:

نصر الله هودا ـ عليه السلام ـ

❖ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة

لقد أرسل الله سبحانه إلى قوم عاد الذين كانوا بالأحقاف[1] رسولا ، وهو نبيهم هودا ـ عليه السلام ـ كان ينذر قومه ويحذرهم بأس الله ويضرب لهم المثل بقوم نوح ـ عليه السلام ـ ويذكرهم بنعم الله تعالى عليهم: إذ زادهم في الخلق بسطة وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ـ عليه السلام ـ ، وبوأهم أرضا تدر عليهم الخير وتخرج لهم الزرع الذي يعيشون منه، وتنبت الكلأ الذي ترعى فيه ماشيتهم، وأن عليهم أن يستعملوا عقولهم ليتبينوا أن ما يعبدون من دون الله لا يضرهم ولا ينفعهم، وأن الذي يضرهم وينفعهم إنما هو الله تعالى الذي أغدق عليهم نعمه. وكان ـ عليه السلام ـ يبين لهم أنه لا يطلب على نصيحته لهم أجرا يأخذه منهم، أو رئاسة يتزعم بها بينهم، وأنه لا يطلب الأجر على ذلك إلا من الله تعالى. ومع ذلك كذّبوا ، وآذوا فجاء عقاب الله وأهلكهم بريح صرصر عاتية، استمرت سبع ليال وثمانية أيام[2].

❖ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة

وردت هذه القصة في القرآن الكريم في عدد من السور، حيث ذكرت فيها مساكنهم، وأحوالهم، وأجسامهم، وقوتهم، وما أنعم الله عليهم من خِصب ورغد عيش، وما استمسكوا به من الكفر والأوثان، وعتوهم وفسادهم في الأرض، وتماديهم في الاستمساك بعبادتهم الباطلة، وما بذل هود ـ عليه السلام ـ في سبيل هدايتهم.

ومن السور القرآنية التي عرضت علينا هذه القصة، : الأعراف (الآية: 65 72) ـ هود (الآية:50 60) ـ المؤمنون (الآية: 13 14) ـ الشعراء (123 140) ـ فصلت (الآية:

---

[1] فهي رمال بظاهر بلاد اليمن كانت عاد تنزل بها والحِقفُ أصلُ الرَّمْل وأصل الجبل وأصل الحائط وقد احْقَوْقفَ الرملُ إذا طالَ واعْوَجَّ (لسان العرب : 52/9) .

[2] ص الأنبياء تأليف المرحوم عبد الوهاب النجار (ص: 85 93). دار ابن كثير دمشق ـ بيروت الطبعة الثالثة 1417هـ .

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

15 16). ـ الأحقاف (الآية: 21 25) ـ الذاريات (41 42) ـ النجم (الآية: 50 55) ـ القمر الآية: 18 22) ـ الحاقة (الآية: 6 8) ـ الفجر (الآية: 6 14)[1].

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]. أي ولقد أرسلنا، إلى عاد أخاهم هودا آمرا إياهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ناهيا لهم عن عبادة الأوثان التي افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجرة على هذا النصح والبلاغ من الله، إنما يبغي ثوابه على ذلك وأجره من الله الذي فطره.

ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما اقترفوا من الأعمال السابقة. ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره وحفظ عليه شأنه وقوته؛ ولهذا قال:{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا }[3] وكما جاء في الحديث: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هَم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب"[4]. ثم يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم: " يا هود، ما جئتنا بحجة وبرهان على ما تدعيه، ولن نترك آلهتنا بمجرد قولك: "اتركوهم" نتركهم، ونحن لا

---

(1) قصص الأنبياء لابن كثير (1/91 93).

(2) سورة هود (الآية: 50 60).

(3) [illegible]

نه باب "في الاستغفار" (1/560). وضعفه الألباني.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

نصدقك على ما تقول، وما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبَل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها". وأجاب هود ـ عليه السلام ـ: "إني أشهد الله واشهدوا أنتم أيضا أني بريء من جميع الأنداد والأصنام، فكيدوني أنتم وآلهتكم إن كانت حقا فذروها تكيدني.

وقوله: { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } أي: جميع الدواب تحت قهره وسلطانه، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه، فإنه على صراط مستقيم. وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جَمَاد لا تسمع ولا تبصر، ولا تُوالي ولا تُعادي، وإن من يستحق إخلاص العبادة هو الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

ثم يقول لهم هود: "فإن تولوا عما جئتكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له، فقد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها، وسوف يستبدل ربّي قوما غيركم يعبدونه وحده لا يشركون به، ولا يبالي بكم: فإنكم لا تضرونه بكفركم بل يعود وَبَال ذلك عليكم، وأنه ـ سبحانه ـ شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ويجزيهم عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وقوله{ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا } وهو الريح العقيم التي لا تمر بشيء إلا جعلته كالرميم، يقول سبحانه وتعالى: مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ [1]. فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه. {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ }أي كفروا بها، وعَصَوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود، فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل، {وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } تركوا اتباع رسولهم الرشيد، واتبعوا أمر كل جبار عنيد. فلهذا أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا وينادى عليهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد[2].

❖ **كيف تدخلت قوة الله سبحانه لنصرة نبيه هود ـ عليه السلام ـ . ؟**

---

(1) [illegible] 42).

(2) كثير(2/930 ,931)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

كان هود - عليه السلام - يدعو قومه ويقول نفس الكلمة التي يقولها كل رسول، لا تنقص ولا تتغير، وهي شعار الرسل :﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾[1] وأفهمهم أنه لا يريد منهم شيئا إلا ترك عبادة الأصنام إلى عبادة الله وحده، وإنما أجره عند الله سبحانه. وما كان جواب قومه إلا أن اتهموه بالسفاهة والكذب، ومع ذلك استقبل هود كل هذه الردود بصبر كريم.

ولكن بعد أن صرحوا بعدم ترك آلهتهم (الأصنام) وعدم الإيمان بهود - عليه السلام - وهو كما دلّت الآية ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾[2]، وتحدوه بإتيان العذاب الذي وعدهم به هود إن كفروا بنعم الله ويوم البعث، وعكفوا على عبادة الأصنام إن كان من الصادقين، وهو كما ذكرت الآية: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾[3].

وفي الفترة الأخيرة أنذرهم هود - عليه السلام - أنه إن تولوا عما جاء هم به من عبادة الله ربهم وحده لا شريك له، فقد قام عليهم الحجة بإبلاغ الرسالة التي بعث الله بها، وسوف يستبدل الله قوما غيرهم يعبدونه وحده لا يشركون به شيئا وهو كما دلّت الآية: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾[4].

وبعد هذا الإنذار والتحدي، والصراحة بعدم الإيمان، لم يبق لهود إلا التوجه إلى من أرسله، وطلب النصرة منه - عز وجل -، وهو كما دلّت الآية: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩﴾[5] فالمعنى: " انصرني لأنك أرسلتني، وقد كذّبني القوم بعد أن استنفدت في دعوتهم كل أسبابي، ولم يعد لي بهم طاقة، ولم يعد لي إلا معونتك "[6]. فاستجاب الله

---

(1) سورة الأعراف (الآية: 65).

(2) سورة هود (الآية: 53).

(3) سورة الأعراف (الآية: 70).

(4) سورة هود (الآية: 57).

(5) سورة المؤمنون (الآية: 39).

(6) .(10035

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

دعاءه قائلا :﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] أي ليصيرن قومك بعد زمن قليل نادمين على ما فعلوا ، وذلك حين ظهور علامات الهلاك لهم، فيحصل منهم الحسرة والندامة على ترك قبول دعوتك لهم إلى الإيمان باللّه والتوحيد ، وعلى مخالفتك وتكذيبك ومعاندتهم إياك [2].

انتظر هود وانتظر قومه وعد اللّه. وبدأ الجفاف في الأرض، لم تعد السماء تمطر، فهرع قوم هود إليه، ما هذا الجفاف يا هود....؟ قال هود - عليه السلام -: "إن اللّه غاضب عليكم، ولو آمنتم فسوف يرضى اللّه عنكم ويرسل المطر فيزيدكم قوة إلى قوتكم، وسخر قوم هود منه وزادوا في العناد والسخرية والكفر. وزاد الجفاف، واصفرت الأشجار، ومات الزرع. وجاء يوم فإذا سحاب عظيم يملأ السماء. وفرح قوم هود وخرجوا من بيوتهم يقولون: " هذا عارض ممطرنا" يقول اللّه سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3]. يقول الإمام ابن كثير في تفسير الآيتين: "لما رأوا العذاب مستقبلهم، اعتقدوا أنه عارض ممطر، ففرحوا واستبشروا به، وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر، قال اللّه تعالى:{بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: هو العذاب الذي قلتم:{فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} ، تدمر أي: تخرب كل شيء من بلادهم، مما من شأنه الخراب بإذن اللّه لها في ذلك، كقوله: { مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ }[4]. ولهذا قال: {فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ} أي: قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية، وهكذا حكمنا فيمن كذب رسلنا، وخالف أمرنا"[5].

لما رأو السحاب الذي هو بداية نزول العذاب ظنّ القوم بأنه ممطرهم. فتغير الجو فجأة من الجفاف الشديد والحرّ إلى البرد الشديد القارس، وبدأت الرياح تهبّ بالقوة تدمر كل شيء من البيوت والأشجار بل من الناس أيضا ، ولا تكاد الرياح تمسّ شيئا إلا

---

(1) سورة المؤمنون (الآية: 40).

(2) تفسير المنير (44/18).

(3) سورة الأحقاف (الآية: 24 25).

(4) سورة الذاريات (الآية: 42).

(5) (17

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

دمرته وقتلته، وجعلته كالرميم. وفي سورة الحاقة ذكرت بأن الرياح استمرت أي مسلطة عليهم سبع ليال وثمانية أيام، حتى لم يعد باقيا ممن كفر من قوم هود إلا ما يبقى من النخل الميت. ثم توقفت الرياح بإذن الله سبحانه. وهو الذي دلّت الآية: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1]. أي أنهم أهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة. وقيل هي الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها. عاتية أي عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة. أرسلها وسلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ذات برد ورياح شديدة. حسوماً أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور . وذلك أن الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الأيام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم. وقيل حسوماً شؤماً وقيل لهذه الأيام حسوماً لأنها تحسم الخير عن أهلها والحسم القطع. والمعنى أنها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحداً. فترى القوم في تلك الليالي والأيام قد صرعهم الموت. كأنهم أعجاز نخل خاوية أي ساقطة وقيل خالية الأجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤوس [2].

وهكذا انتهت هذه القصة بهلاك الكفار والجبابرة، ونجاة هود ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه، وهي كما دلت الآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨﴾[3]. يقول الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية: "حين تأتي ريح صرصر أو صيحة طاغية، فهذا العذاب من خارجهم، وما دام العذاب من الخارج، وبقوة من قوى الطبيعة الصادرة بتوجيه الله، فقد يعمّ المكذبين لسيدنا هود، ومعهم المصدقون به وبرسالته، فكيف يتأتى أن تذهب الصيحة إلى آذان المكذبين فقط ، وتخرق تلك الآذان، وتترك آذان المؤمنين....؟ ثم أجاب: إنها قدرة التقدير لا قوة التدمير. أي إن موجَّه الصيحة قد حدّد لها من تُصيب ومن تترك، وهي صيحة موجَّهة، مثلها مثل حجارة

---

[1] سورة الحاقة (الآية: 6 7).

[2] تفسير الشعراوي (7/ 142، 143).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

سجّيل[1] التي رمتها طير أبابيل على أبرهة الحبشي وجنوده، مع نجاة جنود قريش من نفس الحجارة، ولم تكن إصابة بالطاعون كما ادّعى بعض من المتفلسفين" [2].

خلاصة الكلام

من تفسير الآيات التي ذكرناها في وصف هذه القصة وما قبلها (قصة نوح ـ عليه السلام) أن صورة النصر في هذه القصة هي نفس الصورة التي وجدناها في قصة نوح ـ عليه السلام ـ وهي: نجاة هود ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه، وإهلاك هؤلاء الجبابرة المكذبين. إلا أن قوم نوح أهلكوا بالطوفان الذي أغرقهم، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخّرها أو سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما.

وكما فعل نوح ـ عليه السلام ـ حينما يئس من دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، فعله هود ـ عليه السلام ـ أي أنه لجأ وتوجه إلى من أرسله بعد أن أعلن قومُه بعدم الإيمان بالله، وبنبوته، وبوجود يوم البعث، وبعد أن أنذرهم: أنهم إن تولوا عما جاء هم به من عبادة الله ربهم وحده لا شريك له استحقوا العذاب، قائلا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾[3]. فاستجاب الله دعاءه قائلا: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[4]. إذن فإهلاك هؤلاء المكذبين من قوم هود، ونجاة هود ومن آمن معه من هذه الرياح الباردة الشديدة التي لا تمسّ شيئا إلا دمرته هو نوع من أنواع النصر.

ومن ثم فإن هذه القصة تعلمنا بأن نأخذ الأسباب، أي على دعات هذه الأمة المحمدية أن لا يلجأوا إلى الله إلا بعد أن يؤدوا ما عليهم أولا، ويفرغون كل ما في طاقتهم ووسعهم في سبيل غايتهم، ثم بعد ذلك يلجئون إلى الله سبحانه ويدعون بدعاء المضطرين. لأجل ذلك يقول سيدنا هود ـ عليه السلام ـ ﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ يعني: فعلت كل ما في

---

[1] والسجيل : سنك وكل أو كانت طبخت بنار جهنم وكتب فيها أسماء القوم، أو قوله تعالى من سجيل أي : من سجل أي : مما كتب لهم أنهم يعذبون بها (القاموس المحيط ـ فصل السين ـ 1309/1)

[2] تفسير الشعراوي: (6516/11).

[3] [illegible] :39).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وسعي، ولم يعد لي بهم طاقة، ولكنهم كذبوني، فاستجاب الله دعاءه على الفور: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾.

ومن يتأمل هذه القصة سوف يعلم ماذا ينبغي أن يفعل الداعي لدين الله أن يفعل حينما يواجه الناس الذين يسخرون منه ويتهمونه بالكذب أو الجنون.. وسيدنا هود ـ عليه السلام ـ يضرب لنا مثالا، أنه لا يقابل الشرّ بمثله، بل لا يفارقه اللين في حواره مع قومه، وهو كما دلّت الآية: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]. وماذا يكون جوابه ...؟ كان جوابه أن قال: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]. وأن يكون جوابنا عند اليئس بعد بذل قصارى جهدنا هو أساليب الترغيب، وهو كما يقول سيدنا هود ـ عليه السلام ـ في الفترة الأخيرة من حواره مع قومه حين تولوا عن تلبية دعوته: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾[3]. لأن الداعية إذا لازم اللين والرحمة، وأسلوب الترغيب في دعوته، فقد يلين قلب المدعو، ويستجيب الدعوة، حتى ولو كان في الفترة التي يئسنا فيها. *والله أعلم بالصواب.*

* * * *

(1) سورة الأعراف (الآية: 66).

(2) سورة الأعراف (الآية: 67).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الثالث:

نصر الله صالحا ـ عليه السلام ـ .

❖ **نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة**

كان صالح ـ عليه السلام ـ بعثه الله سبحانه إلى قوم عاكفين على عبادة الأصنام، كانوا قوما جاحدين آتاهم الله رزقا وفيرا ولكنهم عصوا ربهم وتفاخروا بينهم بقوتهم فبعث الله إليهم صالحا مبشرا ونذيرا، بذل صالح ـ عليه السلام ـ الجهد في تذكير القوم بنعم الله تعالى عليهم، ونهاهم عن أن يعثوا في الأرض مفسدين بعبادة غير الله، والتكبر في الأرض. كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وبيّن لهم أن الله قد أخرج لهم معجزة، وهي الناقة، دليلا على صدق وبينة على دعوته، ولكنهم تآمروا لقتلها، وهددوا صالحا باستعجال العذاب إن كان من الصادقين.

❖ **حديث القرآن الكريم عن هذه القصة.**

تكررت هذه القصة في القرآن الكريم في عدة سور، حيث ذكرت فيها مساكن قوم ثمود: كانوا يتخذون من سهول الأرض قصورا ومن الجبال بيوتا، وما أنعم الله عليهم من جنات وعيون، وزروع طلعها هضيم، ومع ذلك كانوا يكفرون بالله وبتلك النعم. وفي سورة أخرى ذكر فيها كيف كان حوار القوم مع نبيهم صالح ـ عليه السلام ـ خلال تبليغ رسالة رب العالمين، وذكرت فيها بينة نبوة صالح وهي الناقة التى لها عجائب خارق العادة، وكيف كان مصير هؤلاء القوم بعد أن عقروا الناقة، وكفرهم بآيات ربهم.

ومن السور القرآنية التي تحدثت عن هذه القصة، هي: الأعراف (الآية:73 79) ـ هود (الآية: 61 68) ـ الحجرات (الآية: 80 84) ـ الإسراء (الآية: 59) ـ الشعراء (الآية: 141 159) ـ النمر (الآية: 45 53) ـ فصلت (الآية: 17 18) ـ القمر (الآية: 23 32) ـ الشمس (الآية: 11 15)[1].

---

[1] ينظر (1/104 106)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وسوف أبرز كيف نصر الله نبيه صالح - عليه السلام - يقول تعالى في سورة هود:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾[1] أي يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى "ثمود" وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، فبعث الله إليهم أخاهم صالحا، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال: اعبدوا ربكم الذي ابتدأ خلقكم من الأرض، التي خلق منها أباكم آدم، وجعلكم عُمَّارا تعمرونها وتستغلونها، فاستغفروه لسالف ذنوبكم، ثم توبوا إليه فيما تستقبلونه، إنه تعالى قريب مجيب الدعوة[2].

ثم جادلوا صالحا وقالوا: " يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا" أي: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذه شهادة منهم لنبيهم صالح أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه. ولكنه، لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة، التي مضمونها، أنك [قد] كنت كاملا والآن أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير. وذنبه ما قالوه عنه وهو قولهم: { أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا } وبزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح، كيف قدح في عقولهم، وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاهم عن عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئا من الأحجار، والأشجار ونحوها.

{وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا إليه، شكا مؤثرا في قلوبنا الريب، وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه، لاتبعوه، وهم

---

(1) ..... (68).

(2) .....

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

كذبة في ذلك، ولهذا بين كذبهم في قوله: { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي } أي: برهان ويقين مني { وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً } أي: منَّ علي برسالته ووحيه، أي: أفأتابعكم على ما أنتم عليه، وما تدعونني إليه؟. {فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} أي: غير خسار وتباب، وضرر. ثم قال لهم صالح: "ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية" لها شرب من البئر يوما، ثم يشربون كلهم من ضرعها، ولهم شرب يوم معلوم. وذروها تأكل في الأرض وليس عليكم من مؤنتها وعلفها شيء، ولا تمسوها بسوء، ولا تعقروها فيأخذكم عذاب قريب. ولكن القوم عقروها فحق عليهم العقاب. فلما حان وقوع العذاب، أنجى الله سبحانه صالحا - عليه السلام - ومن آمن معه من العذاب والخزي والفضيحة، وأخذ الذين ظلموا الصيحة العظيمة فقطعت قلوبهم، فأصبحوا خامدين لا حراك لهم. كأنهم لما جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم ولا أنسوا بها ولا تنعموا بها يوما من الدهر قد فارقهم النعيم وتناولهم العذاب السرمدي. ألا إن ثمود كفروا ربهم أي جحدوه بعد أن جاءتهم الآية المبصرة، فما أشقاهم وأذلهم "![1].

❖ **كيف تدخلت قوة الله سبحانه لنصرة نبيه صالح - عليه السلام - ؟**

قد كانت بينة ومعجزة على صدق رسالة صالح - عليه السلام - هي الناقة وكانت الناقة معجزة عجيبة مدهشة لخلقها من الصخرة وخلقها في جوف الجبل، وخلقها حاملا من غير ذكر، وخلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة، ولما كان لها من شرب يوم، ولكل القوم شرب يوم آخر، ولإدرارها بلبن كثير يكفي الخلق العظيم، فهذه ستة وجوه، كل وجه منه معجز ، مما جعل تلك الناقة آية ومعجزة [2].

فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم، ترعى حيث شاءت من أرضهم، وترد الماء يوما بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم، ولهذا قال تعالى: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[3] . فلما طال عليهم هذا الحال اجتمع ملؤهم، واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة،

---

[1] انظر تفسير السعدي، (1/384- 385) .

[2] تفسير ابن [illegible] (12/103).

[3] الشعراء 155.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم [1]. ولهذا قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[2].

ومن هنا يبدو أن مستكبري القوم كانوا يستعجلون السيئة قبل الحسنة، أي استعجال نزول العذاب لأنهم قد عقروا ناقة الله التي أوصاهم بها صالح ـ عليه السلام ـ أن لا يمسّها بسوء فيأخذهم عذاب قريب.

وبالتالي فإن القوم لم يكتفوا بعقر الناقة فقط، بل مكروا ودبروا لتبييته و يريدون قتله وأهله، حتى إذا جاء أولياء الدم يطالبونهم بدمه أنكروا ذلك أو سيقولون بأنهم لا يعرفون عنه شيئا. وهذا دليل على غباوتهم وقلة عقولهم، هل ظنوا أن الله سبحانه الذي أرسله بالرسالة سيتخلى عن نبيه أو أنه يخفى عليه مكرهم لقتل رسوله...؟؟. كلا ثم كلا...!! . ألم يروا إلى ما فعل الله بقوم نوح، وعاد لما كذبوا رسل الله ...!!. وهو كما دلّت الآية: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[3]. يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية: "انظر إلى هذه البجاحة وقلة العقل وتفاهة التفكير : إنهم يتعاهدون ويقسمون بالله أن يقتلوا رسول الله، وهذا دليل غبائهم، وكأن الحق ـ تبارك وتعالى ـ يجعل لهم منافذ يظهر منها حُمقهم وقلة عقولهم" [4].

ولكن السؤال، هل تمكن هؤلاء القوم مِن قتله ـ عليه السلام ـ أم هو الذي تمكن بالنجاة من مكرهم...؟. يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[5]. أي أنه سبحانه جعل مكرهم سببا في اهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك. يقول القرطبي في مكر هؤلاء القوم: "مكرهم ما روي أن هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأيام بعد عقر الناقة، وقد أخبرهم صالح بمجيء العذاب، اتفقوا وتحالفوا على أن يأتوا دار صالح ليلا ويقتلوه وأهله المختصين به ؛ قالوا : فإذا كان كاذبا في وعيده أوقعنا به ما يستحق، وإن كان صادقا كنا عجلناه قبلنا، وشفينا نفوسنا ؛ قال مجاهد وغيره. قال

---

[1] قصص الأنبياء لابن كثير (109/1).

[2] سورة الأعراف (الآية :77).

[3] سورة النمل (الآية: 49).

[4] (10801/17).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ابن عباس : أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة ، فامتلأت بهم دار صالح ، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم ، فقتلهم الملائكة رضخا بالحجارة فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها. وقال قتادة[1] : خرجوا مسرعين إلى صالح ، فسلط عليهم ملك بيده صخرة فقتلهم. وقال السدي : نزلوا على جرف من الأرض ، فانهار بهم فأهلكهم الله تحته. وقيل : اختفوا في غار قريب من دار صالح ، فانحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا ، فهذا ما كان من مكرهم"[2]. وبذلك يكون سيدنا صالح ـ عليه السلام ـ قد نجا من مكر هؤلاء القوم.

ثم كيف كان مصير هذا القوم الذين كذبوا رسولهم، وعصوا رسوله، بل دبروا له مكيدة..؟ يقول تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3]. يقول القرطبي في تفسير الآية: " والأظهر أن التسعة هلكوا بعذاب مفرد ؛ ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة "[4]. أي أن هؤلاء التسعة أهلكهم الله سلفا وتعجيلا قبل قومهم، وأصبحت ثمود يوم الخميس ـ وهو اليوم من أيام النظرة ـ ووجوههم مصفرة، كما أنذرهم صالح ـ عليه السلام ـ . فلما أمسوا نادوا بأجمعهم: ألا قد مضى يوم من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثاني أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة، فلما أمسوا نادوا: ألا قد مضى يومان من الأجل. ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ـ ووجوههم مسودة، فلما أمسوا نادوا: ألا قد مضى الأجل. فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنقمة، لا يدرون كيف يفعل بهم، ولا من أي جهة يأتيهم العذاب. فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم، ورجفة من أسفل منهم،ففاضت الأرواح وزهقت النفوس، وسكنت الحركات، وخشعت الأصوات، وحقت الحقائق، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، جثثا لا أرواح فيها ولا حراك بها، قالوا: ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها "كلبة" بنت السلق ـ ويقال لها الذريعة ـ وكانت شديدة الكفر والعداوة لصالح ـ عليه السلام، فلما رأت العذاب أطلقت رجلاها، فقامت تسعى كأسرع شيء،

---

(1) هو قتادة بن دعامة السدوسي الأعمى الحافظ أبو الخطاب. أخذ القرآن ومعانيه وروى عن أنس بن مالك وعن غيرهم توفي سنة سبع عشرة ومائة.(انظر طبقات المفسرين للأدنروي: 14/1).

(2) أنظر تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن " لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى : 671 هـ (217/13) دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية 1423 هـ/ 2003 م . حققه هشام سمير البخاري (ذكرت المصدر كاملا لأن الكتاب يختلف عن سابقه).

(3) سورة النمل (الآية 51).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فأتت حيا من العرب فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها واستسقتهم الماء، فلما شربت ماتت [1].

وفي سورة الأعراف، أن القوم أهلكوا بالرجفة، يقول تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2]. والرجفة هي: الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها. وهي تقع في مساكنهم فأصبحوا هامدين لايتحركون موتى [3].

وفي سورة فصلت، أنهم أهلكوا بالصاعقة، يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [4]. والصاعقة هي: نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء [5].

وفي سورة الحاقة، أنهم أهلكوا بالطاغية، يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾[6] ﴾[6]. والطاغية هي: الواقعة المجاوزة للحد في الشدة [7].

يقول الشيخ علاء الدين الخازن عن ابن عباس قال: " لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم "[8].

وأما سيدنا صالح ـ عليه السلام ـ ومن آمن معهم فقد نجوا من العذاب، وأنه خاطب قومه بعد هلاكهم، وقد أخذ في الذهاب عن محلتهم إلى غيرها قائلا لهم:

---

(1) قصص الأنبياء لابن كثير (1/111- 112).

(2) سورة الأعراف (الآية:78).

(3) تفسير الكشاف (2/116- 117).

(4) سورة فصلت (الآية: 17).

(5) تفسير الكشاف (1/170).

(6) سورة الحاقة (الآية:5).

(7) تفسير الكشاف (4/602).

(8)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ [1] أي جهدت في هدايتكم بكل ما أمكنني، وحرصت على ذلك بقولي وفعلي ونيتي ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي لم تكن سجاياكم تقبل الحق ولا تريده، فلهذا صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب الأليم، المستمر بكم المتصل إلى الأبد، وليس لي فيكم حيلة ولا لي بالدفع عنكم يدان. والذي وجب علي من أداء الرسالة والنصح لكم قد فعلته وبذلته لكم، ولكن الله يفعل ما يريد [2].

ثم ذهب صالح ـ عليه السلام ـ بمن آمن معه إلى حضرموت ؛ فلما دخلها مات صالح ؛ فسميت حضرموت [3].

وبهذا انتهت قصة قوم صالح ـ عليه السلام ـ بهلاك الكافرين والمتكبرين من قومه، ونجاة صالح ومن آمن معه.

خلاصة الكلام

بعد أن عرضنا تفاسير الآيات التي تتحدث عن قصة صالح ـ عليه السلام ـ يتجلى صدق قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [4]. وصورة النصرة في هذه القصة تكون بإهلاك هؤلاء الرهط التسعة الذين أرادوا أن يبيّتوا صالحا وأهله أولا، وإهلاك هؤلاء المتكبرين الكافرين من قومه ثانيا، ونجاة صالح ومن آمن معه من مكر هؤلاء القوم ومن الصيحة الشديدة التي أهلكت عامة القوم الكافرين.

إن هؤلاء القوم حينما مكروا بصالح ـ عليه السلام ـ ودبّروا له كيدا، جعل الله سبحانه ذلك المكر سببا لإهلاكهم وهم لا يشعرون، وهو كما دلّت الآية: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾ [5]. وذلك بإرسال الملائكة لتصدّ هؤلاء الرهط

---

[1] سورة الأعراف (الآية: 79).

[2] قصص الأنبياء لابن كثير (113/1 – 114).

[3] تفسير القرطبي (318/13).

[4] سورة الصافات (الآية: 171 – 173).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

التسعة حينما أرادوا تنفيذ مكرهم لقتل صالح ـ عليه السلام ـ فإذا الأحجار تسقط من فوقهم للقضاء عليهم دون أن يدروا من الذي كان يحرك تلك الأحجار من فوقهم.

إذن فإهلاك القوم ونجاة صالح ومن آمن معه من المكر والصيحة، نوع من أنواع النصر.

ومن باب الاتعاظ من هذه القصة، يجب أن نعلم أن الذين يسلكون سبل الخونة ويتبعون شياطين الإنس والجن ليصدّوا الناس عن سبيل الله، لن يتركهم الله يعيشون في الأرض فسادا ألا أنهم حينما مكروا مكرا ودبروا للمؤمنين شرّا، كانت تلك المؤامرة سبب هلاكهم وخسارتهم في الدنيا والآخرة.

والمؤمنون إن علموا أن الأعداء يدبّرون شرّا لهم و يمكرون بهم، فحرام عليهم السكوت دون الحركة لدفع هذا الشرّ و يقولون ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ ﴾[1]. بل عليهم الأخذ بالأسباب لإبطال هذا الشرّ ودفعه، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. *والله أعلم بالصواب.*

* * * *

(1) .64 :

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الرابع:

نصر الله لوطا ـ عليه السلام ـ .

❖ **نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة.**

هو لوط ابن أخي إبراهيم الخليل، أرسله الله سبحانه ليهدي قومه، كانوا قطاع الطريق ويخونون الرفيق، ويعتدون على الغرباء، بل كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء. كان لوط ـ عليه السلام ـ يدعوهم إلى عبادة الله وأقام عليهم حجته، وقد مرّت به السنوات وهو ماض في دعوته بغير أن يؤمن له أحد، أي لم يؤمن به غير أهل بيته، وحتى أهل بيته لم يؤمنوا به جميعا، بل كانت زوجته كافرة. ولما يئس لوط من إرشادهم إلى صراط مستقيم، توجه إلى الله سبحانه أن ينجيه ومن آمن معه ويهلك المفسدين. فجاءت له الملائكة وأخرج لوط بمن آمن معه، وأهلكوا الآخرين بحجارة مسومة [1].

❖ **حديث القرآن الكريم عن هذه القصة**

ذكرت قصة لوط بتمامها في عدة سور باختلاف يسير، وبعضها يكمل بعضا، ومن السور القرآنية التي قصت لنا هذه القصة، هي: الأعراف (الآية:80 84) ـ هود (الآية: 69 83) ـ الحجر (الآية:51 – 77) ـ الشعراء (الآية:160 175) ـ النمل (الآية:54 58) ـ العنكبوت (الآية:28 35) ـ الصافات (الآية:133 138) ـ الذاريات (الآية:31 37) ـ القمر (الآية:33 40)[2].

وسوف أحاول إبراز الجانب النصري أي نصرة الله لنبيه لوط ـ عليه السلام ـ خلال تبليغ رسالة ربه. يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟

---

(1) [illegible] من الانبياء لعبد الوهاب النجار (ص: 162 166).

[illegible] (1/169 171).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾[1]. أي لما جاءت رسلنا من الملائكة لوطا، بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم هذه الليلة، وكانوا في أجمل صورة بهيئة شباب حسان الوجوه، ابتلاء من اللّه، فساءه شأنهم ومجيئهم، وضاقت نفسه بسببهم لأنه ظنّ أنهم من الإنس، فخاف عليهم خبث قومه، وأن يعجزوا عن مقاومتهم، وقال: هذا يوم عصيب أي شديد البلاء. ثم جاء لوطا قومه عند ما سمعوا بالضّيوف وقدومهم، بإخبار امرأته قومها، يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك، لإتيان الفاحشة، وليس ذلك غريبا، فإنهم كانوا قبل مجيئهم يعملون السّيئات ويرتكبون الفواحش، فلم يزل هذا من سجيّتهم، حتى أخذوا وهم على تلك الحال، كما حكى اللّه عنهم: ((أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ، وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ، وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ المنكر))[2] أي ظلوا يقترفون الفاحشة إلى وقت الهلاك.

ثم قال لهم لوط: يا قوم، هؤلاء البنات فتزوّجوهنّ، والمراد بنات القوم ونساؤهم فإن النّبي للأمّة بمنزلة الوالد، كما قال ابن عباس، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدّنيا والآخرة، كما قال لهم في الآية الأخرى: (أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ، وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ)[3]، قال مجاهد وقتادة وغير واحد: لم يكنّ بناته، ولكن كنّ من أمته، وكلّ نبي أبو أمته. وقال ابن جريج: أمرهم أن يتزوّجوا النّساء، لم يعرض عليهم سفاحا. وقال سعيد بن جبير[4]: يعني نساءهم هنّ بناته، وهو أب لهم.

(فَاتَّقُوا اللَّهَ ..) أي فاخشوا اللّه، وأقبلوا ما آمركم به من الاقتصار على نسائكم، ولا تفضحوني أو لا تخجلوني في ضيوفي، فإن إهانتهم إهانة لي.

---

[1] سورة هود (77- 83).

[2] سورة العنكبوت (الآية: 29).

[3] سورة الشعراء (الآية: 165- 166).

[4] سعيد بن جبير الأسدي، الفقيه المحدث المفسر وكان أحد علماء التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وقال بعضهم كان أعلم بالمناسك وبالحج عطاء وبالحلال والحرام طاووس وبالتفسير مجاهد وأجمعهم لذلك سعيد بن جبير. وتوفي سنة خمس وتسعين. (طبقات المفسرين للداودي: 1/ 10).

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أليس منكم رجل فيه رشد وحكمة وعقل وخير يقبل ما آمر به ويترك ما أنهى عنه، ويهديكم إلى الطريق الأقوم. قالوا : لقد علمت سابقا ألا حاجة لنا في النّساء ولا نشتهيهنّ، فلا فائدة فيما تقول، وليس لنا غرض إلا في الذّكور، وأنت تعلم ذلك منا، فأي فائدة في تكرار القول علينا في ذلك ؟ والمراد أنهم صمموا على ما يريدون. قال لوط لقومه متوعّدا : لو كان لدي قوة تقاتل معي، أو عشيرة تؤازرني وتنصرني عليكم، وتدفع الشّرّ عني، لكنت قاتلتكم وحلت بينكم وبين ما تريدون. وبعد هذه المخاوف من الفضيحة التي أقلقت لوطا على ضيفانه ، بشرته الملائكة بنجاته منهم وهلاكهم بالعذاب: (قالُوا يا لُوطُ، إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ..) أي قالت الملائكة للوط : إنا رسل ربّك أرسلنا لنجاتك من شرّهم، وإهلاكهم، لن يصلوا بسوء إليك ولا إلى ضيوفك، وحينئذ طمس اللّه أعينهم، فلم يعودوا يبصرون لوطا ومن معه، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ ، فَذُوقُوا عَذابِي وَنُذُرِ) [1] (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ..) أي فاخرج من هذه القرية في جزء من الليل يكفي لتجاوز حدودها، كما قال تعالى: (فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[2]. ولا ينظر أحد منكم إلى ما وراءه أبدا، حتى لا يصيبه شيء من العذاب، أو يتعاطف معهم، (وامضوا حيث تؤمرون). امض بأهلك إلا امرأتك فلا تأخذها معك، إنه مصيبها ما أصابهم من العذاب لأنها كانت كافرة خائنة.

ثم ذكر علّة الإسراء ليلا، فقال: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ..) أي إن موعد عذابهم وبدءه هو الصّبح من طلوع الفجر إلى شروق الشّمس، أليس موعد الصّبح بموعد قريب ، وسبب اختيار هذا الوقت كونهم متجمعين في مساكنهم. روي أنهم لما قالوا للوط عليه السّلام : إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ قال : أريد أعجل من ذلك ، بل الساعة ، فقالوا : أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ قال المفسّرون : إن لوطا عليه السّلام لما سمع هذا الكلام ، خرج بأهله في الليل.

فلما جاء أمرنا بالعذاب، وكان ذلك عند طلوع الشّمس، ونفذ قضاؤنا، جعلنا عاليها وهي سدوم سافلها، وخسفنا بهم الأرض، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجّر، منضّد بعضها فوق بعض وتتابع في النّزول عليهم ، مسوّمة أي معلّمة للعذاب، عليها علامة خاصة عند ربّك أي في خزائنه. ثم ذكر اللّه تعالى العبرة من القصة متوعّدا بها

---

(1) [illegible].

(2) [illegible].

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

كلّ ظالم فقال : (وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) أي وما هذه النّقمة أو تلك القرى التي وقعت فيها ممن تشبه بهم في ظلمهم كأهل مكة ببعيد عنه ، والمقصود أنه تعالى يرميهم بها [1].

❖ **كيف تدخلت قوة الله ـ سبحانه لنصرة نبيه لوط ـ عليه السلام ـ ؟**

وذلك أن لوطا ـ عليه السلام ـ لما دعا قومه إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، وترك ما فعلوا من الفواحش، لم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم، واستمروا على حالهم، بل همّوا بإخراجه من قريتهم جوابا على دعوته إياهم، وذلك كما دلّت الآية: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [2].

وذكرت سورة العنكبوت، أن القوم تحدّوا لوطا ـ عليه السلام ـ في الإتيان بعذاب اللّه إن كان من الصادقين جوابا على دعوته إياهم، وهو كما قالت الآية: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3]. من هذه المظاهر التي تلقاها لوط النبي، يبدو أن القوم قد اختاروا العمى على الهدى، واستمروا في عداوتهم القبيحة واستعجلوا نزول العذاب. فلا ملجأ بعد إرشادهم إلى سواء السبيل وإنذارهم من عذاب مهين إلا اللّه سبحانه، فدعا لوط ربه قائلا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾[4]. أي لجأ إلى ربه يطلب نصره على قومه الذين كانوا شر قوم وجدوا على وجه الأرض [5]. وفي سورة الشعراء ذكرت: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾[6] .

---

[1] تفسير المنير (12/114 ـ 117).

[2] سورة الأعراف (الآية: 82).

[3] سورة العنكبوت (الآية: 29).

[4] سورة العنكبوت (الآية: 30).

[5] انظر "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" تأليف الشيخ جابر بن موسى بن عبد القادي بن جابر أبو بكر الجزائري (128/4). مكتبة العلوم والحكم للنشر والتوزيع الطبعة الخامسة 1424هـ - 2005م .

[6] 169.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أي من عقوبة ما يعملون من المعاصي . ويحتمل أن يكون دعاء لأهله بالعصمة من أن يقع واحد منهم في مثل فعل قومه . ودل دعاؤه بالتنجية لأهله على أنهم كانوا مؤمنين [1].

فاستجاب الله دعاءه قائلا: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[2]. وذلك بإرسال الملائكة - وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل - إلى أرض سدوم - فيها مساكن لوط وقومه - في صور شبان حسان ليخبروا لوطا أن الله سوف يهلك أهل هذه القرية، وعليه أن يسري هو وأهله من آخر الليل، وأن لا يلتفت منهم أحد عند سماع صوت العذاب إذا حلّ بقومه، وأمروه أن يكون سيره في آخرهم كالساقة لهم [3].

ولكن قبل إيراد كيفية إهلاك هذا القوم سوف نتحدث عن هدف ضيافة الملائكة التي كانت اختبارا من الله سبحانه لقوم لوط وإقامة الحجة عليهم. وذلك لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم، أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم، فاستضافوا لوطا - عليه السلام - وذلك عند غروب الشمس، فخشي إن لم يضفهم أن يضيفهم غيره، وحسبهم بشرا من الناس لأنهم كانوا على صور شبان حسان. قال ابن كثير عن السدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا بنت لوط تسبقي من الماء لأهلها ،وكانت له ابنتان: اسم الكبرى "ريثا" والصغرى "زغرتا" فقالوا لها: يا جارية....هل من منزل ؟ فقالت لهم: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم. شفقة عليهم من قومها ، فأتت أباها فقالت: يا أبتاه..أرادك فتيان على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم. وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا فقالوا: خل عنا فلنضف الرجال. فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل البيت، فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، فقالت: "إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط " . فجاءه قومه يهرعون إليه. فقال لهم لوط - كما أخبر بنا القرآن:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[4]. يرشدهم إلى غشيان نسائهم وهن بناته شرعا ، لأن النبي للأمة بمنزلة

---

[1] انظر تفسير "البحر المحيط" لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (35/7). دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1422هـ - 2005م . حققه عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، د زكرنا عبد المجيد النوقي .

[2] سورة الشعراء (الآية: 170).

[3] [illegible] (173/1، 174).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الوالد، كما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[1]. ونهى لهم عن تعاطي ما لا يليق من الفاحشة، وشهادة عليهم بأنه ليس فيهم رجل له مسكة ولا فيه خير، بل الجميع سفهاء، فجرة أقوياء، كفرة أغبياء. وكان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن يسمعوه منه من قبل أن يسألوه عنه[2]. أي ألا يوجد بينكم رجل له عقل ومروءة وكرامة[3]، يمنع هذه المسألة [4].

فأجابه قومه، كما عبّر الله تعالى في كتابه: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية: "هذه الآية تحمل رد المتدافعين طلباً للفحشاء من قوم لوط، فقد قالوا له: أنت تعلم مقصدنا، وليس لنا في بناتك أية حاجة نعتبرها غاية لمجيئتنا. وكان هذا يعني الإعراض عن قبول نصحه لهم بالتزوج من بناته بدلاً من طلب فعل الفاحشة مع ضيوف لوط، وهم الملائكة الذين جاءوا في هيئة رجال بلغوا مبلغ الكمال في الجمال " [5]. ونبي الله لوط - عليه السلام - جعل يمانع قومه الدخول ويدافعهم والباب المغلق، وهم يرومون فتحه، وهو ينهاهم من وراء الباب، فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال ما قال: ﴿ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾[6]. أي قال لوط متوعّدا لقومه: لو كان لدي قوة تقاتل معي، أو عشيرة تؤازرني وتنصرني عليكم، وتدفع الشّرّ عني، لكنت قاتلتكم وحلت بينكم وبين ما تريدون[7].

وحينئذ صرّحت الملائكة واعترفوا للوط - عليه السلام - بأنهم مرسلون من عند الله سبحانه، وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاد، وأن موعدهم الصبح، لأجل ذلك أمروه بأن يسري هو وأهله من آخر الليل. وهو كما دلّت الآية: ﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ

---

(1) سورة الأحزاب (الآية:6).

(2) قصص الانبياء لابن كثير (173/1 – 174).

(3) ومن معاني الرشد أيضا أن يكون شديدا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكون صالحا ومصلحا، هاديا مستقيما مرشدا حكيما. انظر تفسير القرطبي (77/9).

(4) تفسير الشعراوي (6579/11).

(5) تفسير الشعراوي (6580/11).

(6) سورة هود (الآية:80).

(7)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾[1].

فلما خرج لوط ـ عليه السلام بأهله، وهم ابنتاه لم يتبعهم رجل واحد، فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكانت عند شروقها، جاءهم من أمر الله ما لا يُردّ، ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد. أي قلّب الله مدينة سدوم وجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة، مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه، من الحاضرين منهم في بلدهم، والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها. وهو كما دلّت الآية: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾[2].

وهكذا انتهت قصة لوط النبي بنجاته هو وأهله، وإهلاك المفسدين الكافرين من قومه[3].

خلاصة الكلام

بعد أن لاحظنا هذه القصة مع الآيات التي تتحدث عنها وصورت لنا كيف كان أهل سدوم مع معاملتهم القبيحة: قطاع الطريق، يخونون الرفيق، يأتون الرجال شهوة من دون النساء، بل كذبوا رسولهم و تحدّوه عليه في الإتيان بعذاب الله إن كان من الصادقين. فاستجاب الله تحدّيهم بأن جعل مدينة سدوم عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة، مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه.

وصورة النصر في هذه القصة لا تختلف عما سبق من قصة نوح، وهود، وصالح ـ عليهم السلام ـ . وهي بنجاة لوط ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه (قيل: ابنتاه). والدليل على أنه نوع من أنواع النصر: أن لوط ـ عليه السلام ـ عندما تعب ويئس من إرشاد قومه وإنذارهم لأنهم يريدون إخراجه من المدينة بل تحدّوه أن يأتيهم بعذاب الله إن كان من الصادقين، فدعا الله أن ينصره وأهله على القوم المفسدين ومما يفعلون. وهو كما دلّت الآية: ﴿رَبِّ

---

(1) سورة هود (الآية: 81).

(2) سورة هود (الآية: 82 – 83).

(3) قصص الأنبياء لابن كثير (173- 176).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[1]. فاستجاب الله دعاءه ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2].

وفي هذه القصة يتجلى نصره سبحانه في عدة مواقف:

أ. انطماس أعين هؤلاء الذين هرعوا إلى بيت لوط النبي، وهو كما دلّت الآية: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾[3]. وذلك حينما ضاق الأمر وعسر الحال، ويريد القوم فتح الباب بالقوة، حتى قال لوط ما قال: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾[4]. فعندئذ خرج جبريل ـ عليه السلام ـ عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم، فلا يصلون إلى من داخل البيت .

ب. إخبار الملائكة لوطا ـ عليه السلام ـ بأن يسري هو وأهله من آخر الليل وأن لا يلتفت منهم أحد عند سماع صوت العذاب إذا حلّ بقومه.

ج. إهلاك مدينة سدوم وأهلها، بأن يجعل عاليها سافلها، ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل حتى لا يلحقوا لوطا وأهله. إذن فإهلاك هؤلاء الكافرين المفسدين نوع من أنواع النصر!! .

وفي أيامنا الحاضر وجدنا هذا الفساد نفسه (إتيان الرجال شهوة من دون النساء) كما هو عند أهل سدوم، إلا أن أفراد المفسدين تتبدل. شاهدنا اليوم أناسا يفعلون كما فعل هؤلاء قوم لوط من قبل، بل أقبح من ذاك، لأن الحكومة تحميهم وتضع لهم قانونا رسميا، بل فوق هذا وذاك، أن الحكومة الغربية منحت لهم مدينة أو جزيرة خاصة تُسكن فيها هؤلاء اللوطيون . ألآ يخافون أن ينزل بهم من العذاب مثل الذي نزل على قرية سدوم وأهلها ،ألآ يعتبرون من ذلك...؟ وما قوم لوط منهم ببعيد...! إن لم يكونوا يشبهونهم في الوجوه ففي أفعالهم والعذاب، ألآ ساء ما يفعلون.

ومن باب الاتعاظ من هذه القصة، وجوب إكرام الضيف وحمايتهم ماداموا على الحق ولم يرتكبوا إثما، كما فعل سيدنا لوط النبي في حماية ضيفه حينما طلبهم قومه

---

(1) سورة الشعراء (الآية: 169).

(2) سورة الشعراء (الآية: 170 173).

(3) [illegible] (الآية: 37).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

حتى قال ما قال:﴿ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ وفي السنة الشريفة وردت أحاديث كثيرة تبين لزوم إكرام الضيف وحمايته. *والله أعلم بالصواب.*

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الخامس:

نصر الله موسى ـ عليه السلام ـ .

❖ **نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة**

أرسله الله سبحانه إلى فرعون وقومه، وكان يواجههم بلين ورفق كما أمره سبحانه، ويحدثه عن الله رب العالمين رب المشرق والمغرب وما بينهما، وعن رحمته وجنته، وعن توحيده ووحدانيته. حاول موسى إيقاظ الجوانب الإنسانية في الحديث، ألمح إليه أن يملك مصر، ويستطيع لو أراد أن يملك الجنة أيضا، وكل ما عليه هو أن يتقي الله، ومع ذلك ردّ فرعون ردّا قبيحاً وحاول أن يقتله، جمع له السحرة ليكيدوا له ولكنه هزمهم بإذن الله سبحانه وتعالى .

وفي خلال دعوته أوصى موسى النبي قومع باحتمال الفتنة والصبر على البلية، والاستعانة بالله ـ عزّ وجلّ ـ وبيّن لهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباد الله سبحانه، والعاقبة للمتقين. فلما يئس من دعوتهم أنجى الله موسى ومن آمن معه، وأغرق فرعون وجنوده في البحر .

❖ **حديث القرآن الكريم عن هذه القصة**

ذكرت هذه القصة في مواضع كثيرة من سور القرآن الكريم، فقصّ الله سبحانه علينا قصته ـ عليه السلام ـ منذ ولادته، ونشأته، ثم دعوته لقومه ولفرعون، ونجاته ومن آمن معه من فرعون وملئه .

و السور القرآنية التي ذكرت فيها قصة موسى ـ عليه السلام ـ، هي: البقرة (الآية:47، 74، 92، 93) ـ المائدة (الآية: 20، 26) ـ الأعراف (الآية:102، 155) ـ يونس (الآية:75، 93) ـ هود (الآية:96، 99) ـ إبراهيم (الآية:6، 8) ـ الإسراء (الآية:2، 3، 67، 83) ـ طه (الآية:9، 98) ـ مريم (الآية:51، 53) ـ النمل (7، 12) ـ الشعراء (الآية:10، 68) ـ القصص (الآية:3، 43، 67، 83) ـ الأحزاب (الآية: 69) ـ الصافات (الآية:114، 122) ـ السجدة (الآية:22، 25) ـ الزخرف (الآية:46، 56) ـ فصلت

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

(الآية:19 21) ـ الصف (الآية: 5) ـ القمر (الآية:41 42) ـ النازعات (الآية:15 26) [1].

و في هذا البحث سوف نقتصر على ذكر ما منّ الله به على موسى ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه بالنجاة من فرعون وجنوده، ثم ما لحق فرعون وجنوده من الغرق والهلاك، التي هي صور من صورة النصر في هذه القصة.

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾[2].

❖ **كيف تدخلت قوة الله ـ سبحانه لنصرة نبيه موسى ـ عليه السلام ـ ؟**

وذلك لما بدأ معالي وعظماء الدولة يتآمرون ويحرضون فرعون على قتل موسى ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه، ويخوّفونه من عاقبة التهاون معهم. وهم يرون الدعوة إلى ربوبية الله وحده إفسادا في الأرض. حيث يترتب عليها بطلان شرعية حكم فرعون ونظامه كله. لأنه كان يستمد قوته من ديانتهم الباطلة، حيث كان يعترف بأنه ربهم الأعلى ـ كما زعمه فرعون ـ . فإن عبد موسى ومن آمن معه الله رب العالمين، لن تكون لفرعون قوة و استيلاء عليهم بعد ذلك. فاستثارت هذه الكلمات فرعون، وأشعرته بالخطر الحقيقي على نظامه كله فدبر المكيدة عليهم، وهو كما ذكرت الآية: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[3]. يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية:

---

(1) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (225 393).

(2) [illegible] (68 52).

(3) [illegible] (127 :).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

"وهكذا نعرف أن المقربين من فرعون هم أول من خافوا على سلطانهم، ويدل هذا القول أيضا على أن فرعون لم يتعرض لموسى بأي أذي، لأنه مازال يعيش في رهبة اليقين وصولة الحق مما جعله متوجسا وخائفا من موسى، لأن فرعون أول من يعلم أن مسألة ألوهية كذب كلها، ويعلم جيدا أن موسى على حق، وسأل الملأ من قوم فرعون الذين اهتز أمامهم سلطانه ومكانته، قالوا لفرعون: "أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض..؟". أو فيما يبدو أن موسى وهارون تركا المكان بعد أن انتهيا من أمر السحرة، ولم يقبض عليهما فرعون، لذلك تساءل الملأ من قوم فرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ﴾ أي يتركك، وكان فرعون يعتقد أن هناك آلهة علويين وآلهة سفليين، وهو رب العالم السفلي كله. لذلك قالوا : " وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ...؟ ". وحتى تلك اللحظة لم يتعرض فرعون لموسى، ولا يزال خوفه من موسى يمنعه من الاقتراب أو الدنو منه أو الاتصال به ولو بكلمة، إنه يأخذ الحذر من أن يقدم على شيء ضد موسى، فيفاجئه موسى مفاجأة ثانية. ويقال إن الثعبان الذي ظهر ساعة ألقى موسى عصاه فتح شدقيه واتجه إلى فرعون، فقال: كف عني وأومن بما جئت به. وهو أمر محتمل، لأن فرعون حتى هذه اللحظة لم يجرؤ على الاقتراب من موسى، وجاء بخبر قتل الأبناء وسبي النساء ولم يأت بسيرة موسى " [1].

فقد نُفّذ هذا الحكم في شعب بني إسرائيل. فبدأ موسى يوصي قومه لاحتمال الفتنة، والصبر على البلية، والاستعانة بالله عليها. وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده. وهو كما أشارت الآية: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [2]. إلا أن القوم بدأوا يشتكون من العذاب الذي حلّ بهم. وهو كما بينت لنا استمرار الآية السابقة: ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾[3]. وظلّ موسى وقومه يحتملون العذاب، ويصبرون على الابتلاء، ويرجون فرج الله سبحانه، فتدخلت قوة الله سبحانه وشاء أن يرسل على أهل المصر أيام القحط فجاع الناس ونقصت الثمرات. بل أرسل عليهم الطوفان، والجراد، والقمل،

---

(1) تفسير الشعراوي (7/4304 – 4205).

(2) [illegible] (128).

(3) [illegible] (129).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

والضفادع، والدم [1]. ابتلاء لهم وتخويفا، ولكي يصرفهم عن الكيد لموسى ومن آمن معه، وإثباتا لنبوة موسى وصدقه في الوقت نفسه أي سوف يؤمنون أم لا بوجود هذا العذاب. ومن هنا ذهب آل فرعون إلى موسى ليسألوه أن يدعو الله ليكشف ويرفع عنهم ما حلّ بهم من المصائب. وهو كما دلّت الآية: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[2].

يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية: "والرجز هو الأمور المفزعة وما نزل بهم من العذاب، وهنا ذهبوا إلى موسى ليسألوه أن يدعو الله ليكشف ويرفع عنهم ما نزل بهم من العقاب. إذن فهم آمنوا بأن موسى مرسل من الرب، وهم قد فهموا أن الرجز الذي عاشوا فيه لن يرتفع إلا من ذلك الربّ. وهذا ينقض ربوبية إلههم فرعون، لأنه لو كانت ربوبية فرعون في عقيدتهم لذهبوا إليه ولم يذهبوا إلى عدوّهم موسى ليسألوه أن يدعو لهم الله. ومن هنا نأخذ أكثر من قضية عقدية هي أولا: أن الألوهية فرعون باطلة، وثانيا: أن موسى مقبول الدعاء عند ربه، ثالثا: أنه إن لم يكشف ربه هذا العذاب فسيستمر هذا العذاب، وكل هذه مقدمات تعطي الإيمان بالله". ثم أتبعه بتفسير الآية أي ادع ربك بما أعطاك الله من العهد أن ينصرك لأنك رسوله المؤيَّد بمعجزاته وهو لن يتخلى عنك. ادع الله أن يرفع عنا العذاب والله لئن رفعت وكشفت عنا ما نحن فيه من العذاب لنؤمنن بك ولنصدقن ما جئت به ولنرسلن ونطلقن معك بني إسرئيل [3]. ولكنهم لم يوفوا بما قالوا، وما أن ينكشف البلاء حتى ينقضون عهدهم، ويعودون إلى ما كانوا فيه من الكفر والطغيان. لذالك يقول سبحانه في كتابه: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [4].

لم يوفوا بعهودهم، بل على العكس من ذلك. خرج فرعون لقومه، وأعلن أنه إله. أليس له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته، وأعلن أن موسى ساحر كذّاب. ورجل فقير لا يرتدي أسورة واحدة من الذهاب، كما أخبرنا الكتاب بذلك.

---

(1) يقول صاحب تفسير المنير: "الطُّوفانَ هو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيّام. الجَرادَ طائر معروف يأكل النبات وقد أكل زرعهم وثمارهم أيضا. وَالْقُمَّلَ هو السوس الذي ينخر الحنطة، وقيل: هو الدّود أو القراد الذي يأكل الزرع، ويتبع ما أكله الجراد. وَالضفادِعَ المعروفة، فملأت بيوتهم وطعامهم. وَالدَّمَ هو الرّعاف، وقيل: هو دمّ كان يحدث في مياه المصريين". (تفسير المنير: 58/9).

(2) سورة الأعراف (الآية: 134).

(3) تفسير الشعراوي (7/ 4321 – 4322).

(4) الآية 135.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

من هذه الفترة بدا واضحا أن فرعون لن يؤمن لموسى. ولن يكف عن تعذيبه لبني إسرائيل، هنالك يئس موسى وهارون النبي، فدعيا على فرعون وملأه قائلا:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾[1]. والزينة عبارة عما يتزين به اللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والأشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الأشياء من الصامت ونحوه. (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلف المفسرون في هذه اللام فقال الفراء: " هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا إنك جعلت هذه الأموال سبب لضلالهم لأنهم بطروا وطغوا في الأرض واستكبروا عن الإيمان ". وقال الأخفش[2]: "إنما هي لما يؤول إليه الأمر والمعنى إنك أتيت فرعون وملأه زينة في الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال ". ومعنى اطمس على أموالهم أزال صورها وهيئاتها. وقال مجاهد: "أهلكها". وقال أكثر المفسرين: "امسخها وغيرها عن هيئتها". قال قتادة: "بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة". وقال محمد بن كعب القرظي[3]: " صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصار حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجراً ". وهذا فيه ضعف لأن موسى عليه السلام دعى على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ.

وقال ابن عباس: "بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً". قال السدي: "مسخ الله أموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والأطعمة هذا الطمس هو أحد الآيات التسع التي أوتيها موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان"؛ قال الواحدي[4]: "وهذا دليل

---

(1) سورة يونس (الآية:88).

(2) سعيد بن مسعدة المجاشعي النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط في النحو أبو الحسن، أحد نحاة البصرة وله من الكتب المصنفة كتاب الأوسط في النحو وكتاب تفسير معاني القرآن وكانت وفاته في سنة 512هـ. (اطبقات المفسرين للأدنروي: 31/1).

(3) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبد الله، وقد ولد في حياة رسول الله روى عن فضالة بن عبيد وأبي هريرة. وتوفي سنة 120 هـ. (طبقات المفسرين للأدنروي: 9/1).

(4) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري. كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي وأخذ العربية عن أبي الحسن القهندز وعنه أخذ العربية عن أبي الفضل أحمد بن محمد بن يوسف العروضي، وصنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز والإعراب وشرح الأسماء الحسنى وشرح ديوان المتنبي ونفي التحريف عن القرآن الشريف. وقد كانت لأخرة سنة ثمان [illegible] وأربعمائة. (طبقات المفسرين للأدنروي: 127/1).

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

على أن اللّه سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال" . (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه : "قال موسى قبل أن يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فاستجاب اللّه له دعاءه فحال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الإيمان"[1].

فاستجاب اللّه دعاءهما قائلا: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[2]. يقول ابن جريج[3] في تفسير هذه الآية: "إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة " [4]. إذن أجيبت الدعوة بعد أربعين سنة، لأن فرعون مكث مع قومه بعد تلك الفترة أربعين سنة.

ولما جاء أمر رب العالمين لنصرة نبيه موسى ـ عليه السلام ـ ومن آمن معهم، أوحى إلى موسى بأن يسري هو ومن آمن معه الخروج من المدينة ـ لأن فرعون وملأه قد دبروا له ومن آمن معه مكيدا بعد أن سقط هيبة فرعون أمام الجماهير في يوم الذي ألقى موسى عصاه أمام فرعون والسحرة ـ وأخبره بأن فرعون وجنوده سوف يتبعونهم من خلفهم. (وقد سبق عرض الآية التي تحدثت عن هذا الأمر مع تفسيرها فلا حاجة إلى تكريرها، إلا أن في هذ المقام سوف نكمل بعض الأشياء بمزيد من أقوال المفسرين وآراأهم).

ولما وصلت الأخبار إلى أذنى فرعون أن موسى قد صحب قومه وخرج، على الفور أصدر الأمر بجمع جميع الجنود، لكن الجمع في هذه المرة يكون جمعا مسلحين بهدف مقاتلة موسى ومن آمن معه بطريقة الحروب العسكرية، فخطب فرعون أمام جنوده و شجعه قائلا: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[5]. يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآيات: " يريد فرعون أن يُهوِّن من شأنهم ـ موسى ومن آمن معه ـ ويُغري قومه بهم، ويشجِّعهم على مواجهتهم، لكن مع ذلك يحذّرهم من خطرهم،

---

(1) تفسير البحر المحيط (185/5 – 186).

(2) سورة يونس (الآية: 89).

(3) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكي.كان إما م أهل الحجاز في عصره وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. توفي سنة 150. (الأعلام للزركلي: 160/4).

(4) تفسير الطبري (187/15).

(5) (54- 56).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فأعدّوا لهم العدّة، ولا تستهينوا بأمرهم. "وإنا لجميع حذرون" يعني: لا بدّ أن نأخذ حذرنا ونحتاط للأمر "[1].

وصل موسى وبني إسرائيل في شاطئ البحر، وقف موسى أمام البحر، وبدا جيش فرعون يقترب،وكانت المسافة بين الفئتين على بعد ما تستطيع الفئة أن ترى الأخرى، فامتلأ قوم موسى بالرعب. لأن كان الموقف حرجا وخطيرا، البحر أمامهم والعدو ورائهم وليس معهم سفن أو أدوات لعبور البحر. إنهم مجموعة من النساء والأطفال والرجال غير المسلحين، سوف يذبحهم فرعون وجنوده لا محالة...!. فصرخت بعض الأصوات من قوم موسى: "إنا لمدركون" أي يا موسى سيدركنا فرعون وجنوده. فرده موسى قائلا: "كلا، إن معي ربي سيهديني.....!!!". لكن السؤال، كيف يجد موسى هذه الكلمة المناسبة "كلا" ليطمئن قومه، والموت في أتبة الباب....؟ .

يقول الشيخ الشعراوي في جواب هذا السؤال: "قد سبق موسى أن تعلم كلمة "كلا" من ربه تعالى، حينما قال:﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾[2]. فردّه عليه ربه: ﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[3]. عندها تعلمها موسى، وعرف كيف ومتى يقولها قولة الواثق بها. فلم يقل موسى: "كلا" اعتمادا على قوته واحتياطه للأمر، إنما قالها اعتمادا على ربه الذي يكلوه بعينه، ويحرسه بعنايته. فالواقع أنني لا أعرف ماذا أفعل، ولا كيف أتصرف، لكن الشيء الذي أثق منه ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[4]. لذلك يأتي الفرج والخلاص من هذا المأزق مباشرة "[5].

من سياق الآيات لم يكن يدري موسى كيف ستكون النجاة، لكن قلبه كان ممتلئا بالثقة بربه، واليقين بعونه والتأكد من النجاة. وفي هذه اللحظة الأخيرة، يجيء الوحي من الله سبحانه: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ

---

(1) تفسير الشعراوي (10576/17).

(2) سورة الشعراء (الآية: 14).

(3) سورة الشعراء (الآية: 15).

(4) سورة الشعراء (الآية: 62).

(5) (10578).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ٱلْعَظِيمِ ﴾[1]. فوقع المعجزة وتحقق المستحيل في منطق الناس لكن الله سبحانه إن أراد شيئا قال له كن فيكون. فانفلق البحر وبسط طريقا يابسا يعبر عليه موسى وقومه سببا لنجاتهم من فرعون وجنوده.

وفي طرف وصل فرعون إلى البحر. شاهد هذه المعجزة، شاهد في البحر طريقا يابسا يشقه نصفين. فأمر جنوده بالتقدم وساروا على ذاك الطريق اليابس حتى يدركوا موسى وقومه. وفي طرف آخر، على حدّ تفكيره كسائر البشر أراد موسى أن يضرب البحر مرة أخرى ليعود إلى طبيعته، فيسدّ الطريق في وجه فرعون وجنوده حتى لا يدركوا هو وقومه. لكن الله سبحانه الذي يقدّر الأقدار يريد شيئا آخر، فأوحى الله ـ عز وجل ـ إلى موسى : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]. أي أوحى الله إليه أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بأنهم جند مغرقون فيه[3]. فما أن صار فرعون وجهوده في منتصف البحر، حتى أصدر الله أمره، فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه، فغرقوا كلهم داخل البحر. ولما عاين فرعون الغرق، ولم يعد يملك النجاة قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4]. فلا فائدة في إعلان إيمانه، وقد انتهى وقت التوبة المحدد له. وهكذا انتهت القصة بنجاة موسى وقوم، وغراق فرعون وجنوده في قعر البحر الأحمر. والعاقبة للمتقين.

خلاصة الكلام

إن صورة النصر في هذه القصة تختلف عما قبلها، وهي تكون بالغلبة المباشرة والقهر على يد موسى ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه، وإغراق عدو الله فرعون وجنوده في قعر البحر.

والدليل على أنها صورة من صورة النصر تتجلى في المواقف التالية:

أ. كان موسى ـ عليه السلام ـ يولد في العام الذي أصدر فرعون الأمر بقتل أبناء بني إسرائيل حذرا من خروج الغلام الذي يكون هلاك ملك مصر على يديه، كما دلت

---

(1) سورة الشعراء (الآية: 63).

(2) سورة الدخان (الآية: 24).

(3) تفسير ابن كثير (4/1603).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الآيـة :﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1] . ومـع ذلـك أنجـاه الله سبحانه هـذا الصبي الـذي سيكون نبيا فيما بعد من الذبح، بأن يوحي إلى أم موسى بإلقاء صبيها في اليمّ، كما دلّت الآية﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾[2]. فهـذه تكـون نجـاة موسى الأولى قبل النبوة.

ب . أنه ـ عليه السلام ـ لما خرج ومعه بنو إسرائيل، وقد انقطعت أسباب المعونة، وكان البحر أمامه والعدوّ خلفه يقترب إليه ساعة بعد ساعة، ولم تكن معه الأسلحة يقاتل بها العدو. ففي هذا الوضع المخيف، اطمأنت نفسه ، وهو شديد الثقة بأنه سبحانه سوف يهديه إلى سبيل يكون سبب نجاته ومن آمن معه. فأوحى الله ـ عز وجل ـ إليه بأن يضرب بعصاه البحر، فانفلق البحر وبسط أمامه طريقا يابسا الذي يكون سبب نجاته وقومه، كما دلّت الآية: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ ﴾[3]. فعبر موسى وقومه، غير أنه لم يعلم كيف سيكون سبيل نجاته من فرعون وجنوده. وأغرق الله فرعون وجنوده حينما وصلوا في منتصف البحر. وهذا كان إجابة دعوة موسى على فرعون وملئه قبل أربعين سنة ماضية. فهذه تكون نجاة موسى الثانية من فرعون وجنوده، أو هي الأولى بعد النبوة.

وبهذا تكون صورة النصر في هذه القصة بغلبة موسى وقومه المباشرة، لأنهم يورثون مشارق أرض مصر ومغاربها بعد إهلاك فرعون وجنوده. وتكون نجاة موسى مرتين: مرة من الذبح، ومرة من فرعون وجنوده.

إن الآيات التي تقص لنا قصة كليم الله موسى ـ عليه السلام ـ في مواجهة فرعون وملأه تصور لنا شخصية معينة: الأولى: هي شخصية متّق، صبور، متوكل على ربه فقط، شديد الثقة بوجود نصرة ربه الذي أرسله بالرسالة، حتى ولو كان أوقع في المواقف الصعبة المخيفة في ميزان البشر. وهي شخصية التي يمثلها موسى ـ عليه السلام ـ. وكيف لايكون صبورا وقد تزوج وكان شرط زواجه عليه أن يعمل عند صهره ثمانية

---

(1) سورة القصص (الآية: 4).

(2) [illegible] (7).

(63

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أعوام أو عشرة، وقد كان يعيش في رغد عيش عند قصور فرعون، ولكنه بعد زواجه عليه أن يعيش عيشة رعاة الغنم. وكيف لايكون صبورا وقد كان يدعوا ربه سبحان على فرعون وملأه، وكان جواب دعوته نفذ بعد أربعين سنة.

وكيف لايكون متوكلا وقد انقطعت أسباب المعونة، وأغلقت أبواب الفرار، البحر أمامه والعدو وراءه، وليست معه أداة لعبور البحر، وليست معه الأسلحة كي يقاتل بها العدوّ، ومع ذلك اطمأنت نفسه ولم ينس ربه، ويقول لقومه: "كلا، إن معي ربي سيهدين" يقولها بثقة شديدة بأن ربه سبحانه سوف يهديه طريقا النجاة، يقولها اعتمادا على ربه الذي يكلؤه بعينه ويحرسه بعنايته، فأنزل الله نصرته و مدده لإنجائه وقومه من العدو.

والثانية: هي شخصية طاغية، خائن متكبر،سفاك الدماء، قاتل الأبرياء، يستعبد قومه. وهي شخصية يمثلها فرعون الطاغي، وكيف لايكون طاغيا متكبرا، وقد اعترف بأنه "الرب الأعلى" يوجب على قومه عبادته. كما دلت الآية:﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [1]. وفي آية أخرى : ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [2].

ومن باب الاتعاظ من هذه القصة يجب أن نعلم أنها تبرز شخصية الداعية ذا الخصال المحمودة ، اللطيف في كلامه، واللين في أسلوب دعوته في مجادلة الباطل. وهذه عظة ثمينة للداعية، أي مهما كانت شخصية المدعو شخصية طاغية جبار، سفّاك الدماء، فعلى الداعي لدين الله أن يواجهه بالأساليب اللينة والموعظة الحسنة، وهي من باب الحكمة في الدعوة، كما أمر الله سبحانه موسى النبي حين أمره بمواجهة فرعون. وهي كما ذكرت الآية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[3] أي اللين واللطف في القول. ولأن الحق سبحانه يريد لموسى أن يدخل على فرعون دخول الواثق من أنه سيهتدي، لا دخول اليأس من هدايته، لتكون لديه الطاقة الكافية لمناقشته وعرض الحجج عليه، أما لو دخل وهو يعلم هذه النتيجة لكان محبطا لأنه لا يرى من كلامه من فائدة. فالله سبحانه يعلم على كل شيء ما سيكون من أمر فرعون، لكن يريد أن

---

(1) سورة النازعات (الآية:24).

(2) سورة الشعراء (الآية:29).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

يقيم الحجة عليه. كما قال تعالى:﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1]. *والله أعلم بالصواب.*

* * * *

(1

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث السادس:

نصر الله داود ـ عليه السلام ـ .

❖ **نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في العبادة**

كان داود عبدا خالصا، شكورا لله سبحانه، يصوم يوما ويفطر يوما، يقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه، صابرا على ما أصابه من البلاء والفتن، فأنعم الله عليه نعما كثيرة وملّكه على بني إسرائيل وشدد ملكه.

❖ **حديث القرآن الكريم عن هذه القصة**

وردت هذه القصة في القرآن الكريم مرات عدّة، تارة مختصرة وتارة مطولة، وكلها يكمل بعضها بعضا. منذ انضمامه مع جيش طالوت[1]، وهو راعي غنم حينذك كما يقول بعض المفسرين، ومع ذلك كان قادر على مبارزة جالوت ـ عدو الله ـ وفصل رأسه عن عنقه. وما أنعم الله عليه من تسخير الجبال وتسبيح الطير معه، ومن جمال الصوت، وإلانة الحديد له، وصنعه الدروع المركبة من حلقات الحديد، وتشديد ملكه، وفوق هذا وذاك آتاه الله الحكمة ـ النبوة ـ وفصل الخطاب، وجعل من أبنائه " سليمان " نبيا من أنبياء الله سبحانه.

ومن السور القرآنية التي بينت هذه القصة، ليس بكثير، هي: البقرة (الآية: 246 ـ 251) ـ النساء (الآية: 163) ـ الإسراء (الآية: 55) ـ الانبياء (الآية: 78 ـ 80) ـ النمل (الآية: 15 ـ 16) ـ ص (الآية: 17 ـ 20، 30) ـ سبأ (الآية: 10 ـ 11)[2].

وسوف نبحث عمّا منّ الله سبحانه من نصرته له حينما واجه داود ـ عليه السلام ـ جالوت عدو الله.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ

---

[1] وهو طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل (البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير 7/2، دار الديان للتراث القاهرة الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م .

[2] قصص الأنبياء لابن كثير (ص 404 ـ 415).

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

(1) أي يقول تعالى مخبرًا عن طالوت ملك بني إسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل وكان جيشه يومئذ فيما ذكره السدي ثمانين ألفًا ، فالله أعلم. إنه قال:[إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ] قال ابن عباس وغيره: "وهو نهر بين الأردن وفلسطين يعني: نهر الشريعة المشهور ". [فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي] أي: فلا يصحبني اليوم في هذا الوجه . [وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ] أي: فلا بأس عليه قال الله تعالى [فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ] قال ابن جريج: قال ابن عباس: من اغترف منه بيده روي، ومن شرب منه لم يرو. وقال السدي: كان الجيش ثمانين ألفًا فشرب ستة وسبعون ألفًا وتبقى معه أربعة آلاف كذا قال. [فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ] أي: استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العالمون بأن وعد الله حق فإن النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عدد. ولهذا قالوا: [كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] أي: لما واجه حزب الإيمان ـ وهم قليل ـ من أصحاب طالوت عدوهم أصحاب جالوت ـ وهم عدد كثير ـ [قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا] أي: أنزل علينا صبرًا من عندك [وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا] أي: في لقاء الأعداء وجنبنا الفرار والعجز [وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]. [فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ] أي: غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم [وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ] ذكروا في الإسرائيليات: أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره فوفى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة؛ ولهذا قال تعالى: [وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ] الذي كان بيد طالوت [والحكمة]

(251)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أي: النبوة بعد شمويل[1] [وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ] أي: مما يشاء الله من العلم الذي اختصه بهρ ثم قال تعالى: [وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ] أي: لولاه يدفع عن قوم بآخرين، كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا كما قال: [وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا[2]] [3].

قيل: إنهم كانوا في حر شديد وعطش شديد، ولم يأذن لهم في الشرب منه إلا ما كان من غرفة واحدة، فمن أطاع ولم يشرب فهو المؤمن، ومن عصى وشرب غير المأذون به فهو الكافر ولما وصلوا إلى النهر شربوا منه يكرعون؛ كالبهائم إلا قليلاً منهم. وكانت هذه الآية في بيان سير طالوت إلى العدو، وفي الآيتين التاليتين(250و251) بيان المعركة وما انتهت إليه من نصر حاسم للمؤمنين الصادقين [4].

فهذا هو أول القصة التي ذكرت فيها اسم "داود" في القرآن الكريم.

❖ **كيف تدخلت قوة الله سبحانه لنصرة نبيه داود ـ عليه السلام ـ؟**

كان أشراف بني إسرائيل من بعد موسى يجتمعون للتشاور ثم ذهبوا إلى النبي الذي كان معاصرا لهم، وطلبوا منه أن يأتي بالملك كي يجاهد معهم في سبيل الله ـ كان الملك هو الذي يباشر الأعمال وليست النبوة، على أن النبوة تشرف على نفاذ الأعمال ولا يباشرها ـ فلما بعث لهم ملكا[5] قالوا لنبيهم، كما أخبرنا الحق سبحانه: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[6] نفهم من هنا بأن طالوت ليس من الرجال اللامعة الذين يظنّهم الناس أن الملك سيكون من أنفسِهم. وبعد أن صار طالوت ملكا عليهم، خرج طالوت وذهب إلى القتال ومعه الجنود

---

(1) هو شمويل ويقال له أشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا. (البداية والنهاية:5/2ـ 6).

(2) سورة الحج (الآية: 40).

(3) تفسير ابن كثير (278/1 – 279).

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (1/ 238).

(5) [illegible] معهم في سبيل الله أو ليقاتلوا تحت رايته.

(2)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ومن بينهم داود ـ عليه السلام ـ وكان راعيا للغنم، وقد أراد طالوت أن يختبرهم لأن من بينهم مَن وقف ضدّ تعيينه ملكا، كما أن مُقدّم الجيوش إن أراد الوقوف على طاعتهم إياه عليه أن يقيم الاختبار لهم، هل يطيعون أم لا...؟. ولما وصلت الجماعة نهرا قال لهم طالوت، كما أخبره سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾[1]. وكانوا في الصيف، ولا شكّ بأن كل واحد من الجيوش أصابه العطش، ولكن لماذا جاء الاختبار في منعهم مما تحتاج إليه نفوسهم "فمن شرب منه فليس منّي" ...؟.

يقول الشيخ الشعراوي في هذه القضية: " لأنهم ساعة يرون ما يحبونه ويشتهون فسيندفعون إليه وينسون أمر الله سبحانه. ومن ينس أمر الله ويفضل نفسه، فهو غير مأمون أن يكون في جند الله. لكن الذي يرى الماء ويمتنع عنه وهو في حاجة إليه، فهو صابر قادر على نفسه، وسيكون من جند الله، لأنه آثر مطلوب الله على مطلوب بطنه، وهو أهل لأن يبتلى، وأن العملية الحربية التي سيدخلونها سيقبلون فيها الويل وسيعرضون لنفاد الزاد، وهم أيضا عرضة لأن يحاصرهم عدوهم، وعلى الإنسان المقاتل في مثل هذه الأمور أن يقوى على شهوته ويأخذ من زاده ومائه على قدر ضرورة استبقاء الحياة، لذلك تكفي غرفة واحدة لاستبقاء الحياة "[2].

فهكذا يتم الاختبار ليعلم من الذي يطيع الأمر ويتحمل المشقة التي هي الاختبار الأول، قبل أن يلقوا الاختبار التالي وهو لقاؤهم مع جالوت وجيوشه وهو الأشد. وقد أخبرنا الله سبحانه عن نتائج الاختبار الأول ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ومنهم داود الراعي. يقول الشيخ رشيد رضا تحت هذه الآية: " ذلك أن القوم كانوا قد فسد بأسهم وتزلزل إيمانهم، واعتادوا العصيان فسهل عليهم عصيانهم، وشق عليهم مخالفة الشهوة وإن كان فيها هوانهم، ولم يبق فيهم من أهل الصدق في الإيمان والغيرة على الملة والأمة إلا نفر قليل (وقليل من عبادي الشكور)[3] والعدد القليل من أهل العزائم يفعل ما لا يفعل الكثير من ذوي المآثم " [4].

---

[1] سورة البقرة (الآية: 249).

[2] تفسير الشعراوي (2/1053 – 1054).

[3] سورة سبأ (الآية: 13).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وبعد ذلك انطلق طالوت مع هؤلاء الذين آمنوا معه أي الذين لم يشربوا ماء وهؤلاء الذين شربوا على قدر الحاجة (شربوا غرفة بيده). ولما رأوا جالوت وجنوده في عدد كبير، قال هؤلاء الذين خافوا بعد رؤيتهم: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ أي لا قدرة لنا على محاربة الأعداء، فضلا عن الأمل في التغلب عليهم فردّ عليهم بقية المؤمنين الذين يوقنون بلقاء ربهم ومجازاته على أعمالهم في الآخرة، والذين ينتظرون إحدى الحسنيين : إما الشهادة في سبيل اللّه، وإما النصر على الأعداء : لا تغرنكم كثرة الأعداء، فكثيرا ما غلبت الفئة القليلة العدد بقوة إيمانها ومشيئة اللّه الفئة الكثيرة العدد، واللّه مع الصابرين بالتأييد والعون، فإن النصر مع الصبر. وهو كما دلت الآية﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (1) (2).

فلما التقى الجمعان لجأ جيش طالوت المؤمنون إلى اللّه سبحانه وقالوا: "ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين". يقول الشيخ رشيد رضا: "لجأ قوم طالوت المؤمنون إلى اللّه تعالى يدعونه بأن يفرغ على قلوبهم الصبر، ويثبت أقدامهم في مواقع القتال بثبات قلوبهم واطمئنانها بالإيمان والثقة به، وينصرهم على القوم الكافرين عبدة الأوثان، الذين تعلقت قلوبهم بالأوهام. وهذه الأمور الثلاثة بعضها مرتب على بعض بحسب الأسباب الغالبة، فالصبر سبب للثبات الذي هو سبب من أسباب النصر، وأجدر الناس بالصبر المؤمنون باللّه عز وجل الغالب على أمره "(3).

لم يقصّ لنا القرآن كيف كانت المبارزة، ومباشرة المعركة، وكيفية قتل داود لجالوت. ولكن سوف نذكر بعض أقوال المفسرين فيها بإذن اللّه سبحانه:

يقول الشيخ ابن كثير : "ذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بالمقلاع كان في يده رماه به، فأصابه وقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته، ويشاطره نعمته، ويشركه في أمره فوفى له، ثم آل الملك إلى داود مع ما منحه اللّه به من النبوة العظيمة"(4).

---

(1) سورة البقرة (الآية: 249).

(2) تفسير المنير (429/2).

(3) تفسير المنار (389/2).

(2

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

يقول الشيخ رشيد رضا: " إن جالوت جبار الفلسطينيين طلب البراز فلم يجرؤ أحد من بني إسرائيل على مبارزته حتى إن طالوت جعل لمن يقتله أن يزوجه ابنته ، ويحكمه في ملكه ، ثم برز له داود بن يسى ، وكان غلاما يرعى الغنم ، ولم يقبل أن يلبس درعا ولا أن يحمل سلاحا ، بل حمل مقلاعه وحجارته ، فسخر منه جالوت واحتمى عليه إذا لم يستعد له ، وقال : هل أنا كلب فتخرج إلي بالمقلاع ؟ فرماه داود بمقلاعه فأصاب الحجر رأسه فصرعه فدنا منه فاحتز رأسه ، وجاء به فألقاه إلى طالوت فعرف داود "[1].

يقول صاحب تفسير أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير: " لما التقى الجيشان جيش الإيمان وجيش الكفر طالب جالوت بالمبارزة فخرج له داود من جيش طالوت فقتله والتحم الجيشان فنصر الله جيش طالوت وكان عدد أفراده ثلاثمائة وأربعة عشر مقاتلاً لا غير. لرواية عن البراء قال كنا أصحاب محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ نتحدث: " أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة "[2]. فهزم الله جيش الباطل على كثرته ونصر جيش الحق على قلته. وهنا ظهر كوكب داود في الأفق بقتله رأس الشر، جالوت. فمنّ الله عليه بالنبوة والملك بعد موت كل من النبي شمويل والملك طالوت [3].

وهكذا استجاب الله دعاء المؤمنين الصابرين، ومنحهم ما سألوا ببركة التوجه إليه، ونصرهم على أعدائهم، وهو وعده سبحانه في نصر المؤمنين الصابرين الثابتين، على الكافرين.

وهكذا منّ الله على نبيه داود من النصر والملك والنبوة، ولم يجمع قبله من الأنبياء بين الملك والنبوة، وأنزل عليه الزبور، وسخّر له من خلقه كثير يسبحون معه.

---

[1] تفسير المنار (389/2).

[2] أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب " عدة أصحاب بدر" حديث رقم: 3741 (1457/4). وابن ماجه باب "السرايا" حديث رقم: 2828 (944/2). والنسائي.

[3] تفسير العلي الكبير (239/1 – 240).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

خلاصة الكلام

من جميع التفصيلات التي شاهدنا في الآيات التي تقص هذه القصة مع تفاسيرها رأينا كيف وفّى الله عهده في معنى الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [1]. لمن خرج وقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله سبحانه. وصورة النصر في هذه القصة تكون بالغلبة المباشرة على يد داود ـ عليه السلام ـ والمؤمنين تحت راية طالوت، ومن ثم ظهور الدين وتمامه وقيام دولة أو الملك الإسلامي تحت الأسس الإيمانية، وقهر جالوت وجيوشه الكافرين.

ومن خلال هذه القصة نتعلم أول درس وهو الثقة في الله تعالى، والدليل على ذلك، أن داود ـ عليه السلام ـ لما رأي جالوت وجنوده الكثير وعدد المؤمنين القليل، ومع ذلك لم يدخل في قلبه خوف، بل قال: ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَۢةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2]. أي أنه وثيق النفس في أن الله سبحانه سوف ينصره و ينصر المؤمنين الصابرين. لأجل ذلك حينما طلب جالوت للمبارزة تقدّم داود مع ثقة نفسه، ولكنه قد لجأ إلى من يقدّر الأقدار قبل ذلك أولا، على أن يفرغ قلبه بالصبر، ويثبت قدمه، وينصره على الكافرين. فاستجاب الله دعاءه ونصره على جالوت، فقتل داود جالوت وليس معه غير الأحجار والمقلع الذي يضرب به الذئب، ومع ذلك قتل جالوت بتلك الأحجار بإذن الله سبحانه. إذن فقهر جالوت أمام داود ـ الراعي حينذاك ـ بالمقلع البسيط صورة من صور النصر، وهي لا تنال إلا بوجود قوة الإيمان، و بعد الصبر الطويل، والأخذ بأسباب النصر في الحرب.

ومن هذه القصة يبدو أن طاعة الجيوش لقائدهم أمر مطلوب، مادام ما يأمر به وينهى عنه في حدود الخير والعرف، تبدو لنا أن الطاعة لا تكون إلا في المعروف ولا في المعصية، وقد ورد في كتب الحديث القصة عن طاعة الجيوش أميرهم : أن رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم بعث جيشا وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال ادخلوها. فأراد ناس أن يدخلوها وقال الآخرون إنا قد فررنا منها. فذكر ذلك لرسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم فقال للذين أرادوا أن يدخلوها « لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة ».

---

(1) .

(2) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وقال للآخرين قولا حسنا وقال « لا طاعة فى معصية اللّه إنما الطاعة فى المعروف »[1].
وطاعة القائد من شروط الظفر واستقامة الأمر، ولكنها قد حرّفت من هدف تقنينها، وهي كما وجدنا الآن في القوانين العسكرية اليوم، وجدنا بأن الطاعة فيها في المنشط والمكره والمعقول وغير المعقول، بل حتى في عصيان اللّه سبحانه.
ومن هذه القصة أيضا تصورت لنا كيف تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة - بالصبر والثبات وطاعة الأمير - ولا شك بأن قوة الإيمان واليقين في نصرة اللّه المؤمنين على الكافرين،والصبر ، والثبات أمام الأعداء، كلها عناصر من عناصر النصر، لأجل ذلك جرت سنته سبحانه بأن يكون النصر أثرا للإيمان والصبر والثبات. يقول تعالى في كتابه العزيز: (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّه كثيرا لعلكم تفلحون)[2].
ومن باب الاتعاظ أيضا من هذه القصة أن من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء هي عند لقاء الأعداء أو عند يوم الزحف، وقد صدّق ذلك داود - عليه السلام - جنود طالوت المؤمنون،أنهم حينما برزوا لجالوت وجنوده، قالو: "ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين". فاستجاب اللّه دعاءهم بالنصرة والغلبة على أعدائهم.
واللّه أعلم بالصواب

* * * *

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب "السمع والطاعة للإمام" حديث رقم: 6726 (2612/6).ومسلم في صحيحه، كتاب الإ[illegible] لطاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية" حديث رقم: 4871 (15/6). واللفظ لمسلم .

(2)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث السابع:

نصر الله عيسى ـ عليه السلام ـ .

❖ **نبذة عن جهده عليه السلام في تبليغ الرسالة.**

هو عيسى ابن مريم رسول إلى بني إسرائيل فقط، وهو آخر الأنبياء من بني إسرائيل، ليخفف عن بني إسرائيل بإباحة بعض الأمور التي حرّمتها التوراة عليهم عقابا لهم.

كان يدعو بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده، وأظهر لهم المعجزات تأييدا و آية لنبوته، إلا أن بني إسرائيل مع هذه الآيات كفروا به، بل مكر رهبانهم ودبّروا له مكيدة لقتله وصلبه. ولكن الله سبحانه أنجاه من مكرهم ورفعه إليه.

❖ **حديث القرآن الكريم عن هذه القصة.**

وردت هذه القصة في القرآن الكريم في سور مختلفة، منذ أمه (مريم بنت عمران) وولادته، ودعوته، وأتباعه أو أنصاره، ومعجزاته، ورفعه إلى السماء.

والسور القرآنية التي ذكرت فيها قصة ابن مريم ـ عليه السلام ـ كثيرة، وهي: آل عمران (الآية:3 4، 33 37، 42 59) ـ النساء (الآية:157 163، 171 173) ـ المائدة (الآية:13 18، 72 86، 110 120) ـ الأنعام (الآية:101) ـ التوبة (الآية:30 32) ـ مريم (الآية:16 37) ـ الأنبياء (الآية:91) ـ الفرقان (الآية:2) ـ الزخرف (الآية:57، 63 64) ـ الحديد (الآية:27) ـ الصف (الآية: 6) ـ التحريم (الآية: 12)[1].

وسوف نكتفي بحديث عن نصرته سبحانه لنبيه عيسى ـ عليه السلام ـ حين دبّر اليهود له مكيدة ليقتلوه.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ

---

[1] هاب النجار (ص 489 595).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]. أي لما شعر عيسى ـ عليه السلام ـ من قومه بني إسرائيل بالتصميم على الكفر، والاستمرار على الضلال، وتحقق من ذلك، أراد التعرف صراحة عن المؤمنين بدعوته، فقال: من يتبعني إلى الله، ومن ينصرني ملتجئا إلى الله...؟ والظاهر أنه يريد: من أنصاري في الدعوة إلى الله...؟ هكذا عيسى انتدب طائفة من بني إسرائيل لنصرته، فآمنوا به وآزروه ونصروه، كما جاء في آية أخرى:﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]. قال الحواريون أي الأنصار: "نحن أنصار دين الله وجنوده المخلصون المؤيدون دعوتك، آمنا بوجود الله وبوحدانيته إيمانا صادقا، واشهد بأنا مسلمون، أي خاضعون منقادون لأوامره، وجوهر الإسلام متفق عليه بين كل الأديان". ثم تضرعوا إلى الله سبحانه قائلين: ربنا آمنا وصدقنا بما أنزلت في كتابك واتبعنا الرسول عيسى ابن مريم، فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون لأنبيائك بالصدق. وذكر الأتباع في قولهم دليل على صحة الإيمان، لأن الإيمان يقتضي العمل [3].

ثم قال تعالى مخبرا عن ملأ بني إسرائيل فيما هَمُّوا به من الفتك بعيسى ـ عليه السلام ـ وإرادته بالسوء والصَّلب، حين تمالئوا عليه وَوَشَوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافرًا، فأنْهَوا إليه أن هنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك، وَيُفَنِّد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زانية حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه ويُنَكّل به، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظَفروا به، نجاه الله من بينهم، ورفعه من رَوْزَنَة[4] ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم، وتركهم

---

[1] سورة آل عمران (الآية: 52 – 55).

[2] سورة الصف (الآية: 14).

[3] تفسير الطبري (3/220 – 240).

[4] المعجم الوسيط. ص: (342) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطَلبتِهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازما لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد[1].

ثم ذكر الله - عز وجل - عن رفع عيسى إلى السماء حتى لا يصل إليه اليهود لقتله وصلبه، إلا أن المفسرين اختلفوا في تفسير هذه الآية بطريقين، فالطريق الأول: أن الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا في معناها وجوهاً : الوجه الأول : معناه أني قابضك ورافعك إلي من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاماً, والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره. الوجه الثاني : أن المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[2] فجعل النوم وفاة, وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف, فمعنى الآية أني منيمك ورافعك إليّ . والوجه الثالث: أن المراد بالتوفي حقيقة الموت, قال ابن عباس : "معناه أني مميتك". قال وهب بن منبه : "إن الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه". وقيل : "إن النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه إليه". الوجه الرابع : أن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف يفعل ؟ ومتى يفعل ؟ فالأمر فيه موقوف على الدليل. الوجه الخامس: أن معنى التوفي أخذ الشيء وافياً ولما علم الله تعالى أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى أن المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الأرض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله إني متوفيك ورافعك إليَّ فأخبر الله تعالى أنه رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعاً. والطريق الثاني : أن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك إلى الأرض[3].

ثم جعل الله الحواريين الذين اتبعوه في التوحيد وصدقوا قوله وهم أهل الإسلام من أمة محمدρ فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة [4].

---

(1) تفسير ابن كثير: (333/1).

(2) سورة الزمر (الآية: 42).

(3) تفسير ابن كثير: (356/1).

(3)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

❖ كيف تدخلت قوة الله سبحانه لنصرة نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ ؟

وذلك أن عيسى ـ عليه السلام ـ بعد أن أخرجه قومه وأمه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة، فمكروا عليه وهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به، فذلك مكرهم. فمكر الله سبحانه ـ وهو خير الماكرين ـ لإنجاء نبيه ـ عليه السلام ـ من مكرهم ومكيدتهم، فألقا الله سبحانه الشبه على أحد الحواريين فقتلوه وصلبوه، وأما عيسى ـ عليه السلام ـ فقد نجا من مكرهم ورفعه الله إلى السماء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن عيسى استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا: "قد جاء الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه، فلما سمع ذلك عيسى ـ عليه السلام ـ دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير. فلما رأى ذلك يهوذا رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى ـ عليه السلام ـ، وثاروا إليه ليقتلوه فبعث الله إليه جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له: ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله، فلما دخل لم ير عيسى، فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها، فألقى الله عليه شبه عيسى ـ عليه السلام ـ، فلما خرج ظنوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه" [1].

وقال وهب بن منبه [2] : إن اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى ـ عليه السلام ـ الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال : ليكفر بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود وقال : "ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح"، فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه . فلما دخل البيت الذي فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال : أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب الذي ألقي عليه شبه عيسى جاءت

---

[1] تفسير البغوي (44/2).

[2] اليماني: سماه عبد الله بن الديلمي الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله عليهم (وفيات الأعيان لأبي بكر بن خلكان: 35/6 - دار صادر بيروت 1900م . حققه إحسان عباس).

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال : على من تبكيان إن الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني إلاّ خيرٌ وهذا شيء شبه لهم [1].

وعن السدي: إن بني إسرائيل حَصروا عيسى وتسعةَ عشر رجلا من الحواريِّين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم، وصُعِد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله:"ومكرُوا ومكر الله والله خير الماكرين". فلما خرج الحواريون أبصرُوهم تسعةَ عشر، فأخبروهم أن عيسى قد صُعد به إلى السماء، فجعلوا يعدّون القوم فيجدُونهم ينقصون رجلا من العِدّة، ويرون صورةَ عيسى فيهم، فشكُّوا فيه. وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يُرَوْن أنه عيسى وصَلبوه، فذلك قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)[2][3].

معقبا على هذه الأقوال يقول القرطبي في تفسيره : "والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد ، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس، وقاله الضحاك [4] " [5]. لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه إلى السماء لا بعد موته.

لم تقتصر نصرة الله لنبيه عيسى ـ عليه السلام ـ برفعه إلى السماء فقط، ولكنه سبحانه مطهّره من الكافرين، وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة شامل في برامج النصرة، كما دلّت الآية: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ﴾.

أي أنه سبحانه مخرجه من بين قومه ومنجيه منهم، : وجعل أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمدρ فهو فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة، وهذا قاله قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي. وقال الضحاك: "هم

---

(1) تفسير الخازن (355/1).

(2) سورة النساء (الآية: 157).

(3) تفسير الطبري (454/6).

(4) [illegible] الالي صاحب التفسير مات بخرسان سنة ثنين ومائة (طبقات المفسرين للأدنروي: 10/1) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الحواريين فوق الذين كفروا"[1]. يقول الشيخ السعدي : "إن الله أيد المؤمنين منهم على الكافرين، ثم إن النصارى المنتسبين لعيسى ـ عليه السلام ـ لم يزالوا قاهرين لليهود لكون النصارى أقرب إلى اتباع عيسى من اليهود ، حتى بعث الله نبينا محمدρ فكان المسلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة ، فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصارى وسائر الكفار ، وإنما يحصل في بعض الأزمان إدالة الكفار من النصارى وغيرهم على المسلمين، حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول محمدρ [2].وهكذا أنجى الله ـ عز وجل ـ نبيه عيسى من مكر قومه الذين يريدون قتله وصلبه برفعه إلى السماء ، وسوف ينزل عيسى ثانية قبل يوم القيامة كما ورد في بعض الروايات الصحيحة.

خلاصة الكلام

صدق الله العظيم الذي قال في كتابه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[3] الذي رفع نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ إلى السماء نصرة له من مكر قومه ومؤامرتهم، وهي عين المدد الذي وعده الله سبحانه لرسله وعباده المؤمنين.

وصورة النصر في هذه القصة تكون برفعه ـ عليه السلام ـ إلى السماء أولا ،حينما أراد قومه قتله وصلبه. وجُعل الذين اتبعوه من أهل الإيمان والتوحيد ظاهرين قاهرين بالعزّة والحجة على الذين كفروا ثانيا. وانتقام الله سبحانه من أعدائه بعد رفعه إلى السماء، وذلك بتسليط الروم عليهم (الملك ومن معه الذين يريدون فتك عيسى وقتله وصلبه) فساموهم سوء العذاب ثالثا.

فهذه الأمور الثلاثة نوع من أنواع النصر العظيم لعيسى ـ عليه السلام ـ، ثم قبل قيام الساعة سوف ينزل عيسى ابن مريم فيسلطه الله ـ عزّ وجلّ ـ على اليهود ، فلا يبقى على الأرض يهودي، ولا يبقى نصراني، ولا يكون إلا الإسلام، كما أخبرت بعض الروايات الصحيحة، عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول اللّه- صلى الله عليه وسلم : «والله لينزلن ابن مريم حكما

---

[1] تفسير البغوي (46/2).

[2] تفسير السعدي (133/1).

[3] (

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص[1] فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد »[2].

وهكذا تجلت قدرة الله في نصرته لأنبيائه ورسله مما قصه الله تعالى علينا في كتابه الكريم، وكما بينا في الآيات السابقة، والتي تلقي في النفس المؤمنة زيادة الطمأنينة والثقة والتثبيت في زمن اليأس والعجز والضعف، وهي حكمة ذكر قصص الأنبياء والرسل في كتاب الله، كما ذكر الله تعالى لرسوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[3] . *والله أعلم بالصواب.*

* * * *

---

(1) القلاص جمع قلوص وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال، ومعناه: أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال، وإنما ذكرت القلاص لكونها من أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب (انظر: شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: 2/ 192، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية 1392هـ) . وفي المعجم الوسيط: هي الشابة من الإبل أو الإبل الفتية المجتمعة الخلق وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها ثم هي ناقة وولد النعام وفرخ الحبارى (المعجم الوسيط: 755/2).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب "نزول عيسى ابن مريم" حديث رقم: 408 (94/1).

(3)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الفصل الثالث:

[أمثلة لنصر الله رسوله والمؤمنين]

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: النصر على المشركين، ويشتمل على سبعة مطالب :

- ❖ المطلب الأول: في الهجرة
- ❖ المطلب الثاني: في غزوة بدر
- ❖ المطلب الثالث: في غزوة أحد
- ❖ المطلب الرابع: في غزوة الخندق
- ❖ المطلب الخامس: في اتفاق الحديبية
- ❖ المطلب السادس: في غزوة فتح مكة
- ❖ المطلب السابع: في واقعة يوم حنين

المبحث الثاني: النصر على غير المشركين، ويشتمل على ثلاثة مطالب :

- ❖ المطلب الأول: النصر على يهود بني النضير و بني قريظة
- ❖ المطلب الثاني: في غزوة خيبر
- ❖ المطلب الثالث: في غزوة تبوك

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

تمهيد

سبق بنا الحديث عن الأمم والطوائف المنصورين من خلال نصر الله سبحانه أنبياءه الذي ورد في القرآن الكريم مع عرض صور النصر التي أيّد الله سبحانه وتعالى بها أنبياءه .

وفي هذا الفصل الثالث ـ وهو الأخير من هذه الرسالة ـ سوف أتناول أمثلة النصر من خلال سيرة نبي هذه الأمة، محمد ρ منذ هجرته إلى المدينة، وغزواته ضد مشركي مكة، واليهود الذين كانو في المدينة أو جاوروا المدينة، إلى آخر غزوة التي غزاها الرسول ρ ضد الإمبراطورية الرومانية ـ إحدى القوات الظاهرة على وجه الأرض حينذاك ـ مع إبراز صور النصر التي أنزلها الله سبحانه في كل هذه الوقائع؛ من المعجزات النبوية، وإرسال الجنود التي لم نرها، وقذف الرعب والخوف في قلوب الأعداء وغيرها.

وسوف نتناول هذه الأمور كلها وفق ما ذكره القرآن الكريم مع عرض بعض الشواهد من السنة الشريفة، والسيرة النبوية اللتين تفسران الآيات القرآنية. وسوف يأتي بيانها في هذا الفصل مختصرة بإذن الله ....!!! .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الأول:

النصر على المشركين

المطلب الأول:

في الهجرة إلى المدينة المنورة .

❖ **نبذة يسيرة عن هجرة النبي ρ إلى المدينة.**

لما أيقنت قريش أن المسلمين قد أصبحوا في المدينة في عزّة ومنعة، عقدت مؤتمرا في دار الندوة للتفكير في القضاء على الرسول نفسه، فاجتمعت كلمتهم على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى جلدا، فيقتلوه جميعا، فيتفرق دمه في القبائل، ولا يقدر بنو مناف على حربهم جميعا، فيرضوا بالدية. فحصر الفتيان الموكّلون بقتل الرسول ρ على باب بيته ليلة الهجرة ينتظرون خروجه ليقتلوه. ومع ذلك تمكّن النبي ρ الخروج من بيته تلك الليلة دون علمهم، فاتجه هو وأبو بكر إلى غار ثور لمدة ثلاث ليال إلى أن يهدأ الطلب عنهما.

أرسلت قريش في القبائل تُطمع كلَّ من عثر على الرسول ρ وصاحبه، وجعل فيه مائة ناقة لمن يأتي بهما حيين أم ميتين. وبعد أن هدأ الطلب عنهما، خرجا من الغار مع دليلهما وأخذا طريق السواحل (ساحل البحر الأحمر) وقطعا مسافة بعيدة قاصدين المدينة [1].

❖ **حديث القرآن الكريم عن هذه الهجرة.**

إن الهجرة أمر إلهي أذن لنبيه بالهجرة إلى المدينة، فالله سبحانه لن يتخلى عن رسوله المصطفى ممن مكر به ودبّر له مكيدة، بل عصمه من الناس الذين يريدون به سوءا، وقد ذكر القرآن الكريم بعض الآيات التي تشير إلى عصمته سبحانه له خلال الهجرة إلى أن وصل المدينة. يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2]. أي واذكر

---

(1) [illegible] ختوم (ص:190-196).

(2)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

يا محمد إذ اجتمع أهل مكة للمشاورة في شأنك بدار الندوة، و التذكير بمكر قريش هنا ليشكر نعمة اللّه عليه في خلاصه من مكرهم وتدبيرهم واستيلائه عليهم.[1].

وسبب نزول هذه الآية، كما رواه ابن كثير: "عن ابن عباس أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي. قالوا: أجل، ادخل فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، واللّه ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره. قال: فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، قال: فصرخ عدو اللّه الشيخ النجدي فقال: واللّه ما هذا لكم برأي، واللّه ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم، فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم. قال: فانظروا في غير هذا.

قال: فقال قائل منهم: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم، فقال الشيخ النجدي: واللّه ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاوة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ واللّه لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، ليجتمعن عليكم ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا: صدق واللّه، فانظروا بابا غير هذا.

قال: فقال أبو جهل ـ لعنه اللّه ـ : واللّه لأشيرن عليكم برأي ما أراكم تصرمونه بعد، ما أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلاما شابا وسيطا نهدًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها. فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. قال: فقال الشيخ النجدي: هذا واللّه الرأي. القول ما قال الفتى لا رأي غيره، قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل النبي ρ، فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأخبره بمكر القوم. فلم يبت رسول اللّه ρ في بيته تلك الليلة، وأذن اللّه له عند ذلك بالخروج وأنزل اللّه عليه

(1) .304

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بعد قدومه المدينة الأنفال يذكّر نعمه عليه وبلاءه عنده [1]. وهذه من أسباب الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

"(وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ)أي إنهم يمكرون ويدبرون في السرّ أمرا مكروها لإيقاعه بالنبي ρ من حيث لا يحتسب، ولكن اللّه عزت قدرته يحبط مكرهم ويبطل تآمرهم ويذهب كيدهم هباء، فقد أخرجه مهاجرا سليما من بينهم دون أي أذى، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، واللّه خير المدبرين وأعلمهم ولا خير في مكرهم" [2].

فجميع المعجزات التي هي خوارق العادة التي حدثت في عملية الهجرة كلها من تدبير اللّه سبحانه وتعالى لإنجاء الرسول ونصره من مكرهم وإيصاله إلى المدينة، وهو خير الماكرين.

❖ **نصر الله سبحانه نبيه محمدا ρ خلال عملية الهجرة.**

ما بعث اللّه سبحانه رسولا من رسله إلا وقد وعده بالنصر والتأييد، وكانت نصرته سبحانه لرسوله محمد ρ بأمور كثيرة منها المعجزات التي هي خوارق العادات، فقد وقعت له معجزات كثيرة، ومنها ما كان على طريق الهجرة ـ منذ خروجه من المنزل إلى أن وصل المدينة ـ ، وهو ما سنقف عليه في هذا المقام بإذن اللّه.

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ [3]. أي أن نصر اللّه لنبيه ρ ثلاثة أزمنة، فحرف (إذ) تكررت ثلاث مرات، فسبحانه يقول: (إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ، إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ، إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) أي: أننا أمام ثلاثة أزمنة: زمن الإخراج، وزمن الغار، والزمن الذي قال فيه رسول اللّه ρ لأبي بكر: (لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا)، وقد جاء النصر في هذه الأزمنة الثلاثة: ساعة الإخراج

---

(1) تفسير ابن كثير (2/ 807 808) .

(2) تفسير الشعراوي (9/ 306) .

(3)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

من مكة، وساعة دخول سيدنا رسول الله ρ مع أبي بكر إلى الغار، وساعة حديثه مع أبي بكر[1]. فمن هنا نتعرف على وجود العناية الإلهية في المواقف المعينة وغيرها من الموافق مرئية كانت أو معنوية، وسوف نتحدث عنها إن شاء الله ...! .

فمن المعجزات أو نصرته سبحانه لنبيه ρ خلال الهجرة إلى المدينة تتمثل في المواقف التالية:

1. نجاته ρ من المتربصين الذين حاصروا منزله.

وبعد أن قرر المجتمعون من قريش قتل النبي ρ أصبح الشبان المنتخبون من كل قبيلة يحاصرون منزل النبي في تلك الليلة ويريدون قتله، ومع ذلك تمكن الرسول من الخروج من بيته وهو يتلو الآية الكريمة: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]. وقد ورد في بعض كتب التاريخ، أنه ρ خرج عليهم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: أنا أقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس { يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين، على صراط مستقيم، تنزيل العزيز الرحيم } إلى قوله {فأغشيناهم فهم لا يبصرون} حتى فرغ رسول الله ρ من تلاوة هذه الآيات ولم يبق منهم رجل إلا قد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا...؟، قالوا: محمدا قال: خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش مسجيا ببرد رسول الله ρ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا[3].

---

(1) تفسير الشعراوي (8/ 5124- 5125) .

(2) [illegible] (الآية: 9)

(3) [illegible] (9/3) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وهذه من أبرز المعجزات الخارقة للعادة في عملية الهجرة، وهي نصرته سبحانه لنبيه محمد ρ في إخراجه من بيته وهم حاصروه على باب منزله، وجعل الله بينه وبينهم سدّا من حيث لا يبصرونه إذ خرج من بيته، وقد ألقى على كل واحد منهم ترابا على رأسه.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في قضية المتربصين بالرسول ρ : "فقد علق النوم بأعينهم جميعا حتى لم يحس به أحد منهم، وكان تتمة السخرية بتآمرهم على حياته ما امتلأت به رؤوسهم من التراب الذي ألقاه رسول الله ρ عليها إذ خرج من بينهم وهو يتلو قوله تعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون)"[1].

2. نصره سبحانه إذ هما في الغار:

ذلك أن قصاص الأثر الذي استعانت به قريش واسمه "كرز بن علقمة"[2] من خزاعة قد تتبع الأثر حتى جاء عند الغار، وقال: هذه قدم محمد وهو أشبه بالموجود في الكعبة، أي أشبه بأثر قدم إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم قال: هذه قدم أبي بكر أو قدم ابنه وما تجاوزا هذا المكان. وكان قصاص الأثر يتعرف على شكل القدم وأثره على الأرض ـ وأضاف: إنهما ما جاوزا هذا المكان، إلا أن يكونا قد صعدا إلى السماء أو دخلا في جوف الأرض ـ وبالرغم من هذا التأكيد فإنهم لم يدخلوا الغار، ولم يفكر أحدهم أن يقلب الحجر أو يفتش عن محمد وصاحبه، مع أن هذا أول ما كان يجب أن يتبادر إلى الذهن، فمادامت آثار الأقدام قد انتهت عند مدخل الغار كان يجب أن يفتشوا داخله. لكن أحد لم يلتفت إلى ذلك [3]. فنصرته سبحانه ساعة دخولهما الغار تظهر على الأمرين:

أ. نسج العنكبوت وعشّ الحمامة على باب الغار.

---

(1) فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ص: 139) دار الفكر، دمشق ـ سورية، الطبعة الحادية عشرة 1991م.

(2) كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة بن عبد نهم بن خليل بن حبشية بن سلول الخزاعي، أسلم يوم الفتح وعمر طويلا وعمى في آخر عمره وكان ممن جدد انصاب الحرم في زمن معاوية، وهو الذي قفا أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر حين دخلا الغار. (الإصابة في تمييز [illegible] 5/582).

(3) [illegible] (512).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بات المشركون يحرسون عليّا يحسبونه النبي ρ فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوه عليّا ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا..؟ قال: لا أدري، فاتبعوا أثر قدميه، فلما وصلوا الجبل (جبل الثور)، خلط عليهم بآثار أقدام أخرى، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل الغار لم يكن نسج العنكبوت على بابه.

وقد ورد عن ابن عباس : في قوله { وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك } قال: "تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبيρ وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فاطلع الله عز و جل نبيه على ذلك فبات علي على فراش النبي ρ تلك الليلة وخرج النبي ρ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي ρ فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا[1] رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا..؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال "[2].

والعنكبوت خلق من خلق الله سبحانه، وهي جند من جنود الله تفعل ما يشاء ربها يخذل بها الباطل وينصر بها الحق، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾[3] وفي هذه المرة جعل الله العنكبوت أن اتخذت بيتها على باب الغار أو نسجت خيوطها عليه، وأن تعشّش الحمامة به حتى يخيب الله ظنّ المشركين أنّ الرسول ρ وأبا بكر مكثا في هذا الغار، والله غالب على أمره ولكن أكثرهم لا يعلمون.

يقول الشيخ الشعراوي: "ويظهر الإعجاز الإلهي هنا في : أن الله سبحانه قد صد مجموعة كبيرة من المقاتلين الأقوياء بأوهى البيوت، وهو بيت العنكبوت، وقدرة الله تجلّت في أن

---

(1) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربى في حجر النبي صلى الله عليه و سلم ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك. (الإصابة في تمييز الصحابة: 564/4) .

(2) أخرجه أحمد في مسنده ، في مسند عبد الله بن العباس، حديث رقم: 3251 (348/1) مؤسسة قرطبة ـ القاهرة . يقول شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف . عثمان الجزري قال أحمد : روى أحاديث مناكير زعموا أنه ذهب كتابه وقال ابن أبي حاتم : سألت عنه أبي فقال ما أعلم روى عنه غير معمر والنعمان . وقال ابن كثير في تاريخه : وهذا إسناد حسن ! وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية [illegible] وسلم ـ (البداية والنهاية لابن كثير: 181/3 ، مكتبة المعارف ـ بيروت الطبعة الثالثة 1980م .

(3)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

يجعل خيط العنكبوت أقوى من الفولاذ[1] ، وكذلك شاء الحق أن يبيض الحمام وهو أودع الطيور، وهذا نصر " [2].

ب. تعمية أبصار المشركين عن إبصار الرسول ρ وأبى بكر في الغار.

وصل المطاردون إلى فمّ الغار في طلب الرسول ρ وأبي بكر - الصديق - ومع ذلك لم يبصروهما ، غير أنهما مكثا في الجزء الأسفل قريب من باب الغار، ولوا أنهم أنزلوا أبصارهم إلى قدميهم لرأوهما ، ولكن الله سبحانه جعل بينهم سترا حتى لا يبصروهما.وقد ورد عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: قلت للنبي ρ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظرتحت قدميه لأبصرنا فقال (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)[3]. وفي رواية أخرى رويت عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: كنت مع النبي ρ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ[4] بصره رآنا قال (اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما)[5].

إذن ففي عمي أبصار المطاردين عن رؤية رسول الله ρ وصاحبه في "غار ثور " وهم بباب الغار، من صورة العناية الإلهية لنبيه خلال عملية الهجرة التي وعدها الله لأنبيائه ولأوليائه وللمؤمنين الذين جاهدوا في سبيل الله سبحانه .

3. ما حدث لسراقة[6] وفرسه وهو يلحق برسول اللهρ .

ارتحل رسول الله ρ وأبو بكر - رضي الله عنه - ، وارتحل معهما عامر بن فهيرة[7]، وأخذ بهم الدليل - عبد الله بن أريقط[1] - على طريق الساحل، وكانت ليلة

---

(1) الفولاذ مفرده الفالوذ : دُكرة الحديد، تزاد في رأس الفأس وغيره. (القاموس المحيط: 429/1) .

(2) تفسير الشعراوي (5128/8).

(3) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب "مناقب المهاجرين وفضلهم" حديث رقم: 3453 (1337/3) ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب "من فضائل أبي بكر الصديق" حديث رقم: 6319 (108/7). واللفظ للبخاري .

(4) طأطأ: طامن وخفض، طأطأ رأسه : طامنه وخفضه (القاموس المحيط: 58/1) .

(5) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب "هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة" حديث رقم: 3707 (1427/3).

(6) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي . (الإصابة في تمييز الصحابة: 41/2

مولى أبي بكر الصديق أحد السابقين وكان ممن يعذب في الله (الإصابة في تمييز الصحابة: 594/3) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الإثنين ـ غرة ربيع الأول سنة 1هـ / 16 سبتمبر سنة 622م[2]، فإذا سراقة بن مالك مشى متقارب الخطى وتابعهم في الطريق. وقد وردت هذه القصة في الرواية: قال سراقة: "جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ρ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيينا. ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بوجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي، فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله ρ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ρ . فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: (أخف عنا) . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ρ "[3].

وفي رواية عن أبي بكر قال: فارتحلنا بعد ما مالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك فقلت: أتينا يا رسول الله فقال: (لا تحزن إن الله معنا[4]) . فدعا عليه رسول الله ρ

---

(1) عبد الله بن أريقط ويقال أريقد بالدال بدل الطاء المهملتين ويقال بقاف بصيغة التصغير الليثي ثم الديلي دليل النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة . (الإصابة في تمييز الصحابة: 5/4) .

(2) الرحيق المختوم (ص: 196ـ 1927) .

(3) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب "هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إلى المدينة" حديث رقم: 3693 (1420/3). [illegible] "نافق" حديث رقم: 6280 (184/14). واللفظ للبخاري.

(4)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فارتطمت به فرسه إلى بطنها ـ أرى في جلد من الأرض ـ شك زهير[1] ـ فقال: إني أراكما قد دعوتما علي فادعوا لي فالله لكما أن أرد عنكما الطلب فدعا له النبي ρ فنجا فجعل لا يلقى أحدا إلا قال كفيتكم ما هنا فلا يلقى أحدا إلا رده قال ووفى لنا [2].

ومما حدث لسراقة وفرسه كما ورد في الروايتين السابقتين نجد أن هذا أمر خارق للعادة عصم به الله سبحانه نبيه ممن أراد به سوءا ، وأراد به الله سبحانه وتعالى أن يخبرنا أنه لا يخلف الميعاد ، وجعل هذه القصة عبرة للمؤمنين جميعا أن من ينصر دينه ينصره الله سبحانه وأيده بجنود لم تروها .

4. معجزة في خيمة أم معبد الخزاعية [3].

مرّ رسول الله ρ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ مسيره ذلك حتى مرّ بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي[4] بفناء الخيمة ، ثم تسقي وتطعم. فسألوها لحما وتمرا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وكان القوم مرملين[5] مسنتين [6] ، فنظر رسول الله ρ إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال: (ما هذه الشاة يا أم معبد...؟) هي أجهد من ذلك ، قال: (أتأذنين لي أن أحلبها...؟) قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها [7].

فمسح رسول الله ρ بيده ضرعها ، وسمى الله ودعا ، فتفاجت[8] عليه ودرت ، فدعا بإناء بإناء لها يربض الرهط[1] ، فحلب فيه حتى علته الرغوة ، فسقاها ، فشربت حتى رويت ،

---

(1) "أرى في جلد من الأرض" شك زهير أي الراوي هل قال هذه اللفظة أم لا...؟! والجلد بفتحتين الأرض الصلبة، وفي رواية مسلم أن الشك من زهير في قول سراقة "قد علمت أنكما قد دعوتما علي". (فتح الباري لابن حجر العسقلاني الشافعي : 624/6 ، دار المعرفة بيروت 1379هـ) .

(2) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب "علامة النبوة في الإسلام" حديث رقم: 3419 (1323/3)، وباب "منا قب المهاجرين فضلهم" حديث رقم: 3452 (1336/3). ومسلم كتاب الزهد والرقائق باب "في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل" حديث رقم: 7706 (236/8). واللفظ للبخاري .

(3) هي عاتكة بنت خالد الخزاعية، وأم معبد هي كنيتها. (الإصابة في تمييز الصحابة: 11/8) .

(4) تجلس على ركبتيها منكبا وتلصق بطنها بفخذيها وتتأبط كفيها، وهي جلسة الأعراب . (لسان العرب : 71/7) .

(5) والمرمل الذي نفد زاده . (لسان العرب: 294/11) .

(6) أي أصابتهم السنة وهي القحط والجدب . (لسان العرب : 47/2) .

(7) [illegible] تأليف إبراهيم العلي (ص: 127ـ 128) دار الفائس ـ الأردن الطبعة الأولى: 995م ـ 1415هـ .

[illegible] حليبها ويقال تفاجت الناقة للحلب . (لسان العرب: 674/2) .

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب، وحلب فيه ثانيا، حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها فارتحلوا [2].

فهذه الرواية تشهد أن ما حدث في خيمة أم معبد من آخر المعجزة أو النصرة المرئية التي وصلنا إليها ذكرها خلال عملية الهجرة قبل وصوله ρ إلى المدينة . وهذه المعجزة أيضا سبب في إسلام أم معبد وزوجها .

ولعل هناك المعجزات الأخرى التي لم تدركها العقول وهي جند من جنود الله سبحانه، كما يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[3]. يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ تحت هذه الآية: "العنكبوت والحمام مرئيان، وأول الجنود غير المرئية هو أنه لم يخطر على بال القوم ولا فكرهم أن ينظروا في الغار، مع أن آثار الأقدام انتهت إليه. لكن الله طمس على قلوبهم وصرفهم عن هذه الفكرة بالذات، ولم تخطر على بالهم. ثم جاء حدث آخر حين استطاع سراقة بن مالك وهو من الكفار أن يلحق برسول الله ρ وأبي بكر، وهما في طريقهما إلى المدينة، وكلما حاول الاقتراب منهما ابتلعت الأرض قوائم فرسه في الرمال. إذن فالجنود الذين سخرهم الله لرسوله ρ ليحفظوه خلال الهجرة لا يعلمهم إلا الله. وكل شيء في هذا الكون من جنود الله، فهو سبحانه وتعالى الذي سخر الكافر لخدمة الإيمان، ألم يكن دليل رسول الله ρ في هجرته من مكة إلى المدينة هو عبد الله بن أريقط، وكان ما زال على الكفر، فكأن الله سبحانه وتعالى يسخر له الكافر ليكون دليله في رحلته من مكة إلى المدينة. وهكذا عمل الكافر في خدمة الإيمان، وفي الوقت نفسه فكل ما رصدته قريش من جُعل لمن يدلّها على مكان رسول الله ρ لم يُغر الدليل الكافر بالخيانة، بل أدخل الله على قلب الكافر ما يجعله أمينا على رسول الله ρ "[4].

---

(1) من كلمة "ربض" ـ ربضت الدابة والشاة والخروف تربض ربضا وربوضا وربضة حسنة وهو كالبروك للإبل، وأمّا معنى "دعا بإناء يربض الرهط" في هذا المتن، هو كما يقول أبو عبيد: معناه أنه يرويهم حتى يثقلهم فيربضوا فينامو لكثرة اللبن الذي شربوه ويمتدوا على الأرض. (لسان العرب: 149/7).

(2) الرحيق المختوم (ص: 200) .

(3) [illegible] (الآية: 40) .

(4) [illegible] (5131 ـ 513)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

خلاصة الكلام

إن الهجرة أمر إلهي الذي أذِن الله سبحانه وتعالى فيه نبيه ρ بالخروج من المكة إلى المدينة، لأجل مصالح الدين واستمرار الدعوة، ومادامت الهجرة والخروج لله سبحانه، ولنصرة دينه، فقد وعده الله سبحانه في كتابه المجيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ (1).

ومن تفصيلات التي عرضناها سابقا تجلت لنا كيف وفى الله سبحانه وعده لمن خرج في سبيله ونصر دينه. وذلك بتأييده ρ بالمعجزات التي حدثت أثناء الهجرة منذ أن خرج من بيته إلى أن وصل مقصوده ـ المدينة ـ ، فكل تلك المعجزات والأمور التي هي خوارق العادة جند من جنود الله سبحانه مرئيةً وغيرَ مرئيةٍ أيد بها رسوله وأكرمه بها .

وشاء الله أن يرسل رسوله من سائر البشر ـ وليس من سائر الملائكة ـ لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل، وكل ما جاء به الرسول ρ من أقوال وأفعال وغيرها من التصرفات والتعليمات يستطيع المؤمنون وعامة الناس أن يقتدوا بها ويمارسوها في أيامهم. وهذه عملية الهجرة فيها تعليمات لدعاة الدين خاصة وللمسلمين عامة .

وبالجملة فإن جميع المعجزات، أثناء عملية الهجرة صور من صور النصر، وهي عين المدد التي لا تنزل إلا بعد الأخذ بالأسباب وتصميمها مع وجود التضحية مادية كانت أو معنوية، وكانت هجرة الرسول ρ إلى المدينة لا يعني أنه مغلوب ولا مطرود، بل هي بداية النصر والغلبة، لأن من سار على درب الله سبحانه لا يُغلب عليه ولا يُهزم، وأبرز دليل وجود ذاك النصر والغلبة، أنه ρ والمؤمنين الذين هاجروا إلى المدينة عادوا ثانية إلى مكة وفتحوها وملكوها بعد بضع سنين. *والله أعلم بالصواب*

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثاني:

في غزوة بدر .

❖ **نبذة يسيرة عن غزوة بدر .**

حينما سمع المسلمون بقدوم قافلة عظيمة من الشام تحمل أموال قريش وتجارتها ، يقودها أبو سفيان مع عدد من رجاله، فرأى فيها النبي ρ أنها فرصة مناسبة للحصار الاقتصادي لأهل مكّة وتعويضاً عن أموال المهاجرين التي استولى عليها المشركون، فحثّ النبي ρ أصحابه على الخروج ليصدوها ، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا. فلما وصلت الأخبار بخروجهم، أرسل أبو سفيان رجلا يقال له ضمضم بن عمرو[1] الغفاري ليستنجد بأهل مكة كي ينقذوا أموالهم من أيدي المسلمين.

فنهضت قريش برجالها وكانوا ألفا وثلثمائة مقاتل، وفي نفس الوقت تمكن أبو سفيان مع قافلته من الهرب، واتخذوا طريق الساحل، وأرسل إلى قريش قائلا: "إن اللّه قد نجّى عيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا". ولكن أبا جهل[2] أصرّ على المضي في قتال المسلمين بالذين معه. ووصل ذلك إلى رسول اللّه ρ فجمع رسول اللّه ρ أصحابه واستشارهم، واتفقوا لمواجهة جيش مكة .

فتقابل الجيشان في بدر، والتحم الفريقان، وكانت المعركة حاسمة قررت مصير الفريقين. وانتهت المعركة بانتصار الفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكثيرة .

❖ **حديث القرآن الكريم عن غزوة بدر .**

نزلت الآيات القرآنية خلال هذه المعركة وبعدها ، تبين أحوال المسلمين آنذاك، وتتحدث عن نعم اللّه سبحانه فيها ، ونصره المؤمنين وعن أسباب ظفرهم، وعن كيفية تقسيم الأنفال (الغنائم).

ومن الآيات القرآنية التي ذكرت ما يتعلق بهذه الغزوة: آل عمران (الآية: 123) ـ الأنفال (الآية: 5 ـ 17، 41 ـ 49، 67) .

---

(1) ضمضم بن عمرو الحفي أبو الأسود البصري مقبول من السابعة. (تقريب التهذيب: 280/1) .

(2) أبو جهل: عمرو بن هشام القرشي: أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها الأعلام للزركلي : 87/5) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

❖ **نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة بدر.**

بعد أن علم الرسول ρ أن أبا جهل يحرص على قتال المسلمين بالذين معه، استشار النبي أصحابه وأراد به أن يوقفهم على حقيقة الموقف وحتمية المواجهة، لكن مواقف الصحابة تباينت، فقد أظهر فريق منهم كراهيته للمواجهة، لعدم استعدادهم لها، ولأن عدد العدوّ يفوق عدد المسلمين بكثير، فقاموا يراجعون النبي ρ في ذلك، كما ذكرت في سورة الأنفال: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ ﴾[1].

فالوضع كان خطيرا، فضلا عن العدو، كان يفوقهم عددا وعدّة، فما أحوجهم في تلك اللحظات إلا العناية الإلهية..!، لأن المعركة كانت معركة دفاعية خالصة من العدوان. ولكن كيف واجه الرسول ρ والمسلمون مع قلة عددهم وعُدّتهم جيش قريش حتى ولوا مدبرين منهزمين وهم أكثر عددا وعُدّة ...؟!، وهذه الواقعة أشارت إلينا أن وراء ظفرهم وغلبتهم على العدوّ، أنه لا يفوتهم المدد الإلهي .

وسوف نتحدث عن هذا المدد الإلهي الذي أيد الله به نبيه والمؤمنين حتى تحقق لهم النصر خلال هذه الغزوة:

1. نزول المطر و غشيان النعاس.

وذلك أن المسلمين لما سقط عليهم الليل وهم في طريقهم إلى ماء بدر، نزلوا في واد ما، وفي تلك الليلة أنزل الله عليهم أمطارا فيها خير وبركة، كان لها أثر فعال يطهر بها نفوسهم، ويذهب عنهم رجز الشيطان، ويربط بها قلوبهم، ويثبت بها أقدامهم. وفي نفس الوقت أيّد الله سبحانه المؤمنين بالنعاس الذي غشاهم تلك الليلة، فكان سببا في إزالة الخوف وبثّ السكينة في القلوب، يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ ﴾[2]. أي "يلقي عليكم النعاس، (أمنة) أي أمانًا من الله

---

(1) ... (6 ...

(1) ...

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

لكم من عدوكم أن يغلبكم، وكذلك النعاس في الحرب أمنة من الله عز وجل[1].وأما قوله عز وجل:(وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به)، فإن ذلك مطرٌ أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مُجْنِبين على غير ماء. فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر. فذلك ربطه على قلوبهم، وتقويته أسبابهم، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء،فلبَّدها المطر، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها، توطئةً من الله عز وجل لنبيه ـ عليه السلام ـ وأوليائه، أسبابَ التمكن من عدوهم والظفر بهم" [2].

وقد ورد في تفسير القرطبي: "كان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها ؛ فكان النوم عجيبا مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، ولكن الله ربط جأشهم. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : "ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ρ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح" [3] [4]. يقول الماوردي [5]: "وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان : أحدهما : أن قواهم بالاستراحة على القتال من الغد. الثاني : أن أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم ؛ كما يقال : الأمن منيم ، والخوف مسهر" [6].

وقيل: أن المطر يذهب عنكم الجنابة التي أصابت بعضكم، لأنها من تخييله، وليربط على قلوبكم، أي بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن، ويثبت به الأقدام، وهو شجاعة الظاهر، أي أن إنزال المطر حقق أربع فوائد: التطهير الحسي بالنظافة والشرعي بالغسل من الجنابة والوضوء، وإذهاب وسوسة الشيطان، والربط على

---

[1] تفسير الطبري (419/13) .

[2] المرجع السابق (421/13) .

[3] أخرجه ابن حبان باب "ما يكره المصلي وما لا يكره" حديث رقم: 2257 (32/6). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وابن خزيمة باب "الدليل على أن البكاء في الصلاة لا يقطع الصلاة مع إباحة البكاء في الصلاة" حديث رقم: 899 (52/2) المكتب الإسلامي ـ بيروت 1970م ، حققه د. محمد مصطفى الأعظمي . واللفظ لابن خزيمة.

[4] تفسير القرطبي (372/7) .

[5] علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي له المصنفات الكثيرة في كل فن من الفقه والتفسير والأصول والأدب . (طبقات المفسرين للأدنروي: 119/1. وللسيوطي : 71/1) .

[6] ر. بتفسير الماوردي لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (299/2)، دار الكتب العلمية بيروت ـ د المقصود بن عبد الرحيم .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

القلوب أي توطين النفس على الصبر ، وتثبيت الأقدام به على الرمال [1]. وقال الشيخ القرطبي : "الضمير في {بِهِ} عائد على الماء الذي شد دهس الوادي ، كما تقوم. وقيل : هو عائد على ربط القلوب ؛ فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب [2].

2. **الانشقاق في صفوف المشركين حين وصولهم بدر .**

ومن نعمة الله على المسلمين أيضا بأن أوقع الخلاف في صفوف المشركين، فقد حاول عتبة بن ربيعة[3] أن يثني أناسا عن الدخول في المعركة ، وأنكر عليهم قتال أنسابهم وأرحامهم، وحذّرهم من شجاعة المسلمين وبسالتهم في القتال. قال ابن إسحاق[4] عن أبيه عن أشياخ من الانصار قالوا : "لما اطمأن القوم بعثوا عمير ابن وهب[5] وهب[5] الجمحي فقالوا احزر لنا القوم أصحاب محمد. قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر: أللقوم كمين أو مدد. قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئا ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع،قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ! ؟ فروا رأيكم. فلما سمع حكيم بن حزام[6] ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال: وما ذلك يا حكيم ؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلت، أنت على بذلك، إنما هو حليفي فعلى

---

(1) تفسير المنير (9/266ـ 267) .

(2) تفسير القرطبي (7/377) .

(3) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول. (الأعلام للزركلي: 4/200) .

(4) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب. من أهل المدينة. له (السيرة النبوية- ط) هذبها ابن هشام . (الأعلام للزركلي: 6/28) .

(5) عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي يكنى أبا أمية. (الإصابة في تمييز الصحابة: 4/726) .

(6) حكيم بن أمية بن الأوقص بن قصي الأسدي بن أخي خديجة زوج النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ واسم أمه صفية وقيل هيرين الحارث بن أسد بن عبد العزي ويكنى أبا خالد. (الإصابة في تمييز الصحابة: 2/112) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

عقله وما أصيب من ماله. فأت ابن الحنظلية، يعنى أبا جهل، فإنى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره.

ثم يقول عتبة خطيبا فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعا فهو يهنئها - يهيئها - فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا. فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه رأى محمدا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه..."الخ [1].

فهذا النص الذي أخرجه ابن هشام[2] عن ابن اسحاق في كتابه يشهد أن الخلاف والنزاع كان قد وقعا في صفوف المشركين حينما تراءى الجمعان في يوم بدر، وسبحان من يقلّب القلوب الذي قلب قلوب بعض زعماء المشركين حتى مال بعض العقلاء منهم إلى الكف عن القتال. فهؤلاء الثلاثة المذكورين في النص (عتبة بن ربيعة، عمير بن وهب، حكيم بن حزام) قد مالوا إلى عدم القتال وحاولوا أن يثنوا عزم الناس عن القتال، بل كادت قريش تستجيب نصيحة عتبة بن ربيعة، لولا أن اشتعل نار الحقد والحسد اشتعلت في صدر أبي جهل وأصرّ على قتال المسلمين، واتهم هؤلاء الثلاثة بالجبَن والخوف من الحرب. وهذه الأحوال من صور النصر المعنوية التي لم يتوقعها أحد ولم تخطر له ببال .

3. تقليل المشركين في نظر المسلمين وتقليل المسلمين في نظر المشركين .

ومن التوفيقات الإلهية وعنايتها تقليل المشركين في نظر المسلمين، و ذلك يزيد الثقة والحماسة في نفوس المسلمين، ويجرئهم عليهم ويطمعهم فيهم بعد أن أخذوا جميع الأسباب، وتوكلوا على الله سبحانه. يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (3/169ـ 171) .

[2] أيوب السيوطي العماري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالانساب واللغة وأخبار العرب.ولد ونشأ في شهرستبه " السيرة النبوية- ط " المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن اسحاق.(الأعلام للزركلي:4/166) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾[1] . أي " أنه سبحانه سميع لما يقول المسلمون، عليم بما يضمرونه، لذلك أرى الله سبحانه نبيه في منامه عدوه قليلا كما في الآية "في منامك قليلا"، يقول: يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك، حتى قويت قلوبهم، واجترأوا على حرب عدوهم، ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيرًا، لفشل أصحابك، فجبنوا وخافوا، ولم يقدروا على حرب القوم، ولتنازعوا في ذلك، ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا، إنه عليم بما تُجنُّه الصدور، لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب. وعن ابن عباس قوله: "ولكن الله سلم"، يقول: سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم .

(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ....) أي إذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلا وهم - المشركون - كثير عددهم، ويقلل المؤمنين في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم. وقوله: "ليقضي الله أمرًا كان مفعولا" ، يقول جل ثناؤه: قلّلتكم أيها المؤمنون، في أعين المشركين، وأريتكموهم في أعينكم قليلا حتى يقضي الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضًا، وإظهاركم، أيها المؤمنون، على أعدائكم من المشركين والظفر بهم، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى " [2].

ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر، وقلله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة، فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعيفا كما قال تعالى: (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلا منها حق وصدق ولله الحمد والمنة [3].

---

[1] سورة الأنفال (الآية: 43- 44) .

[2] تفسير الطبري (12/ 569 - 573) .

[3] تفسير ابن كثير (8/ 810) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فهذه النصرة المعنوية من عند الله سبحانه في تقوية قلوب المؤمنين وهمتهم في مواجهة جيش مكة، فإنه سبحانه إذا أراد أمرا ما جعل له أسبابه ومفاتيحه.

4. إلقاء الرعب في قلوب الكفار ونزول ألف من الملائكة مردفين .

نزل المسلمون ساحة المعركة بقوة إيمانية بعد أن استنصروا ربهم، واستغاثوه، وأخلصوا له. وأما رسول الله ρ فكان منذ رجوعه بعد تعديل الصفوف يناشد ربه ما وعده من النصر[1]. وقد وردت في كتب الأحاديث مناجة الرسول ρ في هذه اللحظات: عن عمر بن الخطاب قال: "لما كان يوم بدر نظر رسول الله ρ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبى الله ρ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه « اللهم أنجز لى ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض ». فمازال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه[2].

فاستجاب الله دعاءه ρ وأوحى إليه: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[3].

أي بأني ممدكم أي مرسل إليكم مدداً وردءًا لكم بألف من الملائكة مردفين , يعني: يردف بعضهم بعضاً بمعنى يتبع بعضهم بعضاً. روي أنه نزل جبريل ـ عليه السلام ـ في خمسمائة وميكائيل ـ عليه السلام ـ في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها بين أكتافهم [4].

وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[5].

---

(1) الرحيق المختوم (ص: 256) .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب " إمداد الملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم" حديث رقم: 4687 (156/5). والترمذي باب "سورة الأنفال" حديث رقم: 3081 (269/5). قال أبو عيسى: " هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه من حديث عمر إلا من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل و أبوزميل اسمه سماك الحنفي" . وحسّنه الألباني . والنسائي في سننه الكبرى باب "الاستنصار عند اللقاء" حديث رقم: 10442 (155/6). وأحمد بن حنبل في مسنده، مسند "عمر بن خطاب ـ رضي الله عنه ـ" حديث رقم: 208 (30/1). واللفظ هنا لمسلم

(3) سورة الأنفال (الآية: 9) .

(4) تفسير الخازن (12/2) .

(1)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

هنا يبين الله سبحانه أنه أوحى إلى الملائكة بالإلهام: أني معكم بالنصر والتأييد (فثبتوا الذين آمنوا) أي قوّوا عزائم المؤمنين وثبتوا قلوبهم، أي اجعلوا قلوبهم كأنها مربوطة عليها فلا يخافون أية أغيار من عدوهم، ويزيد الإيضاح للمؤمنين: إياكم أن تظنوا أن كثرة العدد أو قوة العُدد هي التي تصنع النصر، بل النصر دائما من عند الله سبحانه وتعالى ـ (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)[1] ـ وذلك لأن النسبة بين المؤمنين والكافرين غير متوازنة وتحتاج إلى مدد عال من الله تعالى. إن السماء تتدخل إذا كان الأمر فوق أسبب الخلق، لذلك يقول سبحانه (أمن يجيب المضطر إذا دعاه)[2]. فألقى الله ـ عزّ وجلّ ـ الرعب والخوف في قلوب العدوّ فمهما كان عدده ومهما كانت عُددُه، فسيترك هذا العدوّ كل ما معه ويفر من حالة الرعب والفزع، وقد فعل بعض الكفار ذلك. وقد امتنّ الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بأن أمدّهم بالملائكة بشرى واطمئنانا، وهيأ لهم الماء، وطهرهم، وأذهب عنهم رجز الشيطان، وكل هذه مقدمات المعركة مستوفاة من جانب الحق تبارك وتعالى إمدادا لكم، وما عليكم أيها المؤمنون سوى أن تقبلوا على المعركة بعزيمة صادقة، عزيمة المقاتل الشجاع المحارب الذي له من العقل ما يفكر به ويدبر في التخطيط، وفي الكر والفر [3].

وفي رواية عن ابن إسحاق قال: قال رسول الله ρ : "أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع" [4].

وفي رواية عن ابن عباس قال: "بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع. فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ρ فقال: « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ». فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين [5].

---

[1] سورة البقرة (الآية: 249) .

[2] سورة النمل (الآية: 62) .

[3] تفسير الشعراوي (4600/8 ـ 4601) .

[4] بكر [illegible] "غزوة بدر الكبرى" (175/3) .

[5] حه، كتاب الجهاد والسير باب "إمداد الملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم" حديث رقم: 4687 (156/5).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فإلقاء الرعب في صدور المشركين و نزول الملائكة لتأييد المؤمنين واقعة في يوم بدر، بل الرواية الأخيرة تشهد بأن الملائكة بأمره سبحانه كانت مع المسلمين في قتال المشركين مباشرة وهما صورتان من صور النصر التي وعدها الله سبحانه لرسوله وللمؤمنين.

5. **المعجزة في رمي المشركين بالحصباء .**

إنه حينما التحم الفريقان واشتدت المعركة، أخذ الرسول ρ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشا وقال: "شاهت الوجوه"[1]، ورمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه من تلك القبضة[2]. وفي رواية عن ابن إسحاق قال: (ذلك أن جبريل ـ عليه السلام ـ قال: للنبي ρ : "خذ قبضة من التراب" فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة) [3].

ومعروف أن الفاعل أو الرامي هنا رسول الله ρ، ولكنه ما أرسل بالرمية الواحدة ـ حفنة التراب ـ إلى عيون كل الأعداء، لأن هذه المسألة لا يقدر عليها أحد مهما يكن، ولكنه أدّى نصيحة جبريل ـ عليه السلام ـ له، أما الإيصال إلى عيون العدو فهذا من فعل الله سبحانه القويّ القدير [4]. فهذه المعجزة صورة من صور النصر الذي أيد الله بها رسوله في مواجهة أعدائه ساعة يوم بدر .

وفي الأخير انتهت المعركة بهزيمة ساحقة بالنسبة للمشركين، وبنصر مبين بالنسبة للمسلمين، وقد استشهد من المسلمين في هذه المعركة أربعة عشر (14) رجلا، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار . أما المشركون فقد لحقهم خسائر فادحة، قتل منهم سبعون (70) وأسر سبعون (70)، وعامتهم القادة والزعماء والصناديد [5].

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (176/3) .

(2) الرحيق المختوم (ص: 257) .

(3) أخرجه القرطبي في تفسيره (385/7) .

(4) تفسير الطبري (9/ 4617، 4618) .

(5) .(265

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

خلاصة الكلام

إن من أجلّ الأمرور في هذه الغزوة، أنه سبحانه أراد أن يعلمنا جميعا بأن النصر من عنده سبحانه فقط، حيث يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]. أي أن أسباب النصر الأول لا يعتمد على قلة العدد وكثرته، أو قوة فئة وضعفها، ولكن السبب الأول رضا الله سبحانه ونصره. غير أن النصر أيضا لا يتم إلا باستتمام أسبابه كلها، ولكن ليست القوة وحدها هي مفتاح النصر، ولو كانت كذلك لكان النصر من نصيب المشركين الذين فاقوا المسلمين عددا وعدة، وبذلك نرى أن المسلمين عندما استكملوا أسباب النصر وأتمّوا شروطه تحقق لهم النصر في هذه المعركة.

وقد صبر المسلمون في هذه المعركة لما رأوا المشركين أكثر عددا وعدّة، وذكروا الله سبحانه قبل وأثناء المعركة، وأخذوا بكافة الأسباب الممكنة للمواجهة كالنزول إلى أهم المراكز العسكرية التي أشار إليها الحباب بن المنذر[2]، وتوكلوا على الله سبحانه. وهذه كلها من عوامل النصر. أضف إلى ذلك أن الرسول ρ قد دعا الله سبحانه هذا في مقدّمة الأسباب المحققة للنصر، ويظهر أثر ذلك في موقف النبي ρ في هذه المعركة وإلحاحه في الدعاء حتى سقط عنه رداؤه .

فهذه الأمور الخمسة المذكورة من صور المعونة والمدد الذي أيد الله سبحانه بها رسوله ρ وعباده المؤمنين، وهذه كلها لا تتأتى إلا بعد بذل الجهود والأخذ بأسباب النصر، وصدق الله القائل: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[3]. *والله أعلم بالصواب* .

---

[1] سورة الأنفال (الآية: 10) .

[2] الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن عنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي ثم السلمي قال بن سعد وغيره شهد بدرا [illegible] . (الإصابة في تمييز الصحابة: 10/2) .

[3] (126 :

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثالث:

في غزوة أحد .

❖ نبذة يسيرة عن غزوة أحد .

سبق بنا إيراد هذه النبذة اليسيرة عن غزوة أحد[1]، فأرى أن تكراره في هذا المكان شيء من التطويل.

❖ حديث القرآن عن غزوة أحد .

لقد تحدث القرآن الكريم عن غزوة أحد مطولا، منذ أول مرحلة من مراحل الإعداد للمعركة، ووصف الأحداث فيها، وأسباب النصر والهزيمة، ونتائج المعركة، والحكم وغيرها من الدروس والعبر. وقد أنزل الله آياته وحديث عن هذه الغزوة في سورة آل عمران، من قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾[2]. إلى قوله : ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾[3].

❖ نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة أحد .

قبيل الحديث عن نصر الله سبحانه في غزوة أحد، أودّ أن أقول: إن هذه الغزوة لم تنته بنصر المؤمنين وإن كان البعض لا يعتبرها هزيمة، صحيح أن المسلمين كادوا منتصرين في هذه الغزوة، لأنهم كانوا قادرين على ضرب جيش المشركين حتى ولوا مدبرين، ولكن في هذا الوقت عصى بعض الرماة وصية رسوله ρ وطمعوا حينما رأوا الغنائم، فحينئذ تغيّر النصر هزيمة. وقد تحدثنا عن هذه الأمور فيما سبق[4]، وفي هذه الفكرة

---

(1) انظر الفصل الأول من هذه الرسالة (ص: 58ـ 61) .

(2) سورة آل عمران (الآية: 121) .

(3) سورة آل عمران (الآية: 179) .

(4) من هذه الرسالة (ص: 61ـ 65) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أودّ أن أتحدث عن صور نصر اللّه سبحانه وعنايته التي أنزلت في فترة الانتصار من هذه الغزوة، إن شاء اللّه تعالى .

أما بعد تلك الفترة وهي فترة المصيبة أو الهزيمة ـ إن صح التعبير ـ من هذه الغزوة: من نزول **أمنة نعاسا** التي كانت تغشى وتعشى الطائفة (المؤمنون المخلصون) كما سجله القرآن الكريم[1]، وعدم سير جيش مكة بعد المعركة إلى المدينة ـ حيث إنها كانت خالية من الجيوش، إلا الضعفاء والنساء، والصبيان ـ . وهذان أمران من نعم اللّه سبحانه ليخفف بهما عن المسلمين البلاء، والمصيبة، والهزيمة التي قد أصيبوا بها طوال يوم المعركة. وعدم ذكرها في هذا البحث لأنها ليست منه كما أرى، واللّه أعلم .

ومن صور النصر التي أنزلها اللّه سبحانه في هذه الغزوة تمثلت نحو الأمور التالية:

1. رسالة عاجلة التي بعثها العبّاس إلى المدينة .

أنه لما قام أبو سفيان في قومه يؤلب على رسول اللّه ρ ويجمع القوّات، حتى بلغ لديه قرابة ثلاثة ألف رجل ومائتي فارس، من قريش وما حولها من القبائل العربية، ثم أمر أبو سفيان الجيش بأخذ النساء والعبيد، حتى يستميت الناس في الدفاع عن أعراضهم .

وكان العباس بن عبد المطلب[2] ـ وكان يومئذ مشركا ـ يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة عاجلة إلى النبي ρ ضمنها جميع تفاصيل الجيش. وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة، وجدّ في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة ـ التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلو مترا ـ في ثلاثة أيام، وسلم الرسالة إلى النبي ρ وهو في مسجد قباء. قرأ الرسالة على النبي ρ أبي بن كعب، فأمره بالكتمان، وعاد مسرعا إلى المدينة، وتبادل الرسول الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار[3].

---

(1) " ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون باللّه غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله للّه يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي اللّه ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم واللّه عليم بذات الصدور " (آل عمران، الآية: 154) .

(2) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي عم رسول اللّه ـ صلى الله عليه و سلم ـ.(الإصابة في تمييز الصحابة : 631/3)

. (296

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

إذا تأملنا ما فعله العباس ـ وهو يومئذ مشرك ـ بإرسال الرسالة إلى النبي ρ يخبر فيها تفاصيل قوات جيش مكة وقدرتهم الحربية، وجدنا أنها صورة من صور النصر التي أمدّ الله بها نبيه ρ، لأنه سبحانه هو الذي كان يحرك قلب العباس ورسوله (الرجل الذي جاء بالرسالة إلى المدينة) حتى يقوم بخدمة المؤمنين. وهكذا فإنه سبحانه إذا أراد أمر جعل منه سببا، وفي هذه اللحظات سخر الله الكافرَين ليكونا المبحثان في خدمة الإيمان لينصر رسوله والمؤمنين.

2. حماسة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ للجهاد في هذه الغزوة .

وقد ورد في كتب السيرة أنه ρ كان يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر: يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا، فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة، لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله ρ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ρ بيته فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو[1] أحد بني النجار، فصلى عليه رسول الله ρ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ρ ولم يكن لنا ذلك، فلما خرج عليهم الرسول قالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال رسول الله ρ: (لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله)[2] فخرج ρ في ألف من أصحابه[3].

---

(1) مالك بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول الأنصاري النجاري ذكر ابن إسحاق أنه مات في اليوم الذي خرج فيه رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ إلى أحد فصلى عليه رسول الله، وذلك يوم الجمعة. (الإصابة في تمييز الصحابة: 736/5) .

(2) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب "قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) " حديث رقم: 6934 (2681/6). و الحاكم كتاب "قسم الفيء" حديث رقم:2588 (141/2). البيهقي في الكبرى باب "لم يكن له إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يلقى العدو ولو بنفسه" حديث رقم: 13061 (41/7) .

(3) غزوة أحد (9/4) . السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، تأليف علي بن برهان الدين الحلبي (491/2) ام باب 140 .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فهذه الرواية تنصّ على أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لما سمعوا بخروج المشركين عليهم مالت نفوسهم وتحمست إلى الجهاد في سبيل الله، وطمعوا في نيل الشهادة، فضلا عن الصحابة الذين حرموا من حضور يوم بدر. فهذا الإلحاح وحماسة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تفضي إلى حماسة الرسول ρ ورضاه للقاء المشركين خارج المدينة، وكان قد أراد البقاء والتحصن بداخلها.

وهذه الحماسة والطمع في طلب الشهادة أو الموت في سبيل الله ليس أمرا عاديا، وكم من أناس جبنوا وكرهوا الموت..!! . ولكن هكذا ألقى الله في قلوبهم الشجاعة والحماسة للجهاد في سبيله ونصر رسوله، فهذه الأمور كلها من أسباب النصر التي أمد الله سبحانه بها نبيه والمؤمنين .

3. تمييز المسلمين عن المنافقين .

روي ابن إسحاق أن المسلمين لما نزلوا بـ "الشوط" ـ أحد البستان بين المدينة وأحد ـ انخذل عنه عبدالله بن أبي ابن سلول بثلث الناس ـ ثلثمائة مقاتل ـ وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام[1] أخو بني سلمة، يقول: يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال، قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه [2].

ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ρرأيه، وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوي إلى هذا المكان معنى. بل لو كان هذا هو السبب لانعزل عن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيس من هذا المرد ـ في ذلك الظرف الدقيق ـ أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم، حتى يناجز عامة الجيش عن النبي ρ، وتنهار معنويات من بقي معه [3].

---

[1] عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي والد جابر بن عبد الله الصحابي المشهور معدود في أهل العقبة وبدر، وكان من النقباء واستشهد بأحد ثبت ذكره في الصحيحين من حديث ولده . (الإصابة في تمييز الصحابة: 189/4) .

[2] [illegible]، باب "غزوة أحد" (10/4) .

[3] . (299

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فهذه الرواية تثبت وجود الانعزال والخيانة من قبل المنافقين وعلى رأسهم ابن سلول، وفي الظاهر أن تلك الخيانة تكون خسارة للمسلمين وليس في صالحهم، ولكنها الحقيقة كانت خيرا لهم حيث أعلم الله سبحانه نبيه ρ والمؤمنين بهؤلاء الخونة والمنافقين، وكشف غطاء نفاقهم أمام الجميع، وقد كانوا يظهرون الإيمان والإسلام، ويبطنون الكفر. ولا شك أن هذه من أعظم صور النصر التي قدمها الله لرسوله وللمؤمنين في هذه الغزوة، وأنذرهم بأن هؤلاء هم الأعداء، وهم أشد خطرا من المشركين في العداوة.

وقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ .....﴾[1]. يقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ عند تفسير آية(وليعلم الذين نافقوا) : " أي يجعلهم يظهرون وينكشفون أمام الناس، وإلا لو لم تحدث هذه الأحداث فكيف كنت تعرف المنافق..؟ سيستر نفسه. لا بد إذن أن تأتي أحداث لتظهره وتفضحه، فالمنافق يراوغ، لذلك يأتيه الحق بأحداث ليظهر على حقيقته " [2].

4. نزول الملائكة في هذه الغزوة .

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[3]. اختلف المفسرون في أن الوعد حصل يوم بدر أم يوم أحد...؟. ولكنا في هذه القضية قد ملنا إلى فريق الذي أثبت أن ذاك الوعد يوم أحد، وهو مروي عن ابن عباس، والكلبي، والواقدي [4]، ومقاتل، ومحمد بن إسحاق. مع الحجة التالية:

---

[1] سورة آل عمران (الآية: 166 ـ 167) .

[2] تفسير الشعراوي (1866/3) .

[3] سورة آل عمران (124 ـ 125) .

[4] أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي الأسلمي المدني العلامة العالم الفاضل صنف التفسير اشتهر اسمه بتفسير الواقدي، كذا ذكره ومائتين. (طبقات المفسرين للأدنروي: 29/1) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الأولى: أن يوم بدر إنما أُمدَّ رسول الله ρ بألف من الملائكة، قال تعالى في سورة الأنفال: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة) [1].
فكيف يليق ما ذكر فيه ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيوم بدر....؟ .

الثانية: أن الكفار كانوا يوم بدر ألفا أو ما يقرب منه والمسلمون كانوا على الثلث منهم لأنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر، فأنزل الله تعالى يوم بدر ألفا من الملائكة، فصار عدد الكفار مقابلا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين، فلا جرم وقعت الهزيمة على الكفار فكذلك يوم أحد، كان عدد المسلمين ألفا، وعدد الكفار ثلاثة آلاف، فكان عدد المسلمين على الثلث من عدد الكفار في هذا اليوم، كما في بدر، فوعدهم الله في هذا اليوم أن ينزل ثلاثة آلاف من الملائكة ليصير عدد الكفار مقابلا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين، فيصير ذلك دليلا على أن المسلمين يهزمونهم في هذا اليوم كما هزموهم يوم بدر ثم جعل الثلاثة آلاف خمسة آلاف لتزداد قوة قلوب المسلمين في هذا اليوم ويزول الخوف عن قلوبهم، ومعلوم أن هذا المعنى إنما يحصل إذا قلنا إن هذا الوعد إنما حصل يوم أحد .

الثالثة: أنه تعالى في هذه الآية (وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ)، والمراد يأتوكم أعداؤكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من يأتيهم الأعداء، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم، بل هم ذهبوا إلى الأعداء .
وإن إنزاله خمسة آلاف من الملائة كان مشروطا بشرط أن يصبروا ويتقوا في المغانم ثم إنهم لم يصبروا ولم يتقوا في المغانم بل خالفوا أمر الرسول ρ، فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط، وأما إنزال ثلاثة آلاف من الملائكة فإنما وعد الرسول بذلك المؤمنين الذين بوأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد، فهذا يدل على أنه ρ إنما وعدهم بهذا الوعد بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد، فلما أهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط[2].

---

(1) [illegible] .

(184) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

روى الواقدي عن مجاهد أنه قال : "حضرت الملائكة يوم أُحد ولكنهم لم يقاتلوا ، وروي أن رسول الله ρ أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب، فقال رسول الله ρ : تقدم يا مصعب فقال الملك: لست بمصعب فعرف الرسول ρ أنه ملك أُمدّ به" [1].

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : "كنت أرمي السهم يومئذ فيرده على رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه، فظننت أنه ملك" [2].

عن سعد بن أبي وقاص قال : "رأيت يوم أحد عن يمين النبي ρ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك و لا بعده. (يعني جبريل و مكائيل عليهما السلام)"[3].

فهذه الروايات كلها تشهد على أن الملائكة نزلت في غزوة أحد لينصروا الرسول ρ والمؤمنين، فانتصروا في أول النهار حتى عصى بعض الرماة وصية رسول الله ρ فرُفع عنهم النصر والمدد فأعقبهم بالبلاء والهزيمة في آخر المعركة، حتى انكسرت رباعية رسول الله ρ واستشهد من المسلمين سبعون صحابيا ، نفس العدد الذي قتل من المشركين يوم بدر، كما ورد في كتب السيرة والسنة النبوية. فنصر الله سبحانه بإنزال الملائكة ثابت، إلا أنه سبحانه جعل مجيء خمسة آلاف من الملائكة مشروطا بثلاثة أشياء، كما ورد في الآية السابقة: الصبر، والتقوى، ومجيء الكفار على الفور، فلما فقدوا شرطا منها فقدوا المشروط كله .

خلاصة الكلام

---

(1) المغازي للواقدي . (234/1) عالم الكتب بيروت ـ لبنان، حققه مارسدن جونس. دون سنة الطبع . الرازي في تفسيره "التفسير الكبير" (184/8) . وقد راجعت الكتب التسعة ولم أجد هذا الحديث.

(2) المرجع السابق، نفس الجزء ونفس الصفحة .

(3) كتاب المغازي باب [illegible] إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون" حديث رقم: 3828 ب الفضائل، باب [illegible] قتال جبريل" حديث رقم: 6145 (72/7). واللفظ هنا للبخاري .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

إن هذه الغزوة كانت تنقسم إلى فترتين؛ فترة الانتصار، وفترة الانهزام. أراد الله سبحانه أن يثبت بهما أمام المسلمين أن النصر من عند الله وحده، وقد جعل الله إلى ذلك سبيلا وسببا. فمن قاتل في سبيل الله وأخذ أسباب النصر بأكملها فالانتصار في انتظاره، ومن قاتل في سبيله ولم يوف أو أخل منه سبب من أسباب النصر، فالمصيبة والهزيمة في انتظاره، فسبحانه الذي لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فهذه الموازنات لا بدّ من التفكير فيها، وزرعها في نفوس هذه الأمة، والمجاهدين في سبيل الله خاصة. فالنصر والتمكين بيد الله سبحانه، ولا ينزلهما الله سبحانه إلا لمن أخذ بأسبابهما كاملة دون نقص .

إن مظاهر نصر الله سبحانه في هذه الغزوة كثيرة لمن أراد أن يتعمق فيها ويتدبّر الآيات والأحاديث التي تحدثت عن أحوال هذه الغزوة. فتلك الصور الأربعة المذكورة هي من الأمثلة التي وصلنا إليها من ظاهر الآيات والروايات الواردة .

والحق أن هذه الغزوة كانت مليئة بالدروس والعبر للصحابة حينذاك، لأن تلك المصيبة كانت بإذن الله سبحانه، كما ورد في قوله: (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ....)[1] فأصبحوا يذكرون دائما في حياتهم ويعتبرون منها، فلا يدخلون بعد تلك المصيبة معركة من المعارك إلا والمسلمون منتصرون فيها، مظَفَّرون غانمون !!!. بل المسلمون اليوم أجدر بأن يأخذوا منها حق الاعتبار لما فيها من أسباب المصيبة ونزول البلاء عليهم، لأن المصائب والنوازل التي أمامنا اليوم من سقوط الخلافة الإسلامية، وعدم اتحاد العالم الإسلامي، حتى سُلّط علينا اليهود والأعداء فأصبحت الشرك والظلم والمعاصي تدبّ في كل مكان. كلها حدثت ونزلت بنا لأسباب كثيرة التي لا يصلح إيرادها في هذا المكان.

لنتصور ما وقع في يوم أُحد، معصية بعض الرماة؛ من معصية أوامر الرسول بالبقاء فوق الجبل، وعدم صبرهم حينما رأوا المغانم. رفع عنهم المدد، ونزل عليهم البلاء. ....!. وكيف بنسبة الخطيئة والمعاصي الكثيرة التي يفعلها أبناء هذه الأمة اليوم....؟! أمازلنا نعترف وندّعي أننا مستحقين للنصر الذي وعده الله في كتابه، ونتمنّى استرجاع القدس المحتلّ من أيدي اليهود....!. والله لم نعود مستحقين لذاك النصر حتى نتوب من تلك الخطايا الكثيرة.

(1) : (166 .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ومن باب الاتعاظ من هذه الغزوة أن نتصف بصفة الزهد في الدنيا، وترك الطمع فيها. لأن المصيبة في هذه الغزوة جاءت من غياب عنصر واحد أو غياب صفة واحدة من صفات الجيش المنصور، وهي صفة الزهد في الدنيا، فلما حدث حب الدنيا والطمع فيها ألقى الله في قلوبهم الوهن والضعف. *والله أعلم بالصواب*

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الرابع:

في غزوة الخندق أو الأحزاب .

❖ **نبذة يسيرة عن غزوة الخندق أو الأحزاب .**

هدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعثات التي استغرقت أكثر من سنة كاملة، إلا أن اليهود - الذين كانوا قد ذاقوا ألوانا من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم - لم يفيقوا من غيّهم، ولم يستكينوا بما أصابهم من نتيجة الغدر والتآمر، فهم بعد نفيهم إلى خيبر ظلّوا ينتظرون ويتربصون الفرصة المناسبة. وشرعوا في التآمر من جديد على المسلمين، وأخذوا يعدون العدة، لتهيئة ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها.

ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم جرأة على قتال المسلمين مباشرة، خططوا لهذا الغرض خطة رهيبة. وأرسلوا وفدهم - منهم زعماء بني النضير - إلى قريش، وغطفان لتحريضهم على غزو الرسول ρ والمسلمين بالمدينة، وعقدوا هدنة مع بني قريظة - مجتمع اليهود الذين سكنوا في الجنوب الأسفل من المدينة - .

ولما سمع الرسول ρ بخروج الأحزاب إلى المدينة، وعزمها على حرب المسلمين، استشار أصحابه، وقرروا بعد الشورى التحصن في المدينة والدفاع عنها، وأشار سلمان الفارسي[1] - رضي الله عنه - اعتمادا على خبرته في حرب الفرس، بحفر خندق حول المدينة، وقال: " يا رسول الله! إنا كنا بأرض فارس، إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا"[2] أي فإن ذلك كان من مكايد الفرس وأول من فعله من ملوك الفرس ملك كان في زمن موسى ابن عمران - صلوات الله وسلامه عليه - [3]. وفي رواية: "يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا "[4]. فوافقه وأقرّه النبي ρ وأمر بحفر الخندق ما بين حرّتين أو جبلين - والمدينة كانت يحيطها حرّتان - لأنها الجهة المكشوفة لدخول الأعداء

---

(1) سلمان الفارسي أبو عبد الله ويقال له سلمان الخير أصله من أصبهان وقيل من رامهرمز أول مشاهده الخندق مات سنة أربع وثلاثين (تقريب التهذيب: 246/1) .

(2) السيرة الحلبية باب "غزوة الخندق" (631/2) .

(3) " " (631/2) .

به "تاريخ الأمم والملوك" (91/2) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ .

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

عليهم، فتمّت عملية الحفر في بضعة أيام. وحينما اشتدّ الكرب على المسلمين، دعا رسول الله ρ على الأحزاب فاستجاب الله ـ عزّ وجلّ ـ دعاءه، وأرسل الله عواصف شديدة دمرت خيامهم، وقلّبت قدورهم، وأطفأت نيرانهم. فرجعت قريش والأحزاب خائبين منهزمين، وانفك الحصار. فكفى الله المؤمنين القتال وانتصر المؤمنون[1].

❖ **حديث القرآن عن غزوة الخندق أو الأحزاب .**

لقد تكلم القرآن الكريم عن هذه الغزوة مطولا، بل سمى الله سبحانه وتعالى سوة من سور القرآن الكريم باسم هذه الغزوة، وهي سورة الأحزاب، حيث وصف الله سبحانه فيها أحوال هذه الغزوة، وموقف المنافقين واليهود منها وخيانتهم المسلمين، ونعم الله سبحانه التي أنزلها في هذه الغزوة من النصر الذي وعده الله لرسوله والمؤمنين كإرسال العواصف الشديدة.

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ

---

[1] خلق (ص:358 ـ 370).

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[1].

❖ **نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة الخندق .**

إن هذه الغزوة حدثت في الشتاء، بعد غزوة أحد - التي لقي فيها المسلمون المصيبة والهزيمة كما قلنا سابقا - بسنتين. وفي هذه المرة أراد العرب بجميع قبائلهم وأحزابهم أن يحملوا على المسلمين حملة لا حياة بعدها.

لكنه سبحانه الذي أرسل رسوله ρ قد وعده و المؤمنين بالنصر في الدنيا والآخرة، وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه سينصر عباده المؤمنين في الدنيا يقرّ أعينهم ممن آذاهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[2]. وقد وفى الله وعده - إنه لا يخلف الميعاد - وأيد المؤمنين بالنصر في هذه الغزوة، منذ أن أعدّ المسلمون أنفسهم للقتال إلى أن كفي الله المؤمنين القتال ورجع الأحزاب خائبين خاسرين .

وقد تجلت نصرته سبحانه في هذه الغزوة لحماية رسوله ρ والمؤمنين في المواقف التالية:

1. **التوفيق إلى فكرة حفر الخندق حول المناطق المكشوفة .**

حينما سمع الرسول ρ الأخبار بخروج الأحزاب إلى المدينة، عقد اجتماعا عاجلا مع كبار الصحابة - رضي الله عنهم - من المهاجرين والأنصار، فإذا سلمان الفارسي -

---

(1) - الأ... - 9 - 25).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

رضي الله عنه ـ يقترح عليهم حفر خندق كبير ـ يحول بين المسلمين وبين الأعداء ـ كما كان يفعل أسلافه في أرض فارس. فأعجب الصحابة والرسول ρ برأيه، وأمر الرسول بحفر الخندق في شمال المدينة ـ ما بين جبلين ـ لأنها الجهة المكشوفة التي يسهل للأحزاب أن يهجموا من هناك .

وردت في المغازي: كان رسول الله يكثر مشاورتهم في الحرب فقال: "أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها ونخندقها علينا..؟، أم نكون قريبا ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل ؟" فاختلفوا، فقالت طائفة: نكون مما يلي بعاث إلى ثنية الوداع إلى الجرف. فقال قائل: ندع المدينة خلوفا فقال سلمان: يا رسول الله إنا إذ كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق ؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين وذكروا حين دعاهم النبي ρ يوم أحد أن يقيموا ولا يخرجوا، فكره المسلمون الخروج وأحبوا الثبات في المدينة [1].

وقد أرسل الله سبحانه نصرته الأولى في بداية عملية الإعداد في هذه الغزوة، بأن يلهم سلمان فِكرة فيشير بها على رسول الله ρ بحفر الخندق مكيدة للأعداء حتى يحول بينهم وبين المسلمين. ولا شكّ أن ظهور هذه الفِكرة صوة من صور النصر من عند الله سبحانه، لأنها كانت عاملا من عوامل النصر .

2. تكثير طُعيم جابر [2] . رضي الله عنه . .

بدأ المسلون العمل ـ حفر الخندق ـ بهمّة وعزيمة، وزادت حماستهم بمشاركة رسول الله ρ في الحفر ونقل التراب، رغم أنهم كانوا في شدة البرودة من الجو مع قلّة الطعام، حتى أن الرسول ρ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ربطوا الأحجار على بطنهم من شدّة الجوع. ولما رأى جابر بن عبد الله ما حلّ برسول الله ρ، ذهب إلى بيته وأخبر زوجته بما رأي، فأمرها بطحن ما عندها من الشعير، وذبح جابر عناقا، فلما فرغا من العمل، عاد جابر إلى مكان حفر الخندق ليدعو الرسول ρ، فقال له: يا رسول الله ذبحنا عناقا لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك..! فلما سمع الرسول بما أخبر جابر، نادى ρ جميع الصحابة إلى بيت جابر، فتحيّر جابر بذلك لقلة الطعام المعد،

---

(1) المغازي للواقدي (445/2) .

(2) رو بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أقو ل أحد ن الله عليه و سلم الإصابة في تمييز الصحابة: 434/1).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

والصحابة أكثر من ألف شخص، ومع ذلك دعا رسول الله ρ ببركة الطعام، فأصبحوا يأكلون منها حتى شبعوا وغادروا بيت جابر، والطعام مازال باقيا في القِدر تركه لأهل جابر.

روي البخاري عن عبد الواحد بن أيمن[1] عن أبيه قال: أتيت جابرا ـ رضي الله عنه ـ فقال: " إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤوا النبي ρ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: (أنا نازل) . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي ρ المعول فضرب الكدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت؟، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ρ شيئا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء.. ؟ قالت : عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ρ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج، فقلت: طعَمٌ لي فقم أنت يا رسول ورجل أو رجلان، قال: (كم هو؟) . فذكرت له، قال: (كثير طيب، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال قوموا). فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ρ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك ؟ قلت: نعم، فقال: (ادخلوا ولا تضاغطوا). فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية قال: (كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة)"[2].

وفي رواية عن سعيد بن ميناء[3] قال: سمعت جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: "لما حفر الخندق رأيت بالنبي ρ خمصا شديدا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ρ خمصا شديدا، فأخرجت إلى جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن، فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها، ثم

---

(1) عبد الواحد بن أيمن والد القاسم مولى ابن أبي عمرو القرشي المخزومي المكي سمع ابن أبي ملكية وأباه أيمن روى عنه أبو نعيم وخلاد في الصلاة والنكاح وصفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، المشهور برجال صحيح البخاري. للشيخ أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن أبو نصر البخاري الكلاباذي المتوفى 398 هـ باب "ومنهم من اسمه عبد الواحد" : 484/2. دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى 1407هـ حققه عبد الله الليثي) .

(2) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب "غزوة الخندق وهي الأحزاب" : حديث رقم: 3875 (1505/4). والدارمي باب "ما أكرم به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بركة طعامه" حديث رقم: 42 (33/1) . واللفظ هنا للبخاري .

(3) مولى التمار المكي سمع جابر بن عبد الله وأبا هريرة روى عنه سليم بن حيان وحنظلة بن أبي سفيان في الجنائز (رجال صحيح البخاري باب "منهم من اسمه سعيد" : 292/1) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وليت إلى رسول الله ρ فقالت: لا تفضحني برسول الله ρ وبمن معه فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك..!، فصاح النبي ρ فقال: (يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا فحي هلا بكم) . فقال رسول الله ρ : (لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء). فجئت وجاء رسول الله ρ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: (ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها). وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، إن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو"[1].

هاتان روايتان تثبتان أن معجزة تكثير الطعام وقعت يومئذ في بيت جابر ـ رضي الله عنه ـ وأنها من رحمته ونصرته سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين في هذه الغزوة، حتى يتقوّى بها المؤمنون في إنجاز حفر الخندق، أخذا بأسباب النصر .

3. تسخير اللهُ سبحانه نعيم بن مسعود[2] ليخذل الأحزاب.

لما طال الحصار على المسلمين، واشتد البلاء عليهم، دعا الرسول ρ على الأحزاب، فقال: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"[3]. فاستجاب الله دعاء نبيه، وساق له الفرج من حيث لا يحتسب، فأقبل نعيم بن مسعود الغطفاني معلنا إسلامه واستعداده لخدمة المسلمين، وقال له الرسول ρ : "إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنّا إن استطعت فإن الحرب خدعة". فذهب نعيم بن مسعود إلى الأحزاب لخذلهم.

وقد ورد في الرواية عن ابن إسحاق: أن نعيم بن مسعود أتى إلى رسول الله ρ فقال: يا رسول الله إني قد اسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت..! فقال رسول الله ρ : (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة) فخرج نعيم

---

(1) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب "غزوة الخندق وهي الأحزاب" : حديث رقم: 3876 (1505/4) . ومسلم كتاب الأشربة، باب "جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك" حديث رقم: 5436 (117/6). واللفظ للبخاري .

(2) نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع يكنى أبا سلمة الأشجعي صحابي مشهور له ذكر في البخاري أسلم ليالي الخندق وهو الذي أوقع الخلف بين الحيين قريظة وغطفان في وقعة الخندق فخالف بعضهم بعضا ورحلوا عن المدينة. (الإصابة في تمييز الصحابة: 461/6) .

(3) المغازي باب "غزوة الخندق وهي الأحزاب" حديث رقم : 3889 (1509/4). ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب "ر عند لقاء العدو" حديث رقم: 4641 (143/5). واللفظ للبخاري

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديما في الجاهلية فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم..!، قالوا: صدقت لست عندنا بمُتّهم. فقال لهم: إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، والبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأمواله ونسائهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونوا بأيدكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه. فقالوا: لقد أشرت بالرأي ..!

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم، فاكتموا عني..!. فقالوا: نفعل! قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم..؟!، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهمونني..! قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، فما أمرك ..؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ρ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا، ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نفعل فيه شيئا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا [illegible]ركونا..! والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذين حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة، إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا...! فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذين ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان؛ إنا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا..!. فأبوا عليهم وخذل الله بينهم [1].

فهذه الرواية الطويلة تشهد على قدرة الله سبحانه وتعالى الذي سخّر لنبيه وللمؤمنين نعيم بن مسعود، ألقى الله في قلبه الهداية والإيمان، وأعلن إسلامه أمام الرسول ρ ساعة فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر الأحزاب عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم. وقام بخذل الأحزاب وتفريق كلمتهم، فأصبحوا ضعفاء يتّهم بعضهم بعضا.

فلا شك أن إسلام نعيم بن مسعود وقيامه بمهمّة الانخذال ساعة الخوف والشدة، من الأمور التي لم يتوقع الجميع، وهو جواب على ما استنجده ρ بفرج من تلك الحالة المخيفة، بل هو نصر الله سبحانه وتعالى عينه، المنزّل بصورة المهمة التي قام بها نعيم بن مسعود لتفريق الأحزاب وطردهم من المدينة.

4. العاصفة أو الريح التي كانت نقمة على المشركين .

وبعد أن أرسل الله نعيم بن مسعود في خدمة المؤمنين وتفريق كلمة الأحزاب، أتمّ الله سبحانه نصرته للمؤمنين في هذه الغزوة عندما هبّت عواصف شديدة، اقتلعت خيام الكفار، وأطفأت نيرانهم وقلّبت قدورهم، وأنزل الله الملائكة تزلزلهم، وتلقي الرعب في قلوبهم.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [2].

---

(1) أنظر سيرة ابن هشام "غزوة الخندق في شوال سنة خمس" (188/4) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

عن قتادة: نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله ρ شهرا فخندق رسول الله ρ، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس، حتى نزلوا بعقوة[1] الرسول، وأقبل عُيينة بن حصن[2]، أحد بني بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله ρ، وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه، فقال حيث يقول الله تعالى:(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) فبعث الله عليهم الرعب والريح، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كلّ حيّ يقول: يا بني فلان هلمّ إليّ، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال: النجاء النجاء، أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب [3].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ρ قال: (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) وقيل: الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون إلا ذهب حزنه, وقوله تعالى: "وجنوداً لم تروها"، يعني الملائكة, ولم تقاتل ملائكة يومئذ فبعث الله ـ عز وجل ـ تلك الليلة ريحاً باردة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط[4]، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وما جاءت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم, حتى كان سيد كلّ حيّ يقول: يا بني فلان النجاء النجاء..! هلموا إلي ..! فإذا اجتمعوا عنده قال: النجاء النجاء...!، فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب [5].

فمن تفسير تلك الآية اتضحت لنا القضية، على أن الله سبحانه وتعالى قد كفى المؤمنين القتال، بإرسال الريح الشديدة التي تطير خيام الأحزاب و تقلّب قدورهم، وبإرسال الملائكة التي تزلزهم، وتلقي الرعب في قلوبهم حتى ولوا مدبرين خائبين. فسبحان الذي نصر عبده، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده!! .

---

(1) العقوة والعقة : الساحة وما حول الدار والمحلة وجمعهما عقاء وعقوة الدار ساحتها. (لسان العرب : 79/15) .

(2) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بالجيم مصغرا بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري أبو مالك يقال كان اسمه حذيفة فلقب عيينة لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه. (الإصابة في تمييز الصحابة: 767/4) .

(3) تفسير الطبري (216/20) .

(4) والأطناب: ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق (لسان العرب: 60/1) ، والفساطيط: جمع الفسطاط :بيت يتخذ من الشعر ويعني [illegible] بط: 688/2) . فأطناب الفساطيط بمعنى : الحبال التي تشد الخيمة .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

خلاصة الكلام

إن غزوة الخندق من أحسم المعارك وأخطرها في تاريخ الإسلام، حتى وصف الله سبحانه في القرآن: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾[1]. ومع ذلك لم يكن فيها القتلى و الجرحى من قبل الطرفين إلا قليلا .

كانت معركة فاصلة تفرق بين مرحلة الدفاع ومرحلة الهجوم، وقد وصفها الرسول ρ حينما انتصر فيها المسلمون بقوله: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم)[2].

وقد أجاب الله دعاء نبيه ρ فأنزل عليهم المدد ، وأرسل إليهم الملائكة ، وجنودا لم يروها.

ومن بداية هذه الغزوة نجد أن المسلمين قد امتثلوا أمر الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[3]. وقد حفر المسلمون الخندق وهو الإعداد لمنع الأحزاب، بل هو من باب القوّة والمكيدة التي لم تعلمها العرب قبل ذلك اليوم. وبهذا يكون قد أخذ المسلمون عاملا من عوامل النصر، وهو "إعداد القوة"، فيستحقون نصر الله سبحانه.

ومن هذه الغزوة أيضا نتعلم سويا أهمية التفاؤل والأمل في الحياة سلما وحربا ، وهي فرع من فروع الإيمان بالله وحده - إن صحّ التعبير- . وصدق الرسول ρ القائل : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)[4]، وكيف لا يقال أنهم خير القرون....؟! وقد كان أمامهم الأحزاب مع عشرة آلاف مقاتل، والأحوال كما ذكرنا سابقا وكما وصفها القرآن الكريم، ومع ذلك لم ييئس الصحابة - رضي الله عنهم - ولم يفقدوا ثقتهم بوعد الله سبحانه ونصره، بل زادوا

---

[1] سورة الأحزاب (الآية: 10 ـ 11) .

[2] أخرجه البخاري كتاب المغازي باب"غزوة الخندق وهي الأحزاب" حديث رقم: 3884 (1509/4) .

[3] سورة الأنفال (الآية: 60) .

[4] أخرجه البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم: 3451 (1335/3). ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" حديث رقم: 6635 (185/7).

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

إيمانا ويقينا ، فأنعم الله عليهم بالنصر والغلبة. يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ (1).

ومن باب الاتعاظ من هذه الغزوة هي أهمية الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه، ويظهر من هذه الغزوة أن رسول الله ρ كان كثير التضرع والدعاء ـ وهو المؤيّد بالوحي ـ . والدعاء من أحد الأسباب في طلب النصر. فالدعاء سلاح هام في أيدي المسلمين، فالأسباب إذا كانت قليلة يُعوضها ويفضل عليها التضرع والدعاء إلى الله سبحانه، والتوكل عليه. وهذا لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب البشرية للنصر. لقد بذل الرسول ρ جهده والمسلمون في حفر الخندق وفكّ الحصار وتفريق الأحزاب. إلا أنه ρ يعلمنا سنة الأخذ بالأسباب مع ضرورة الالتجاء إلى الله، وطلب النصر منه. *والله أعلم بالصواب* .

* * * *

(1) 22

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الخامس:

في اتفاق الحديبية .

❖ **نبذة يسيرة عن اتفاق الحديبية .**

وقع هذا الاتفاق في السنة السادسة من الهجرة، وكان من أمره أن الرسول ρ رأى في منامه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، محلقين رءوسهم ومقصرين. يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1]. فأمر الناس أن تتجهز للخروج إلى مكة معتمرين، وخرج من المدينة يوم الإثنين من ذي القعدة، ومعه زوجته أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ في ألف وأربعمائة، وليس معهم سلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب.

ولما بلغوا ذا الحليفة قلّدوا الهدي وأشعروه، وأحرموا بالعمرة، وساروا حتى إذا وصلوا عسفان[2] قال لهم عينهم: إن قريشا قد علمت بمسيرنا وتجهزت للخروج مقاتلونا وصادونا عن البيت. فلما سمع الرسول ρ بذلك استشار أصحابه، واستمروا في السير، حتى إذا وصلوا إلى الحديبية ـ مكان قريب من مكة بينه وبين طريق جدة الآن ـ بعث الرسول ρ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ إلى أهل مكة ليؤكد لهم الغرض من مجيء الرسول وصحابته. فلما أبطأ عثمان قدومه منها وشاع بين المسلمين أنه قد قتل، قال الرسول ρ لما بلغته تلك الإشاعة: (لا نبرح حتى نناجز القوم) ثم دعا المسلمين إلى البيعة على الصبر وعدم الفرار بل على الموت.

ولما علمت قريش بأمر البيعة، خافوا ورأوا الصلح معه على أن يرجع في هذا العام ويعود في العام المقبل فيقيم فيها ثلاثا معه سلاح الراكب. وأرسلت قريش لذلك سهيل بن عمرو[3] ليتم هذا الصلح، وأخيرا تم الصلح، على ما رغبت قريش، وعلى وقف الحرب

---

[1] سورة الفتح (الآية: 27) .

[2] عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وقال غيره عسفان بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين وقيل عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهي حد تهامة . (معجم البلدان للشيخ ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله : 121/4 ، دار الفكر بيروت) .

[3] شمس الدين أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري خطيب قريش أبو يزيد قال البخاري: سهيل بن عمرو سمع في الأدب ، ممن نزل الشام، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية. (الإصابة في تمييز الصحابة: 212/3) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

بين الطرفين عشر سنين، وأن من أتى محمدا من مكة ردوه إليهم، فعزّ ذلك على المسلمين، وأخذ بعضهم يجادل النبي ρ فيما جاء من شروطها. وبعد أن وافق بين الطرفان على الهدنة وتمّ التصالح، نحر المسلمون هديهم، وحلقوا بعضهم بعضا، ثم عادوا إلى المدينة [1].

❖ حديث القرآن عن اتفاق الحديبية .

قد وصف الله سبحانه وتعالى هذا الاتفاق بما فيه من رضوانه سبحانه وتعالى عن المؤمنين الذين بايعوا الرسول ρ حينذاك، وجعل ما وراء هذا الاتفاق فتحا مبينا بما فيه من المغانم الكثيرة، وتقبّل الناس الإسلام تقبلا حسنا. يقول تعالى في كتابه المجيد:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ [2].

وفي آية أخرى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [3].

---

[1] ملخص من الرحيق المختوم (ص: 401 ـ 414). السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي (ص: 107ـ 111) .

[2] سورة الفتح الآيات 1 ـ 5) .

[3] سورة الفتح الآيات 18 ـ 25 .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

❖ **نصر الله سبحانه وتعالى في إتفاق الحديبية .**

إن هذا الاتفاق حدث في السنة السادسة من الهجرة عند واد الحديبية، ولم يتوقع المسلمون أن قريشا ستصدّهم عن البيت الحرام، ولم يحسبوا أن مصير عمرتهم ستتمّ باتفاق الهدنة من قبل الطرفين. وسبحان من يقدّر الأقدار، الذي جعل ما في ثنايا هذا الاتفاق نعما كثيرا، وفوزا عظيما، بل فتحا مبينا كما وصفه الله سبحانه في كتابه.

غير أن معظم المسلمين كانوا يجدون أن في ظاهر الاتفاق تنازلاتهم للمشركين، وعدم مساواة بين الطرفين، بل كاد الاتفاق أن يزعزع صفوف المسلمين. لكنه سبحانه قد أثبت في كتابه أن حزبه هم الغالبون، وهم المنصرون. يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]. وفي سورة أخرى: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2].

وفي هذه المناسبة أودّ أن أبرز بعض الأمور التي أراها من صور النصر التي وفقها الله سبحانه إلينا في هذا الاتفاق وما حوله لنصر رسوله ρ والمؤمنين، ودعم دينه وإظهار كلمته:

1. تكثير ماء بئر الحديبية .

بعد أن واصل المسلمون سيرهم من عسفان حتى إذا نزلوا إلى واد الحديبية، رؤوا بئرا الذي ليس فيه الماء إلا قليلا، وقد بلغ القوم العطش، فاشتكى بعض الصحابة إلى رسول الله ρ، فانتزع الرسول سهما من كنانته وأمرهم أن يجعلوه إلى داخل البئر، فغرزه واحد منهم فجاش منه الماء حتى شربوا منه وسقوا راحلتهم.

قال ابن شهاب: " فأمر رسول الله ρ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمش في طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة، قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش كثرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش، وخرج رسول الله ρ حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلأت الناقة، قال: ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا

---

(1) [illegible] (58) .

. (173 ـ 171)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

أعطيتهم إياها، ثم قال للناس: انزلوا..! قيل له: يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه، فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رَجلا من أصحابه، فنزل به في قليب من تلك القلب، فغرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن "[1].

وعن ناجية بن جندب[2] ـ رضي الله عنه ـ قال: دعاني رسول الله ρ حين شكى إليه قلة الماء فأخرج سهما من كنانته ودفعه إليّ، ودعا بدلو من ماء البئر، فجئت به فتوضأ فمضمض ثم مج الماء في الدلو، ثم قال: انزل بالدلو في البئر، وأثر ماءها بالسهم، ففعلت، فوالذي بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرني الماء وفارت كما يفور القدر حتى طمت واستوت بشفيرها، يغترفون من جوانبها حتى نهلوا عن آخرهم، وعلى البئر نفر من المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول، فقال له أوس بن خولي[3] ـ رضي الله عنه ـ ويحك يا أبا الحباب ما آن لك تبصر ما أنت عليه، أبعد هذا شيء..! فقال: إني رأيت مثل هذا، فقال له أوس ـ رضي الله عنه ـ قبحك الله وقبح رأيك، ثم أقبل أي عبد الله المذكور إلى رسول الله ρ فقال له الرسول: يا أبا الحباب أنّى رأيت أي كيف رأيت مثل ما رأيت اليوم ..؟! قال: ما رأيت مثله قط، قال: فلم قلت ما قلت، فقال: يا رسول الله استغفر لي، وقال ابنه عبد الله: يا رسول الله استغفر له فاستغفر له [4].

وفي رواية عن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي ρ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا [5].

فهذه الروايات كلها تشهد أن تكثير ماء بئر الحديبية حدث يوم الحديبية، وأنه أمر خارق للعادة التي أيّد الله سبحانه به رسوله ρ، ولا شك بأنها صورة من صور النصر في تلك المناسبة.

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (277/4) .

(2) ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم الأسلمي، قال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم عن رجل من أسلم أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ ناجية بن جندب الأسلمي صاحب بدن رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ . (الإصابة في تمييز الصحابة: 399/6) .

(3) أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ويقال أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى وقال بن المدني يكنى أبا ليلى (الإصابة في تمييز الصحابة: 152/1) .

(4) [illegible] .

المناقب باب "علامات النبوة في الإسلام" حديث رقم: 3384 (1311/3) .

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

2. بنود المعاهدة وما وراءها من الحكم والنصر.

تمّت المعاهدة باتفاق على بنود معينة قَبِلها الطرفان، وكانت في ظاهرها خسارات وتنازلات المسلمين للمشركين أو عدم المساواة بين الطرفين - إن صحّ التعبير -، وهي شروط قريش أملتها على المسلمين، ويظنّها أكثر المسلمين يومئذ، خسارة لكنه ρ الرسول المؤيَّد بالوحي، تقبّل (بنود الهدنة)، لأنه يعلم من الله ما لا يعلمون، ما فيها من الحكم العظيمة والخير الكثير.

ومن بنود هذه الهدنة، هي:

أ. (إيقاف الحرب بين الفريقين عشر سنين).

إن هذا البند الأول نشأ من وجود الرعب والجبن في صدور رؤساء قريش، لأنهم أحسوا بعدم قدرتهم في مواجهة أتباع محمد ρ بعد أن سمعوا عن البيعة التي بايع المسلمون رسول الله ρ ساعة إشاعة مقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لأجل ذلك أرسلوا سهيلا لعقد المصالحة مع المسلمين.

فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب، وإنما بدأتها قريش، يقول تعالى: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1]. أما المسلمون فلم يكن المقصود من دورياتهم العسكرية إلا أن تفيق عن غطرستها[2]، وصدها عن سبيل الله، وتعمل معهم بالمساواة، كل من الفريقين يعمل على شاكلته، فالعقد بوضع الحرب عشر سنين، حدّ لهذه الغطرسة والصد، ودليل على فشل من بدأ الحرب وضعفه وانهياره [3]. ومن ثمّ فإن هذا البند الأول دليل على خوف قريش، وانتصار المؤمنين، لأن مجرّد الميل والجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين، وتقدير مقاومتهم.

ب. (لقبائل العرب الحق في محالفة الرسول ρ أو محالفة قريش).

---

[1] سورة التوبة (الآية: 13).

[2] الغطرسة والتغطرس الإعجاب بالشيء والتطاول على الأقران، وقيل هو الظلم والتكبر والغطرس والغطريس والمتغطرس الظالم المتكبر. (155/6).

[3] .410

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

إن هذا البند لم يكن خاسرة للمسلمين، بل منح الناس منه غاية الحرية، وهذا الأمر الذي كان المسلمون في انتظاره، لأن الإسلام لا يسمح بأي إكراه في الدين، بخلاف قريش.

بل إن هذا البند أشار إلى أن قريش قد اعترفت بقيادة رسول الله ρ وبقوة المسلمين، ورأت أنهم أشد بأسا وقوة من أنفسهم، فدخل بعض القبائل في حلف رسول الله، ودخل بعضهم في حلف قريش. وقد دخلت في هذه الهدنة الخزاعية في حلف رسول الله، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، فصارت كل قبيلة في أمن من الأخرى، وقد كانت بنهما عداوة في الجاهلية .

وبعد أن مرّت الأيام أظهر الله سبحانه أن هذا البند أو الشرط كان نصرا للمؤمنين، وذلك أن بني بكر التي دخلت في عهد قريش اغتنمت الفرصة للأخذ بالثأر القديم من الخزاعة، وبذلك قد نقضت قريش هذه المعاهدة، ومن ثمّ أن ما فعله قريش وحلفاءه سببا إلى خروج رسول الله ρ لفتح مكة وهو فتحا قريبا ونصرا عظيما .

ج. (من أسلم من قريش بغير إذن وليّه ردّه الرسول إلى قريش، ومن ارتد من المسلمين ولحق بقريش لا يرد إلى المسلمين).

هذا البند في ظاهره إعزاز للمشركين، وفي باطنه نصر و فوز للمسلمين. وقد أخطأت قريش في تقدير نتيجة هذا البند، وظنّت أنها تستطيع أن تقلّل عدد المسلمين، وتزيد عبّاد أصنامهم...! .

فيبدو أن الرسول ρ عندما وافق عليه كان في ذهنه أن المسلم إن كتم إسلامه بين المشركين، كان عينا للمسلمين في وسط المشركين، وإن انكشف أمره يكون عبئا عليهم، لأنه صاحب عقيدة راسخة فلا تهزه الريح، ولا تقف في طريقه الصعاب. بينما المسلم إن ارتد عن دينه فلا خير فيه، وليرجع إلى عشيرته بدل أن يكون منافقا في صفوف المسلمين أو جاسوسا عليهم. وقد أثبتت الأيام سريعا حكمة الرسول ρ في قبول هذا الشرط وبُعد نظره، فقد تجمع المسلمون الذين ينطبق عليهم هذا الشرط في مكان على طريق قوافل قريش إلى بلاد الشام، وأخذوا يغيرون على تلك القوافل، وقطعوا طريق تجارتها مع دمشق، ولما ضاقت قريش ذرعا بتصرّفاتهم، راجعت الرسول ρ بأمرهم، فأجابهم أنه لا سلطان له عليهم، وهو لم يقبلهم في صفوفه تنفيذا لاتفاق الحديبية، مما

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

اضطرّ قريش إلى طلب إلغاء ذلك البند من الاتفاق، بل توسلت إليه أن يكفّ عنه أذى أولئك المسلمين المؤمنين ويؤويهم. وهكذا ألغت قريش نفسها البند الذي اعتبره المسلمون مجحفا بحقهم، وخاليا من المعاملة بالمثل [1].

وفي رواية، بعد أن رجع النبي ρ إلى المدينة جاءه أبو بصير[2] رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا! فاستله الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد..! لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه، فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ρ حين رآه (لقد رأى هذا ذعرا) . فلما انتهى إلى النبي ـ ρ قال: قتل والله صاحبي، وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم نجاني الله منهم، قال النبي ρ: (ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد). فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل[3] فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ρ تناشده بالله والرحم لما أرسل، فمن آتاه فهو آمن. فأرسل النبي ρ إليهم فأنزل الله تعالى { وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم حتى بلغ الحمية حمية الجاهلية [4].

---

(1) قيادة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ السياسة والعسكرية، تأليف أحمد راتب عرموش (ص: 104 ـ 105) دار النفائس بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى: 1989.

(2) أبو بصير بن أسيد بن جارية الثقفي اسمه عتبة تقدم وقيل إن اسمه عبيد حكاه ابن عبد البر والأول هو المشهور. (الإصابة في تمييز الصحابة: 43/7) .

(3) أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري (الإصابة في تمييز الصحابة: 69/7) .

الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط" حديث رقم: 2581 (974/2). وأبو داود حديث رقم: 2767 (39/3). وللفظ هنا للبخاري .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

د. (أن يعود الرسول ρ بأصحابه في ذلك العام فلا يدخلون مكة، ولهم في مثل ذلك الوقت من العام التالي أن يعودوا ليس معهم سلاح سوى السيوف في القرب، فتخرج قريش من مكة ويدخلها المسلمون لمدة ثلاثة أيام فقط فيؤدون العمرة ويخرجون بعدها).

ويبدو أن هذا البند الأخير له أثر فعّال في نفوس المسلمين، لأنه أوقع المسلمين في وادي الحزن والكآبة، لخيبة آمالهم وظنونهم بأن يطوفوا عند البيت الحرام، وقد أخبرهم الرسول ρ أنّا سنأتي البيت فنطوف به!.

وربما أن الحكمة من قيام الرسول ρ مع المسلمين بالعمرة في العام التالي لها أطيب الآثار في نفوس المسلمين، ونفوس العرب أجمعين، فتمكن عدد أكبر في العام التالي من زيارة البيت وأداء العمرة ورأت المشركون عظمة الإسلام، وشعرت قريش بالمهانة والحقارة لأن سلطانها وزعماتها الدينية قد بدأت تزول عنها ساعة بعد ساعة .

وفي جانب آخر هو الفوز والنصر للمسلمين لأن قريشا لم تنجح من صدّ المسلمين عن البيت سوى ذاك العام فقط، أما الأعوام التالية فللمسلين أن يطوفوا بالبيت مع عدم الإزعاج من سادات قريش.

خلاصة الكلام

قلنا إن المسلمين الذين شهدوا هذا الاتفاق كانوا قد أصابهم الحزن وشملتهم الكآبة، ولحزنهم على خيبة آمالهم و رجوعهم إلى المدينة دون العمرة، تباطئوا عن تنفيذ أمر الرسول ρ حينما أمرهم بنحر هديهم وحلق رؤوسهم، حتى نحر ρ هديه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا.

قال الزهري[1]: " قال عمر: فعملت لذلك أعمالا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ρ لأصحابه (قوموا فانحروا ثم احلقوا) . قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة [2]،فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يانبي الله أتحب ذلك..؟! اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيلحقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك

---

(1) سعد بن عبيد الزهري.مولى ابن ازهر ويقال مولى عبد الرحمن بن عوف أبو عبيد.روى عن عمر وعثمان وعلي وأبي هريرة . رضي الله عنهم . (تهذيب التهذيب: 414/3) .

(2) حذيفة وقيل اسمها هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين أم سلمة مشهورة بكنيتها ينظر ترجمتها في تمييز الصحابة: 150/8) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل غما" [1].

ولعل عمر بن الخطاب من أكثرهم حزنا وكآبة، فقد جاء إلى الرسول ρ، كما ورد في الرواية: قال: فقال عمر بن الخطاب: " فأتيت نبي الله ρ فقلت: ألست نبي الله حقا ؟ قال: (بلى). قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: (بلى). قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال: (إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري). قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: (بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام). قلت: لا. قال: (فإنك آتيه ومطوف به). قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال أيها الرجل إنه لرسول الله ρ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق! قلت: أليس كان يحدثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت: لا قال فإنك آتيه ومطوف به "[2].

بل كان المسلمون يكادون لا يقرّون أن هذه الهدنة هي فتحا مبينا، لولا أن أنزل الله سبحانه قوله: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) إلى آخر الآية الخامسة من سورة الفتح، وهم في طريق عودتهم إلى المدينة، فأرسل الرسول ρ إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله..! أو فتح هو..؟ قال: نعم، فطابت نفسه ورجع.

يقول الشيخ ابن كثير في تفسير الآية (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)، : "أنزل الله ـ عز وجل ـ هذه السورة فيما كان من أمره ρ وأمرهم (المسلمون)، وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روى عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية. وقال الأعمش[3]، عن أبي سفيان، عن جابر قال: "ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية". وقال

---

[1] أخرجه البخاري كتاب الشروط باب "الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط" حديث رقم: 2581 (974/2).

[2] المرجع السابق حديث رقم: 2581 (974/2) .

[3] هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، الكاهلي، أبو محمد، ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور، ثقة عالماً فاضلاً، وكان أبوه من رأته حامل بالأعمش فولدته بها .(وفيات الأعيان: 400/2).

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

البخاري: عن البراء بن عازب قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية"[1].

وأكبر دليل على أن ذاك الاتفاق نصرا عظيما هو وضع المسلمين قبل الاتفاق وما بعده، وما يتولّد منه من حكم ونصر كما عرضناها سابقا، وهذا كله أشار إلينا أن اتفاق الحديبية هو نصر عظيم وفتح مبين للمسلمين، مهما كانوا لا يعرفون أهميته وقت إبرامه. *والله أعلم بالصواب*

* * * *

(17

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب السادس:

في غزوة فتح مكة .

❖ **نبذة يسيرة عن غزوة فتح مكة.**

قدمنا في وقعة الحديبية أن بنداً من بنود هذه المعاهدة يفيد أن من أحب أن يدخل في عقد محمد ρ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين تعتبر جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من تلك القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق .

وحسب هذا البند دخلت خُزَاعَة في عهد رسول الله ρ ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وصارت كل من القبيلتين في أمن من الأخري، وقد كانت بين القبيلتين عداوة وتوترات في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، ووقعت هذه الهدنة، وأمن كل فريق من الآخر، اغتنمها بنو بكر، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم، وقد أعانت قريش بني بكر بالسلاح على ذلك. فلما حصلوا على ذلك، أسرع عمرو بن سالم الخزاعي[1] قدم على رسول الله ρ المدينة، وجاء بعده بديل بن ورقاء الخزاعي[2] في نفر من خزاعة لنفس المهمة، فأخبروه بمن أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، واستنجدوا به، ثم رجعوا إلى مكة. ولما علمت قريش بما ارتكبت من الخطيئة وأرادت تفادي الأمر، أرسلت أبا سفيان إلى المدينة لتجديد الصلح مع المسلمين، ولكن دون جدوى، حيث أمر رسول الله ρ بالتهيؤ والاستعداد، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة، كما أمر بكتم الأمر عن قريش، فخرج ρ مع عشرة آلاف من الجيش يريدون مكة، وذلك في شهر رمضان المبارك، الثامن من الهجرة [3].

❖ **حديث القرآن الكريم عن غزوة فتح مكة .**

وقد وصف الله سبحانه هذه الغزوة في سورة قصيرة، حيث ذكر فيها نصر الله سبحانه في هذا الفتح من دخول الناس في دين الله جماعة جماعة دون خوف وتردد.

وأنه سبحانه أشار فيها عن قرب أجل الرسول ρ . يقول تعالى في كتابه المجيد :

---

[1] عمرو بن سالم بن حصين بن سالم بن كلثوم الخزاعي من مليح بالتصغير وآخره حاء مهملة بن عمرو بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن يحيى بن خزاعة. (الإصابة في تمييز الصحابة: 630/4) .

[2] بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جرى بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة الخزاعي. (الإصابة في [illegible]) .

. (479 - 473

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[1].

في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك. فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشَّر به، وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره، وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين:

1. إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين (أن النصر يستمرّ للدين)، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ } وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل.[ومع هذا] فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.

2. وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله ρ قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به. وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله رسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه[2].

وقد ورد في الرواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "كان عمر (ابن الخطاب) يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني[3] فقال ما تقولون في { إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا } حتى ختم السورة. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا

---

(1) سورة النصر (الآية: 1 ـ 3) .

(2) تفسير القرآن العظيم (1/926) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئا. فقال لي: يا بن عباس أكذلك قولك ؟ قلت: لا! قال: فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله ρ أعلمه الله له {إذا جاء نصر الله والفتح } فتح مكة فذاك علامة أجلك { فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا }. قال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم" [1]. ومن هذه الرواية أقرّ المفسرون أن الفتح هنا فتح مكة .

❖ **نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة فتح مكة .**

وبعد أن علم الرسول ρ والمؤمنون أن قريشا وحلفاءها قد نقضت الهدنة، ساروا إلى مكة لغزوها وفتحها، وقد أيد الله سبحانه المؤمنين في فتحها حتى تمكنوا من أخذها عنوة وغلبة بغير قتال.

وسوف نذكر هنا صور نصر الله سبحانه التي وقعت في هذا الفتح، منذ أن هيّأ الرسول ρ المسلمين للسير إلى مكة، إلى أن تمّت عملية فتحها، وحطم جميع رموز الشرك فيها. منها:

1. **إعلام الله رسوله ρ بما صنع حاطب .**

تهيّأ الجيش الإسلامي للمسير إلى مكة، وقد أمرهم الرسول ρ من قبل بكتم الأمر عن قريش، فإذا حاطب بن أبي بلتعة[2] كتب إلى قريش كتابا يخبرهم بمسير رسول الله ρ إليهم ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا، فجعلته في قرون رأسها، ثم خرجت به. وأتى رسول الله ρ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علياً والمقداد[3] والزبير بن العوام وأبا مَرْثَد الغَنَوِي[4]، فقال : (انطلقوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خَاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب إلى قريش)، فانطلقوا حتى وجدوها، وأخذوا منها

---

(1) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب "منزل النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ يوم الفتح" حديث رقم: 4043، 4686 (1563/4).

(2) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى يقال إنه حالف الزبير وقيل كان مولى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد. (الإصابة في تمييز الصحابة: 4/2) .

(3) المقداد بن الأسود الكندي هو بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني وقيل الحضرمي قال ابن الكلبي كان عمرو بن ثعلبة أصاب دما في قومه فلحق بحضرموت فحالف كندة فكان يقال له الكندي وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري وكتب إلى أبيه فقدم عليه فتبنى الأسود المقداد فصار يقال المقداد بن الأسود وغلبت عليه واشتهر بذلك. (الإصابة في تمييز الصحابة: 202/6) .

(4) بن الحصين ويقال: حصين بن كناز وقيل اسمه أيمن، قال البغوي: كناز بن الحصين ويقال: ابن حصن، والمشهور الأول. (الإصابة 369/7).

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الكتاب وجاء به إلى رسول الله، فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، يخبر فيه عن مسير المسلمين إلى مكة[1].

وفي رواية عن عبيد الله بن أبي رافع[2] يقول: سمعت عليّا ـ رضي الله عنه ـ يقول: "بعثني رسول الله ρ أنا والزبير والمقداد فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها). قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة. قلنا لها: أخرجي الكتاب! قالت: ما معي كتاب! فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب..؟! قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا رسول الله ρ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ρ، فقال رسول الله ρ (يا حاطب ما هذا ؟). قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، إني كنت امرءا ملصقا في قريش، يقول: كنت حليفا ولم أكن من أنفسِها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ρ: (أما إنه قد صدقكم). فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق..!. فقال: (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)"[3].

فهذه الرواية تشهد على أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر رسوله ρ عن الرسالة التي بعثها حاطب ـ رضي الله عنه ـ إلى قريش، وهو عين المدد الذي أرسله الله إلى نبيه خلال عملية هذا الفتح. وهكذا حبس الله الأخبار والعيون حتى لا يبلغ إلى قريش أي خبر عن استعداد المسلمين وزحفهم إلى أرض مكة المكرمة لفتحها.

2. دخول المسلمين مكة عنوة وغلبة بغير قتال.

---

(1) الرحيق المختوم (ص477 ـ 478) .

(2) عبيد الله بن أبي رافع واسمه أسلم مولى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الهاشمي المدني سمع علي بن أبي طالب روى عنه الحسن بن ، محمد بن الحنفية في الجهاد والممتحنة. (رجال صحيح البخاري: 462/1) .

(3) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب "غزوة الفتح" حديث رقم: 4025 (1557/4). ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب " من فضائل أهل بدر ، رضي الله عنهم حاطب بن أبي بلتعة" حديث رقم: 6557 (167/7). واللفظ للبخاري، وفي لفظ آخر أخرجه البخاري بلفظ " بعثني عليه والمقداد والزبير وكلنا فارس "، باب "فضل من شهد بدرا" حديث رقم: 3762

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ظلّ الأمر عميّا عن قريش، ولم يصل إلى آذانهم حتى نزل الجيش الإسلامي في واد قريب من مكة. حتى إذا أصبحوا تحركوا إلى جهة مكة، فهنالك وزع النبي جيشه، وجعلهم أربع كتائب، كتيبة قادها الرسول، وكتيبة قادها خالد بن الوليد، وكتيبة قادها الزبير بن العوام، وكتيبة قادها أبو عبيدة[1]. كلها تدخل على مكة من الجهة المختلفة. فسروا حتى دخلوا مكة فأقبل خالد بن الوليد يجوس مكة حتى وافى رسول اللّه ρ، وأما الزبير بن العوام فتقدم حتى نصب راية رسول اللّه ρ بالحجون عند مسجد الفتح، وضرب له هناك قبة، فلم يبرح حتى جاءه الرسول .

وأما أهل مكة فقد فوجئوا بزحف رسول اللّه ρ بجيش لا قبل لهم به، وأصبح أبو سفيان بن حرب صاح بين يديهم بأعلى صوته؛ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد [2].

وهكذا فتح الرسول ρ مكة عنوة وغلبة دون أية مواجهة من قبل قريش، فلا شك أن هذا من أعظم النعم حيث حفظ حرمة البيت، وهو أعظم الفتوحات في تاريخ الإسلام.

3. تحطيم الأوثان، وتطهير المسجد الحرام من رموز الشرك .

بعد أن دخل المسلمون مكة، ذهبوا إلى المسجد الحرام وكان الرسول ρ بين يديهم، وكان حول البيت أصنام وأوثان فلا يلقون صنما إلا حطموه، ولا يرون صورة إلا محوها وأخرجوها من البيت.

عن عبد اللّه[3] قال : دخل النبي ρ المسجد وحوله ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان معه ويقول:﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾[4] [5].

---

[1] أبو عبيدة بن الجراح الفهري أمين هذه الأمة وأحد العشرة من من السابقين اسمه عامر بن عبد الله الجراح اشتهر بكنيته والنسبة الى جده تقدم. (الإصابة في تمييز الصحابة: 269/7) .

[2] ملخص من الرحيق المختوم (ص:482 ـ 484).

[3] عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوى. (الإصابة في تمييز الصحابة: 181/4) .

[4] سورة الإسراء (الآية: 81) .

[5] أخرجه البخاري، كتاب المظالم باب " هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أو تخرق الزقاق . فإن كسر صنما أو صليبا أو طنبورا أو ما لا ينتفع 23 (876/2). وابن حبان باب "الصور والمصورين" حديث رقم: 5862 (172/13). وابن خزيمة باب "رفع اليدين حديث رقم: 3758 (230/4).. واللفظ هنا لابن حبان .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وفي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن رسول الله ρ لما قدم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها، فأخرجت فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الآزلام، فقال رسول الله ρ : (قاتلهم الله أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط)[1].

وأصبح الناس بمكة لا يتركون في بيوتهم صنما إلا كسروه، وقد ورد في كتب التاريخ أنه ρ لما اطمأن بعد الفتح أرسل أصحابهم أي السرايا إلى الأماكن المعينة لهدم العزى، وسواع، ومناة. وقد أرسل لهذه المهمرة ثلاث سرايا:

أ. سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه ـ إلى العزى .

أرسل رسول الله ρ أي بعد فتح مكة خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا من أصحابه إلى العزى، وهو صنم كان لقريش وكان معظما جدا، وفي لفظ العزى نخلات أي سمرات مجتمعة، لأنه كان يهدي إليها كما يهدي إلى الكعبة، لأن عمرو بن لحى[2] أخبرهم أن الرب يشتى بالطائف عند اللات، ويصيف عند العزى فلما وصل إلى محلها أي وكان بناء على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم ذلك البناء، ثم رجع إلى رسول الله ρ فأخبره بذلك، فقال له: (هل رأيت شيئا..؟) قال: لا، قال: فارجع اليها..!، فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي شعر رأسها منتشر تحثو التراب على راسها، فجعل السادن يصيح بها أي يقول: يا عزي عوريه يا عزيه خبليه فضربها خالد فقطعها نصفين. ورجع الى رسول الله ρ وأخبره بذلك فقال رسول الله ρ : (نعم تلك العزى)[3].

ب. سرية عمرو بن العاص[4]. رضي الله عنه ـ إلى سواع .

سواع بالعين المهملة أي سمي باسم سواع بن نوح ـ عليه السلام ـ وكان على صورة امراة، وكان لقوم نوح، ثم صار لهذيل كانوا يحجون إليه أي قبل فتح مكة. وبعد ذلك أرسل رسول الله ρ عمرو بن العاص في جماعة من أصحابه إلى سواع ليكسره ويهدم

---

(1) أخرجه البخاري كتاب الحج باب " من كبر في نواحي الكعبة" حديث رقم: 1524 (580/2). وأبو داود باب "في دخول الكعبة" حديث رقم: 2029 (163/2). واللفظ هنا للبخاري .

(2) عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف الذي قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رأيت عمرو بن لحي أبا بني كعب هؤلاء يجز قصبه في النار لأنه أول من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وغير دين إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ . (تهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزّي (506/1) مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الأولى، 1400هـ حققه د. بشار عواد معروف) .

(3) السيرة النبوية لابن هشام (208/3) . وقد أخرجه النسائي في سننه الكبرى باب "سورة النجم" حديث رقم: 11547 (474/6).

(4) هاشم بن سعيد بن التصغير بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي أمير مصر يكنى أبا سباية في تمييز الصحابة: 650/4) .

nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

محله، قال عمرو ـ رضي الله عنه ـ فانتهيت إلى ذلك الصنم وعنده سادنه أي خادمه، فقال لي: ما تريد..؟! فقلت: أمرني رسول الله ρ أن أهدمه، قال: لا تقدر! قلت: لم..؟ قال: تمنع ..! قلت: حتى الآن أنت على باطل ويحك وهل يسمع او يبصر..؟! فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيها شيئا، ثم قلت: للسادن كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله[1].

ج. سرية سعد بن زيد الأشهلي[2]. رضي الله عنه. إلى مناة.

مناة صنم كان للأوس والخزرج، أرسل رسول الله ρ سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارسا إلى مناة ليهدم محله، فلما وصلوا إلى ذلك الصنم، قال السادن لسعد: ما تريد..؟! قال هدم مناة، قال: أنت وذاك..؟ فأقبل سعد إلى ذلك الصنم فخرجت إليه امراة عريانة سوداء ثائرة الراس تدعو بالويل وتضرب صدرها، فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصيانك، فضربها سعد ـ رضي الله عنه ـ فقتلها وهدم محلها[3].

فهذه الروايات كلها تشهد أنه ρ حينما فتح مكة لم يترك صنما أو وثنا إلا وأمر أصحابه بهدمه، وهذا نصر الله سبحانه العظيم، الذي مكّن للمسلمين من تطهير البيت، ومكة وما حولها من الأصنام التي كانت تعبدها قريش ومعظم قبائل العرب. فلا شك أن هذه صورة من صور نصر الله سبحانه للمسلمين في هذا الفتح العظيم.

خلاصة الكلام

لقد كانت هذه الغزوة معركة فاصلة قضت على عبادة الأوثان إلى الأبد، فدخل الناس في دين الله (الإسلام) أفواجا، تركوا عبودية الأصنام إلى عبادة الله الذي لا إله إلا هو. وبهذا الفتح تفتحت عيون الناس على أن الأصنام التي كانوا يعبدونها ويقدسونها ويقدمون لها القرابين، لا تمنع ولا تمنح خيرا وشرّا بل لا تدافع عن نفسها، على خلاف ما كان يعتقد بعض العرب .

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (209/3) .

(2) سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما فيمن شهد بدرا، وله ذكر في الصحيحين أنه الذي هدم منة الذي كان بالمشل. (الإصابة في تمييز الصحابة: 61/3) .

(3) السيرة النبوية لابن هشام (209/3) .

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ومن آثار هذا الفتح العظيم، أنه تمكّن من اختفى من المسلمين بمكة من إظهار دينه والدعوة إليه منذ تلك اللحظة، فلا يقف أحد أمام غيره ليكفه من اعتناق الإسلام، ولم تبق قبيلة من قبائل العرب بعد هذا الفتح إلا وقد خضعت للحكم الإسلامي، فأصبحت الجزيرة العربية حينذاك مركز الدعوة لنشر دين الله بعد أن كانت مركزا لعباد الأصنام .

ومن باب الاتعاظ من هذا الفتح العظيم، أن الإسلام فضل التسامح والعفو على العداوة والثأر. وقد وجدنا هذه المعاملة في موقف رسول الله ρ حينما يعامل قريشا في هذا الفتح، وقد كانوا ينتظرون صفوفا ماذا سيصنع الرسول ρ بهم..؟! وقد كانوا يعتدون ويحاولون قتله وأخرجوه من مكة، فإذا الرسول ρ يقول لهم كما قال يوسف ـ عليه السلام ـ:﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[1]. اذهبوا فأنتم الطلقاء..!. وصدق الله العظيم القائل في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2]. فهذا الموقف النبيل يجعل قلوب الناس تميل إلى الإسلام وتدفع عنه بل تحقق أمامهم أن الإسلام رحمة للعالمين .

ولكن هذا الموقف قليل ما يفعله قادة المسلمين اليوم ـ إلا من رحمه الله ـ فإنهم كلما ظفروا على أعدائهم أو منافسهم، يعاملونهم بما لا ينبغي أن يتصرف به قادة المسلمين العالمون بالقرآن الكريم وسنة رسوله، ومثل هذا الموقف يستر عن أعين غير المسلمين أن الإسلام رحمة للعالمين. *والله أعلم بالصواب* .

* * * *

(1) [illegible] (92).

(21

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب السابع:

في واقعة يوم حنين .

❖ نبذة يسيرة عن واقعة يوم حنين .

سبق أن تحدثت عن واقعة يوم حنين[1]، فلا حاجة إلى عرضها مرة أخرى، لأنه أدعى إلى التطويل.

❖ حديث القرآن الكريم عن واقعة يوم حنين .

لقد تحدث الله سبحانه عن هذه الغزوة في كتابه المجيد، وكأنه سبحانه أشار إلينا أن هذه الغزوة كانت فترتين، الفترة الأولى: التي تفرق فيها المسلمون، وولوا بعضهم مدبرين. والفترة الثانية: التي أنزل الله فيها نصره وسكينته على رسوله و على المؤمنين، فانتصروا و انهزم الكافرون فيها. يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]. وقد تحدثنا عن سبب تفرق المسلمين في أول الأمر من هذه الغزوة، ولكن في هذا المطلب سوف نتحدث عن الفترة الثانية من هذه الغزوة وهي فترة النصر، حيث أنزل الله سبحانه وتعالى فيها سكينته وكانت سبب النصر، وسوف نعرض لهذا الكلام إن شاء الله تعالى .

❖ نصر الله سبحانه وتعالى في واقعة يوم حنين .

كما يعلمه الجميع أن الجيش الإسلامي في هذه الغزوة كان أكثر مما كانوا في فتح مكة، وقد بلغ عددهم إثنى عشر ألفا من المسلمين، عشرة آلاف ممن كانوا خرجوا مع رسول الله ρ لفتح مكة، وألفان من أهل مكة، وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام، ومع ذلك تفرقوا في أول الأمر حينما نزلوا إلى ساحة المعركة، فولى بعضهم مدبرين إلا رسول الله ρ مع مجموعة من الصحابة. ومن صور نصر الله التي وقعت في هذه الغزوة ما يلي :

---

(1) [illegible] هذه الرسالة (ص: 65 ـ 66).

[illegible] ـ 26).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

1. **معجزة الرسول ρ في رمي المشركين بقبضة من التراب.**

لما نزل المسلمون ساحة المعركة، وكان الوقت قبيل الفجر، والظلام يحيط وادي حنين، فوجئ المسلمون بالسهام التي تمطر عليهم من كل مكان، فتفرق المسلمون حينذاك، ولكن الرسول ρ مع بضعة من الصحابة ثبتوا بالمكان بل تقدموا نحو العدو. فرجعت الفارون إلى أماكنهم بعد أن رأوا موقف رسول الله، وما سمعوا من ندائه ρ ما يحرك مشاعرهم وشجاعتهم. فحينئذ أخذ الرسل ρ قبضة من التراب فرمى بها الأعداء، فلا يبقى من نفر من الكفار إلا وقد ملأت عينيه بالتراب، فولوا مدبرين منهزمين .

وفي رواية عن إياس بن سلمة[1] حدثني أبي قال: "غزونا مع رسول الله ρ حنينا، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم، فتوارى عني فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة النبي ρ فولى صحابة النبي ρ وأرجع منهزما وعلي بردتان متزرا بإحداهما مرتديا بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعا ومررت على رسول الله ρ منهزما وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله ρ :« لقد رأى ابن الأكوع فزعا». فلما غشوا رسول الله ρ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: « شاهت الوجوه ». فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله ـ عز وجل ـ وقسم رسول الله ρ غنائمهم بين المسلمين" [2].

ويقول الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ : "ومعروف أن الفاعل أو الرامي هنا رسول الله ρ، ولكنه ما أرسل بالرمية الواحدة ـ حفنة التراب ـ إلى عيون كل الأعداء، لأن هذه المسألة لا يقدر عليها أحد مهما يكن، ولكنه أدّى نصيحة جبريل ـ عليه السلام ـ له، أما الإيصال إلى عيون العدو فهذا من فعل الله سبحانه القويّ القدير" [3].

وهذه المعجزة ـ رمي التراب إلى وجهو الأعداء ـ قد وقعت مرتين في تاريخ الغزوة، مرة في غزوة بدر، ومرة في غزوة حنين. فلا شك أن هذه المعجزة صورة من صور النصر الذي أيد الله بها رسوله في مواجهة أعدائه ساعة يوم بدر ويوم حنين .

---

(1) إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي أبو سلمة ويقال أبو بكر المدني روى عن أبيه سلمة بن الأكوع. (تهذيب الكمال: 403/3) .

(2) أخرجه [illegible] الجهاد والسير، باب "في غزوة حنين" حديث رقم: 4719 (169/5).

(4618 ,461[illegible]

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

2. **سكينة النفس للمؤمنين، ونزول الملائكة في المعركة.**

قلنا أن المسلمين كانوا تفرقوا حينما فوجئوا بالسهام التي أمطرت عليهم من كل مكان، فندى رسول الله ρ وأمر ممن معه من الصحابة بندائهم، فحينئذ أنزل الله سكينته رسوله ومن معه من الصحابة وأنزلها على المؤمنين الفارين. فعادوا مسرعين ثابتين مقبلين على الأعداء وقاتَلوهم قتلة شديدة فولوا مدبرين منهزمين، فانتصر فيها المسلمون.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]. والسكينة: اسم للحالة والهيئة النفسية الحاصلة من السكون والطمأنينة، وهي ضد الاضطراب والانزعاج، والمعنى : أن الله تعالى أفرغ من سماء عزته وقدرته سكينته اللدنية على رسوله بعد أن عرض له ما عرض من الأسف والحزن على أصحابه عند وقوع الهزيمة لهم، على أنه ثبت كالطود الراسي نفسا، ولم يزدد إلا شجاعة وإقداما وبأسا. وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه وأحاطوا ببغلته وقليل ما هم، ثم على سائر المؤمنين الصادقين فأذهب روعهم، وأزال حيرتهم واضطرابهم، وعاد إليهم ما كان زال أو زلزل من ثباتهم وشجاعتهم، ولاسيما عند ما سمعوا نداءه ρ ونداء العباس يدعوهم إلى نبيهم بأمر. وإنما قال : وعلى المؤمنين ولم يقل "وعليكم" ؛ لأن الخطاب للجماعة وفيهم بقية من المنافقين وضعفاء الإيمان كما تقدم، وأنزل جنودا لم تروها أي: وأنزل مع هذه السكينة جنودا روحانية من الملائكة لم تروها بأبصاركم، وإنما وجدتم أثرها في قلوبكم، بما عاد إليها من ثبات الجأش ، وشدة البأس [2].

وقيل: أن نزول الملائكة هنا لا للقتال، ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين، لأنه يروى: أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر [3].

وعن عبد الرحمن مولى أم برثن[4] قال: "حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحابَ محمد عليه السلام، لم يقفوا لنا حَلَبَ شاةٍ أن كشفناهم،

---

(1) سورة التوبة (الآية: 26) .

(2) تفسير المنار (220/10 ـ 221) .

(3) تفسير المنار (21/4) .

(4) هو المعروف بصاحب السقاية مولى أم برثن. (تهذيب التهذيب: 122/6) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

فبينا نحن نسوقهم، إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء، فتلقانا رجالٌ بيضٌ حسانُ الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا" ! فرجعنا، وركبنا القوم، فكانت إياها"[1].

ومن تفسير الآية، والرواية السابقة تبين لنا أن نزول الملائكة كان لتثبيت قلوب المسلمين ونفوسهم يوم حنين، ولا شك أنها من صور النصر التي أيد الله سبحانه بها رسوله المصطفى والمسلمين في هذه الغزوة .

خلاصة الكلام

إن واقعة يوم حنين بينت لنا أن العدد الكثير ليس السبب الأول للنصر، لأن المسلمين كانوا أكثر عددا وعُدة من الكفار، ومع ذلك ولّوا المسلمون مدبرين لولا أن أنزل الله سبحانه سكينته عليهم، وقد أكّد ذلك القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]. بل النصر من الله سبحانه فقط، يقول سبحانه: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[3].

وقد كان موقف رسول الله ـ صلى لله عليه وسلم ـ وثباته في تلك المعركة مع قلة من الصحابة دليلا وتعبيرا عن عمق العقيدة وثقته بنصر الله سبحانه وتأييده، وهو ρ بهذا الموقف ينفذ قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[4]، والمسلمون حينما اعتقدوا "لن نغلب اليوم من قلة" عاقبهم الله وجازاهم بالهزيمة والفرار في أول المعركة. ولكنهم حينما تضرعوا وصبروا وثبتوا في

---

(1) أخرجه الطبري في تفسيره حديث رقم: 16582 (186/14) .

(2) سورة التوبة (الآية: 25 ـ 26).

(3) سورة الأنفال (الآية: 10) .

(4)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

مواجهة الأعداء، أنزل الله سبحانه سكينته عليهم، وجزاهم بحسن النصر وكثرة الغنائم.

ومن هذه الغزوة نستفيد أنه سبحانه أراد أن يعلمنا قانون الأسباب والمسببات، فإذا كان المسلمون في معركة بدر قد تعلموا أن القلة إذا كانت مؤمنة بالله حق الإيمان وآخذة بأسباب النصر، لن يضرّها كثرة العدد. فإنهم في هذه المعركة (حنين) قد تعلموا أن كثرة العدد والعُدّة أيضا مع الغرور لا تغني شيئا، ولا تمنح نفعا في ساحة المعركة، بل عليها أن تأخذ الأسباب في تواضع وخضوع لله سبحانه وتطلب لمعونته ونصره. *والله أعلم بالصواب* .

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المبحث الثاني:

النصر على غير المشركين.

المطلب الأول:

النصر على يهود بني النضير وبني قريظة.

❖ **النصر على اليهود بني النضير .**

أ. نبذة يسير عن غزوة بني النضير .

كانت غزوة بني النضير حدثت في ربيع الأول سنة 4 من الهجرة، الموافق شهر أغسطس 625م . في منازل بني النضير جنوب المدينة المنورة، بين قوات المسلمين في المدينة ويهود بني النضير الذين بلغ عددهم 1500. أتت هذه الغزوة بعد محاولة يهود بني النضير اغتيال الرسول ρ حينما جاءهم طالباً مساعدتهم في دية قتيلين (وقد كان بين الطرفين المعاهدة). فعاد إلى المدينة وأرسل إليهم محمد بن مسلمة[1] طالباً منهم الخروج من المدينة وقد أجّلهم لأجله عشرا، فمن وُجد بها بعد ذلك ضرب عنقه، ولم يجد يهود مناصا من الخروج، فأقاموا أياما يتجهزون للرحيل، بيد أن رئيس المنافقين ـ عبد الله بن أُبي ـ بعث إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفؤكم من غطفان. وهناك عادت لليهود ثقتهم وطمع رئيسهم فيما قاله رأس المنافقين فأبوا بالخروج وتحصنوا في حصونهم، بل تحدوا الرسول بصنع ما بدا له من فعلهم. فأسرع الرسول ρ المسير إليهم، فلما انتهى إليهم حاصرهم عدة ليال، و بعد الحصار طلبوا إجلاءهم عن المدينة فوافق الرسول ρ بشرط أن يأخذوا فقط ما تحمله الإبل دون السلاح [2].

---

(1) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الأوسي الحارثي أبو عبد الرحمن المدني حليف بني عبد الأشهل ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة في قول الواقدي وهو ممن سمي في الجاهلية محمدا وقيل يكنى أبا [illegible] أول أكثر وروى عن النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ أحاديث . (الإصابة في تمييز الصحابة: 33/6) .

خنوف (ص:350 ـ 350) .

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ب. حديث القرآن الكريم عن غزوة بني النضير .

قد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الغزوة وما حولها بدقة في كتابه العزيز، وأنزلت فيها سورة الحشر، حيث وصف فيها طرد اليهود، وفضح مسلك المنافقين، وبين أحكام الفيء، وبين جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية، وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض. يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِىَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَىۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[1] .

وفي شأن المنافقين، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٌۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبًاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

---

(1) سورة الحشر الآيات 2 ـ 8 .

(2) سورة الحشر الآيات 11 ـ 15 .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ج. نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة بني النضير .

لقد نصر الله سبحانه وتعالى رسوله ρ في هذه الغزوة، حيث إنه سبحانه وتعالى أرسل جنوده لبثّ الرعب والخوف في قلوب بني النضير فخرجوا من منازلهم تاركين حصونهم وأرضهم، غير أن المسلمين لم يتوقعوا ذلك. لأن بني النضير كانوا على درجة من القوة تجعل استسلامهم بعيد الاحتمال، وقد كشف بذلك بعد استسلامهم أن لديهم خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفا [1]. يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[2].

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "كان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم على يد رسوله محمد ρ فجلوا إلى خيبر، وما ظننتم أيها المسلمون أن يخرجوا من ديارهم، لحصانتها، ومنعتها، وعزهم فيها. فأعجبوا بها وغرتهم، وحسبوا أنهم لا ينالون بها، ولا يقدر عليها أحد، وقدر الله تعالى وراء ذلك كله، لا تغني عنه الحصون والقلاع، ولا تجدي فيهم القوة والدفاع. ولهذا قال: (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا)أي: من الأمر والباب، الذي لم يخطر ببالهم أن يؤتوا منه، وهو أنه تعالى(قذف فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) وهو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ينفع معه عدد ولا عدة، ولا قوة ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه ويظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخذول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبال، فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم، التي هي محل الثبات والصبر، أو الخور والضعف، فأزال الله قوتها وشدتها، وأورثها ضعفا وخورا وجبنا، لا حيلة لهم ولا منعة معه، فصار ذلك عونا عليهم، ولهذا قال: (يخرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) وذلك أنهم صالحوا النبي ρ، على أن لهم

---

(1) تم ذكر تفاصيل هذه الأسلحة في الرحيق المختوم (ص: 353) .

(4)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ما حملت الإبل، فنقضوا لذلك كثيرا من سقوفهم، التي استحسنوها، وسلطوا المؤمنين بسبب بغيهم على إخراب ديارهم وهدم حصونهم، فهم الذين جنوا على أنفسهم " [1].

أما المنافقون الذين وعدوا بنصرهم إن قُوتلوا وسوف يخرجون معهم إن أُخرجوا فقد نقضوا وعدهم ولا ينصرونهم، بل تبرؤوا مما صنعوا لمحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم خوفا ورهبة من رسول الله ρ والمؤمنين، أي أنهم خافوا من المؤمنين أعظم مما يخافون الله، وقدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، على مخافة الخالق، الذي بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع. فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم، فقتلوا كبارهم وصناديدهم، وأسروا من أسروا منهم، وفر من فر، وذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شركهم وبغيهم، هذا في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار .

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

❖ **النصر على اليهود بني قريظة.**

أ. نبذة يسيرة عن غزوة بني قريظة.

وقعت غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة عَقِب غزوة الأحزاب فورا، بعد أن جهر يهود بني قريظة ينقض عهدهم، وتحالفهم مع قريش وقبائل أخرى لإبادة المسلمين في معركة الأحزاب أو الخندق. وقد نزل على رسول الله ρ الوحي يأمره بمحاربة بني قريظة وهو في بيت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ فعجّل الرسول ρ المسير مع ثلاثة آلاف مقاتل وأوصاهم: "لا يصلينّ أحد العصر إلا في بني قريظة"[1]. وفي رواية: "أن لا يصلين أحد الظهر إلا فى بنى قريظة"[2] [3]. ثمّ قام المسلمون بحصارهم خمساً وعشرين ليلة حتى استسلم اليهود، فحَكَّم فيهم رسول الله ρ سعد بن معاذ[4] ـ رضي الله عنه ـ سيد الأوس، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس، فحكم سعد بأن تُقتَلَ مُقاتلَتُهم، وأن تُسبى ذراريهم، وأن تُقسَمَ أموالهم، فنفذ الرسول ρ حكمه [5].

ب. حديث القرآن الكريم عن غزوة بني قريظة.

قد وصف الله سبحانه في كتابه المجيد موقف المناقين ويهود بني قريظة، وأنزل الله في أمرهم آيات كثيرة في سورة الأحزاب، وهذه الغزوة ذات علاقة قوية مع غزوة الأحزاب، حيث نقض فيها يهود بني قريظة عهدهم، وهذه نقطة الخيانة التي أدّت المسلمين إلى محاربتهم. يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ

---

(1) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب " مرجع النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم" حديث رقم: 3893 (1510/4). وكتاب الصلاة باب "صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء" حديث رقم:904 (321/1) .

(2) أخرجه مسلم باب "من لزمه أمر فدخل عليه أمر آخر" حديث رقم: 4701 (162/5).

(3) قد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها لا يصلين أحد العصر، وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الأولى الظهر وقيل للطائفة التي بعدها العصر وكلاهما جمع لا بأس به . ومن أراد المزيد من الوضوح فليراجع المرجع. (فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (408/7) دار المعرفة- بيروت 1379هـ .

(4) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة ويكنى أبا عمرو شهد بدرا باتفاق ورمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم في [illegible] دعوته في ذلك ثم انتقض جرحه فمات. (الإصابة في تمييز الصحابة: 84/3) .

(5) خذوه (ص: 374 - 38[illegible]) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [1]. ويعني بذلك يهود بني قريظة، فهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ρ [2].

ج. نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة بني قريظة.

كما ذكرنا أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ρ بمحاربة يهود بني قريظة بعد ما رجع الرسول من غزوة الأحزاب، وقد أرسل الله سبحانه ملائكته في هذه الغزوة لقذف الرعب في قلوب بني قريظة، وليزلزل بهم حصونهم، فأمكن الرسول ρ مع ثلاثة آلاف مقاتل من أخذ حصونهم دون قتال، بعد بضعة أيام هي أيام الحصار، حتى استسلم بنو قريظة فنفذ فيهم الرسول ρ حكم سعد بن معاذ ، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وقسم أموالهم.

لا شك أن هذه السهولة (أخذ الحصون بلا قتال) من صور نصر الله سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين في هذه الغزوة، بأن يرسل جنوده ليقذف في قلوب الأعداء شيئا من الرعب فكفى الله بذلك المؤمنين القتال. وهو القائل في كتابه: (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ) .

وقد ورد في رواية أن جبريل أتي بحرب بني قريظة فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ρ معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله..؟!. قال: نعم. فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. إن الله ـ عز وجل ـ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة **فإني عامد إليهم فمزلزل بهم** فأمر رسول الله ρ مؤذنا فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة [3].

وفي رواية أخرى عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله ρ إلى بني قريظة [4].

---

[1] سورة الأحزاب (الآية: 26 ـ 27).

[2] تفسير الطبري (243/20) .

[3] السيرة النبوية لابن هشام (192/4) .

المغازي باب مرجع النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم" حديث

nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

خلاصة الكلام

إن هاتان الغزوتان كانتا بين المسلمين وأهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، ويهود بني قريظة. وقد كان بينهم وبين رسول الله ρ المعاهدة، لكنهم نقضوها، أما بنو النضير فقد كانوا أرادوا اغتيال رسول الله ρ وهو ينزل عندهم ضيفا، أما بنو قريظة فقد قاموا بتحريض الأحزاب على محاربة المسلمين يوم الخندق.

ومن تفصيلات الآيات السابقة تبين لنا أن يهود بني النضير وبني قريظة هُزموا بالرعب والخوف الشديد الذي ألقاه الله سبحانه في قلوبهم، وقد صرح الله بذلك في كتابه المجيد: (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ) وقوله: (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا). والرعب من أكبر جند الله سبحانه الذي لا ينفع معه العدد ولا العدّة، ولا قوة ولا شدّة، وقد أُنزل في هاتين حملتين لنصر رسوله ρ والمسلمين، غير أنهم لم يتوقعوا ولم يحتسبوا أن الحملة ستتم بدون قتال، إلا الحصار عليهم في بضعة أيام. وصدق قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[1].

ومن باب الاتعاظ من هاتين حملتين هو أهمية محاربة صفة الخيانة، وأنهما بعد أن ارتكبوا هذه الجريمة ونقضوا المعاهدة، لأجلها أسرع الرسول ρ بأمره سبحانه إلى محاربتهم، حتى كان يقول لأصحابه قبل مسيرهم إلى منازل بني قريظة: (لا يصلينّ أحد العصر إلا في بني قريظة). كما أن الرسول ρ حين محاربة قريش وخروجه إلى مكة لفتحها، فإنه لم يخرج إليها إلا بعد أن ظهرت من قريش الخيانة ونقض المعاهدة.

فمن هنا نتعرّف على أحوال هؤلاء اليهود، وأنهم ما تعاهدوا إلا نقضوا عهدهم، فالخيانة صفة راسخة في نفوسهم يورثونها إلى أبنائهم وأحفادهم. فعلينا أن نعتبر مما قصه القرآن الكريم من سيرة هؤلاء حتى لا نقع مرتين في نفس البئر. *والله أعلم بالصواب.*

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثاني:

في غزوة خيبر .

❖ **نبذة يسيرة عن غزوة خيبر .**

هذه الغزوة حدثت في السنة السابعة من الهجرة، وذلك أن يهود خيبر ممن بذل القوة في جمع الأحزاب في غزوة الخندق لمحاربة المسلمين، لأجل ذلك خرج رسول الله ρ مع ألف وستمائة رجل لمحاربتهم. وكانت خيبر محصنة تحصينا قويا فيها ثمانية حصون منفصلة بعضها عن بعض، وكان يهود خيبر أشد الطوائف اليهودية بأسا وأوفرها سلاحا .

نزل المسلمون بساحة اليهود قبل طلوع الفجر، وقد صلى المسلمون الفجر قرب خيبر، ثم هجموا عليها بعد طلوع الشمس، وفوجئ أهلها بهم وهم في طريقهم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد والخميس....!!!. فقال الرسول ρ : (الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنظرين).

فهرب اليهود إلى حصونهم، وحاصرهم المسلمون، وقد حاولت غطفان نجدة حلفائهم يهود خيبر، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّا فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم فرجعوا ، وخلوا بين رسول الله ρ وبين خيبر، فأخذ المسلمون في افتتاح حصونهم واحدا تلو الآخر .

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد في فتحه محمود بن مسلمة[1] الأنصاري، والذي استغرق فتحه عشرة أيام، وقد جعل الله في فتحه بيدي علي - رضي الله عنه - . وبعد ذلك سقطت حصونهم حصنا بعد حصن، واستولى اليأس على اليهود وطلبوا من النبي ρ أن يحقن دماءهم، فقبل الرسول وصارت أرضهم لله ولرسوله وللمسلمين [2].

---

(1) محمود بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الحارثي واستشهد في حياة [illegible] الصحابة: 42/6) .

(2) خثوم (ص: 434 - 445) .

Created with nitro PDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

❖ **حديث القرآن الكريم عن غزوة خيبر .**

قد وصف الله سبحانه هذه الغزوة في كتابه العزيز، حيث فصّل فيه أن هذه الغزوة كانت وعدا وعدها الله سبحانه لرسوله ρ ولمن شهد الحديبية فقط. يقول تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾[1]. اختلف أهل التأويل في هذه المغانم التي ذكر الله أنه وعدها هؤلاء القوم أيّ المغانم هي؟، فقال بعضهم: هي كل مغنم غنمها الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه ρ. وقال بعضهم: هي غنيمة خيبر . وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحا أقرب من بيعتهم رسول الله ρ بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها. وأما قوله(وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً) فهي سائر المغانم التي غنمهموها الله بعد خيبر، كغنائم هوازن، وغطفان، وفارس، والروم.

وإنما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر، **لأن الله أخبر أنه عجل لهم هذه التي أثابهم من مسيرهم الذي ساروه مع رسول الله ρ إلى مكة**، ولما علم من صحة نيتهم في قتال أهلها، إذ بايعوا رسول الله على أن لا يفرّوا عنه، ولا شكّ أن التي عجلت لهم غير التي لم تُعجَّل لهم [2].

وبالتالي فصّل الله سبحانه أحوال المنافقين وضعفاء الإيمان الذين يريدون المشاركة في هذه الغزوة. يقول تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[3]. ويعني بالمخلفين في الآية هم الذين تخلفوا عن الحديبية، أي " أنهم يريدون المشاركة في فتح خيبر، ويعني بكلمة "مغانم" في الآية هي غنائم خيبر، وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم

---

(1) سورة الفتح (الآية: 20) .

(2) تفسير الطبري (22/230 ـ 231) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

يصيبوا من الغنائم شيئاً وعدهم الله ـ عز وجل ـ فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئاً. (ذرونا نتبعكم) يعني إلى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها، وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا إذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة، وهنا قالوا: ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة، بل يعني بمشاركتهم يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لأهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة، وهذا قول جمهور المفسرين" [1].

أي أن هذه القضية قد ذكرها الله سبحانه لنبيه، لأجل ذلك قال: (كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) أي من قبل رجوعنا من الحديبية إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة. فقال المسلمون : قد أخبرنا الله في الحديبية بما سيقولونه وهو قوله تعالى: (فسيقولون بل تحسدوننا) فقال الله تعالى: (بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً) يعني لا يعلمون إلا أمر الدنيا. وقيل : لا يفقهون من أمر الدين إلا قليلا، وهو ترك القتال [2].

❖ **نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة خيبر .**

قلنا إن النصر في هذه الغزوة وعد وعدها الله سبحانه لأصحاب الشجرة ـ بيعة الرضوان ـ فهي بشارة عن انتصارهم وغلبتهم على يهود خيبر، إلا أنه سبحانه كلّف رسوله ρ والمسلمين بأخذ الأسباب لمحاربتهم وفتح أرضهم، فهذه البشارة من صور النصر المعنوي أي أنها تقوي عزائم المسلمين في فتحها وتُثبت أقدامهم في محاربة أهلها، ومن ثم فهم متفائلون في الحصول على غنائمها، لأجل ذلك وسأعرض بعض صور النصرالتي أيد الله سبحانه المؤمنين بها في هذه الغزوة منذ بداية المعركة إلى أن سقطت جميع حصونهم بأيدى المسلمين.

1. المعجزة في معالجة عيني علي. رضي الله عنه ..

---

(1) تفسير الطبري (10/276).

(27)

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ولما نزل المسلمون بحضرة خيبر، قال الرسول ρ: (لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله). قال: فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ρ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: (أين علي ابن أبي طالب..؟) . فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه..! قال: (فأرسلوا إليه). فأتي به فبصق رسول الله ρ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحد خير لك من أن يكون لك حمر النعم) [2].

فهذه الرواية تشهد أن هذه المعجزة كانت واقعة بيوم خيبر، وهي أمر خارق للعادة، التي أيّد الله بها رسوله، فلا شك أنها من صور نصر الله سبحانه التي وقعت في تلك المعركة.

2. سقوط حصن الصعب بن معاذ ساعة جهد فيها المسلمون ولم يكن بأيدهم شيء .

كان هذا الحصن من أهم الحصون فهو أوفرها طعاما وسلاحا، حيث كان مركز المواد الغذائية، والمنجانيقات والدبابات وآلآت الحربية الأخرى. وكانت أحوال المسلمين ساعة حصاره في المجاعة الشديدة، فاشتكى بعضهم إلى رسول الله ρ أحواله، فدعا رسول الله ρ لفتح هذا الحصن دعوة خاصة: فقال اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاما وودكا فغدا الناس ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا[3].

لأجل ذلك قدّمنا سقوط هذا الحصن دون الأخرى، ولا ننفي أن سقوط جميع حصون يهود خيبر من صور نصر الله سبحانه لرسوله ρ ولمن كان معه من المسلمين .

---

(1) وقوله (يدوكون) بمهملة مضمومة أي باتوا في اختلاط واختلاف والدوكة بالكاف الاختلاط . (فتح الباري لابن حجر: 477/7) .

(2) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب "غزوة خيبر" حديث رقم: 3973 (1542/4) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب "من فضائل علي بن أبي [illegible] " حديث رقم: 6373، 6375، 6376، 6377 (120/7 ـ 122). واللفظ هنا للبخاري .

برة باب "ذكر المـ[illegible] الى خيبر" (3030/4) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

وقد روى ابن اسحاق أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ρ فقالوا: والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء..! فلم يجدوا عند رسول الله ρ شيئا يعطيهم إياه. فقال: اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاما وودكا، فغدا الناس ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه [1].

استجاب الله دعاء نبيه الكريم، ففتح الحصن في ذاك اليوم نفسه، ووجد المسلمون المواد الغذائية، وبعض آلآت الحربية يستقوون بها نفوسهم للمهاجمات التالية، حتى آخر حصن تجمّع فيه الفارون من الحصون المتساقطة، فلا شك أن هذا كله نعمة من نعمه، وصورة من صور نصره وتأييده سبحانه في هذه الغزوة.

خلاصة الكلام

إن هذه الغزوة كانت آخر معركة يقودها الرسول ρ في محاربة يهود، وبعض هؤلاء من بني النضير الذين أخرجوا من منازلهم في السنة الرابعة من الهجرة. وقد كان اليهود في هذه المرة بلغوا ذروة قوتهم وبأسهم، ومع ذلك لم تكن هناك معركة شديدة من قبل الطرفين، إلا بعض مبارزات خفيفة يفوز فيها المسلمون، حتى سقطت حصونهم بأيدي المسلمين حصنا بعد حصن فلا ملجأ أمامهم إلا الاستسلام. صدق قوله سبحانه وتعالى في الآية المذكورة، الذي وعد رسوله ρ وأصحاب الشجرة بأن جعل أموال يهود خيبر وأراضيهم مغنما لهم، إنه لا يخلف الميعاد. *والله أعلم بالصواب*.

* * * *

---

[1] ابن هشام "باب ذكر المسير إلى خيبر" (4/ 302 ـ 303).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

المطلب الثالث:

في غزوة تبوك .

❖ **نبذة يسيرة عن غزوة تبوك.**

بعد أن فتح الرسول ρ مكة أصبحت أرجاء الجزيرة العربية كلها تحت حكم الإسلام، إلا أنه كانت هناك قوة تعرضت للمسلمين من غير مبرر، وهي قوة الرومان ـ أكبر قوة عسكرية ظهرت على وجه الأرض في ذلك الزمان ـ وكانت بداية هذا التعرض بقتل سفير رسول الله ρ الحارث بن عمير الأزدي[1]. رضي الله عنه ـ على يدي شرحبيل بن عمرو الغساني[2] حينما كان السفير يحمل رسالة النبي ρ إلى عظيم بصرى[3] .

وقد كانت في تلك السنة التاسعة من الهجرة تترامى الأنباء إلى المدينة بإعداد الرومان؛ للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين، وهذا يدلّ على خطورة الموقف، وتحققت تلك الأخبار بعد أن بلغهم من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن هرقل قد هيأ جيشا عرمرما قوامه أربعون ألف مقاتل.

والذي كان يزيد خطورة الموقف أن الزمان كان فصل القيظ الشديد، وكان الناس في عسرة، ومع هذا كله كانت المسافة بعيدة، والطريق وعرة صعبة، وكان الرسول ρ يعرف هذا جيدا، ومع ذلك قرر القيام ـ مع ما كان فيه من العسرة والشدة ـ بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الرومان. فأعلن في الصحابة أن يتجهزوا للقتال، وبعث إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة يستنفرهم، وحثّ الناسَ في بذل الصدقات، وإنفاق كرائم الأموال في سبيل الله. فتبرع عثمان بن عفان بعشرة آلاف دينار وتسعمائة بعيرٍ،

---

(1) الحارث بن عمير الأزدي ثم اللهبي بكسر اللام وسكون الهاء روى الواقدي عن عمرو بن الحكم قال بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى ملك بصري بكتابه فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطا وضرب عنقه صبرا ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه و سلم غيره . (الإصابة في تمييز الصحابة: 589/1) .

(2) شرحبيل بن عمرو بن غالب، من حمير: ملك يماني. كان من كبار قومه في عهد ذي الاذعار (عمرو بن أبرهة) وثار على ذي الاذعار فاجتمعت له أشأ دولة مستقلة (الأعلام للزركلي: 159/3) .

(755/2)، السيرة الحلبية (786/2) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ومائة فرس. كما تبرع أبو بكرٍ الصديق بكل ماله . وتبرع عبد الرحمن بن عوف[1] بمائتي أوقية فضة[2]. وتبرعت النساء بحليهن وزينتهن من الذهب .

وتحرك جيش المسلمين إلى تبوك في شهر رجب من العام التاسع بقيادة الرسول ρ وكان عددهم ثلاثين ألفاً تقريباً . و أعطي اللواء لأبي بكرٍ الصديق. وعسكر النبي ρ بجيشه في ثنية الوداع. وكان الحر شديداً للغاية، وعانى المسلمون من عسرة الماء والزاد، حتى اضطروا لذبح إبلهم وإخراج ما في كروشها فيعصرونه ويشربونه. لذلك سميت الغزوة بغزوة العسرة .

نزل الجيش الإسلامي بتبوك، فعسكر هناك، وهو مستعد للقاء العدو، وقام رسول اللّه ρ فيهم خطيباً، فخطب خطبة بليغة، أتي بجوامع الكلم، وحض على خير الدنيا والآخرة، وحذر وأنذر، وبشر وأبشر، حتى رفع معنوياتهم، وجبر بها ما كان فيهم من النقص والخلل من حيث قلة الزاد والمادة والمؤنة. **وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف رسول اللّه ρ أخذهم الرعب، فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم**، فكان لذلك أحسن أثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها النائية، وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة خطيرة، لعلهم لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين. وقضى المسلمون في تبوك حوالي عشرين يوماً.

واستشار الرسول ρ أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام. فأشار عليه الفاروق عمر بالعودة إلى المدينة. فاستحسن الرسول ρ رأيه وعادوا إلى المدينة مظفرين منصورين حامدين شاكرين [3].

---

(1) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذي أخبر عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه توفي وهو عنهم راض (الإصابة في تمييز الصحابة: 346/4) .

(2) ذكر [illegible] العدد في السيرة الحلبية (100/3) .

(3) [illegible] (ص: 515 - 521) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

❖ حديث القرآن الكريم عن غزوة تبوك .

وقد أنزل الله سبحانه آيات كثيرة من سوة براءة (سورة التوبة) في وصف غزوة تبوك، حيث تحدث فيها عن عتاب من تخلف عن رسول الله ρ في هذه الغزوة من المنافقين وغيرهم، وعن حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد، وعن فضل المجاهدين والمخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين الخارجين منهم في الغزوة والمتخلفين، إلى غير ذلك من الأمور . يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾ [1]. نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي ρ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال، ولم يكن رسول الله ρ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ρ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز وعدداً كثيراً وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية [2].

وأراد بقوله تعالى في هذه الآية عتاب المسلمين إذ قال لهم الرسول ρ: انفروا في سبيل الله . أي اخرجوا إلى الجهاد. ولكنهم تثاقلوا وتباطئوا عن الخروج إلى الغزو بل لزموا أرضهم ومساكنهم. وما استثقل ذلك الغزو إلا لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدد والزاد، وكان ذلك الوقت وقت إدراك ثمار المدينة وطيب ظلالها، وكان العدو كثيراً، فاستثقل الناس تلك الغزوة. فعاتبهم الله تعالى بقوله : (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعني أرضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة، غير أن لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل، ونعيم الآخرة باق على الأبد، فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلاً بالنسبة إلى نعيم الآخرة. وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لأن الله سبحانه وتعالى نص

(1) التوبة (38 - 39).

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

على أن تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر، فلو لم يكن الجهاد واجباً لما عاتبهم على ذلك التثاقل، ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى :(إلا تنفروا) يعني إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى ما استنفركم رسول الله ρ إليه؛ (يعذبكم عذاباً إليماً) يعني في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة. وقيل : إن المراد به احتباس المطر في الدنيا.

وعن ابن عباس: استنفر رسول الله ρ حياً من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم. (ويستبدل قوماً غيركم) يعني خيراً منكم وأطوع. قال سعيد بن جبير : هم أبناء فارس.

وقيل : هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على أنه قد تكفل بنصرة نبيه ρ وإعزاز دينه، فإن سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع أجرهم على الله ـ عز وجل ـ وإن تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم[1].

❖ **نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة تبوك .**

سمى بعض أهل السير هذه الغزوة غزوة العسرة، لأن المسلمين كانوا يعيشون في حالة من الفقر وضيق الحال، وندرة الماء، وفوق هذا وذاك كان الحرّ شديدا، والمقصد بعيدا، والعدو أكثر عددا، لأجل ذلك ثقل عليهم ترك أراضيهم ومزارعهم. ولكنه ρ لمّا أقرّ بخروجه لمحاربة الرومان، تجلّد الناس لتلبية دعوة نبيهم، وقد أنفق بعض أصحابه من كرائم أمواله إنفاق من لا يخشى من الفقر أبدا. فهذه من صور النصر الذي أيد الله سبحانه بها نبيه لتجهيز الجيش الإسلامي .

وقد ذكر بعض أهل السير مشاهد من المعجزات التي وقعت في عملية هذه الغزوة؛ منذ أن نزل المطر ببركة دعائه، وإخباره بمكان ناقته التي ضلّت، وتكثير الماء في تبوك، وتكثير الطعام، وإخباره بحال ملك كنده (أحد ملوك الرومان)، وإخباره بالريح الشديدة، ودعاءه لرواحل المسلمين، وإخباره بركوب أصحابه السفن. فكل هذه المعجزات التي هي خارقة للعادة من صور النصر الذي أيد الله بها نبيه في رفع كلمة التوحيد .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

إلا أن هناك أعظم نصر الذي أيد الله به نبيه في هذه الغزوة، وهو قذف الرعب والخوف في قلوب الرومان حين سمعوا بزحف الرسول ρ مع ثلاثين ألفا من الجيش، حتى جعلهم يتفرقون عائدين إلى منازلهم، دون أن يقاوموا أدنى مقاومة ضد قوات المسلمين، فبهذا كفى الله المؤمنين القتال، وحصل المسلمون بذلك على غنائم ومكاسب كثيرة لم يكونوا حاصلين عليها لو حدث أي قتال بين الطرفين .

وقد ورد في كتب الروايات عن جابر بن عبد الله[1]: أن النبي ρ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي؛ **نصرت بالرعب مسيرة شهر**، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس عامة) [2].

خلاصة الكلام

كانت هذه الغزوة أكبر غزوة يقودها الرسول ρ في حياته حيث خرج معه ثلاثين ألفا من الجيش، وهي معركة فاصلة ضدّ الإمبراطورية الرومانية التي بلغت قواتها أربعين ألف مقاتل. ومع ذلك لم يكن هنالك القتال في هذه الحملة العسكرية، بل لم تسفك أية دماء من قبل الطرفين. وذلك بعد أن قذف الله سبحانه الرعب في قلوب الجيش الروماني وأمرائهم، فما بقي منهم أحد بعد أن سمعوا بزحف رسول الله ρ إلا لقد تفرقوا إلى قراهم ومنازلهم، خوفا من أي اصطدام مع الجيش الإسلامي. وقد أتم الله سبحانه نعمته ونصره بخضوع أمرائهم أمام الرسول ρ ودفعوا له جزية، فسبحان الذي لا شريك له، الذي نصر عبده وهزم الأحزاب وحده ....!! .

وقد أظهر الرسول ρ حكمته حينما أعلن أمام المسلمين خروجه لمحاربة الرومان ومبادرتهم بالقتال قبل أن يخرجوا عليهم، وقد فرّق بذلك جمعهم، وكسّر شوكتهم، وخمد شجاعتهم .

---

(1) جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي أحد الستة الذين شهدوا العقبة الأولى (الإصابة في تمييز الصحابة: 433/1) .

(2) أخرجه البخاري، كتاب التيمم حديث رقم: 328 (128/1) . وكتاب الصلاة باب " قول النبي صلى الله عليه و سلم (جعلت لي الأرض مسجدا 427 (168/1) .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ومن باب الاتعاظ من هذه الغزوة أن ننتهز الفرصة ونحذر فواتها ، وأن من يهاجم على عدوّه ليس كمن هو يدافع عن نفسه ، لأن خير الدفاع الهجوم . *والله أعلم بالصواب.*

* * * *

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الخاتمة

- نتائج البحث
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام والأسماء المترجمة
- المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

نتائج البحث

بعد أن تحدثنا عن سنة الله في نصر المؤمنين بما فيها من أسباب تحقيق النصر وتأجيله، وضرب الأمثال من أنواع صور النصر التي أيدّ الله بها أنبياءه وأولياءه المؤمنين الذين ينصرون دين الله. أرى أن أعرض وأسجل في هذه الخاتمة بعض النتائج التي وصلتُ إليها خلال بحثي وإنجاز هذه الرسالة، وهي:

1 . إن وضع أوضاع العالم الإسلامي اليوم لا تخالف ولا تبطل النصوص القرآنية التي تنصّ على أن وعد الله حقّ في نصر المؤمنين وأنبيائهم، لأن وعده سبحانه تنزل بسنته بأسباب وشروط .

2 . إن عدم غلبة المسلمين على أعدائهم اليوم لعدم إيفاء شروط النصر وبعدهم عن أسباب تحقيقه، فلو أنهم أخذوا بما أمر الله ورسوله في الكتاب والسنة لَمَا وصلوا إلى هذه الأحوال المكروهة من التخالف والعداوة فيما بينهم والأعداء يضربوننا من كلّ جانب .

3 . لن يتغلب المسلمون على أعدائهم وينتصروا عليهم حتى يفعلوا بما أرشدهم الله سبحانه ورسوله في القرآن الكريم والسنة النبوية إليه من عوامل النصر و يبتعدوا عن معوقاته .

4 . إن نصر الله سبحانه أكيد لأنبيائه ورسله والمؤمنين الذين ينصرون دين الله، إلا أن نصره بما يشاء سبحانه بما يتحقق من عوامل النصر وشروطه.

5 . كما أنه سبحانه هو الذي حدّد أسباب النصر، فقد تغلب فئة قليلة مؤمنة فئة كثيرة بإذنه سبحانه، لأن القلة إذا كانت مؤمنة بالله حق الإيمان وآخذة بأسباب النصر، لن يضرها كثرة العدد، كما أن كثرة العدد والعدّة أيضا مع الغرور لا تغني شيئا ولا تمنح شيئا في ساحة المعركة، بل عليها أن تأخذ بالأسباب في تواضع وخضوع لله سبحانه، وتطلب لمعونته ونصرته .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

6 . إن نصر الله سبحانه ومدده لرسله وللمؤمنين إنما يتأتى لمستقبل إيماني، فإن لم يوجد المستقبِل فلا يوجد المدد والنصر، فإذا كنّا لا نستطيع أن نستقبل ما يرسله رب السموات والأرض، فالخلل والخطيئة من قِبل أنفسنا، لأنها بمنزلة جهاز الاستقبال في المحمول، إن الإرسال من مركز الإرسال مستمر على الهواء، لكن المحمول الفاسد هو الذي لا يستقبل الإرسال . إذن فإن كنا نريد أن نستقبل عن الله نصره ومدده فلابد أن يكون جهاز استقبالنا أي إيماننا سليما وقابل الاستقبال .

7 . إن كل شيء في هذه الحياة الدنيا من السماوات والأرض، والرياح والمياه والدواب جند من جنود الله مسخّرة ومطيعة لأمره سبحانه لينصر أنبياءه وأولياءه والمؤمنين في تحقيق النصر والمدد كما شاءه سبحانه .

8 . إن صور النصر التي أمدّ الله سبحانه بها رسله قد تختلف بين نبي و نبي . لذا قد يكون النصر بالغلبة المباشرة، والقهر للأعداء على يد هؤلاء الأنبياء، وظهور الدين وتمامه وقيام دولة الإسلام. وقد يكون النصر بإهلاك هؤلاء المكذبين الكافرين، ونجاة الأنبياء والمرسلين ومن آمن معهم. بل قد يكون النصر بانتقام الله سبحانه من أعدائهم ومكذبيهم بعد وفاة هؤلاء الأنبياء والرسل.

وأخيرا نستغفر الله سبحانه وتعالى من كل الخطايا والآثام، وأن يديمنا تحت رعايته ورحمته، وأن يجمع كلمة المسلمين تحت كلمة واحدة في رفع كلمة التوحيد، وأن يوحد صفوفهم في مواجهة الكفار والمنافقين، وأن يظهر دينه بنصرته.

وأسأل الله سبحانه أن يتقبل منّي هذا الجهد، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن ينتفع به المسلمون شرقا وغربا. فإن أصبت فيه فمن عند الله وفضله، وإن أخطأت فمن نفسي وضعفي البشري، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

" فهرس الآيات القرآنية "

الرقم	نص الآية الكريمة	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ	البقرة	153	18
2	وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ	البقرة	197	28
3	كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ	البقرة	216	34
5	وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ	البقرة	191 . 190	46
6	فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ	البقرة	251 . 249	127، 126، 124 158 129
7	قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ	البقرة	247	125
8	إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ	آل عمران	125 . 124	27
9	وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ	آل عمران	104	31
10	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ	آل عمران	200	43
11	وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ	آل عمران	169	47
12	وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا	آل عمران	103	60 ،57

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

13	إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ	آل عمران	122	66
14	إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾	آل عمران	125 .124	67
15	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾	آل عمران	152	68
16	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	آل عمران	123	74
17	وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾	آل عمران	54	102
18	فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ	آل عمران	55 . 52	132
19	وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾	آل عمران	126	160
20	وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾	آل عمران	121	161
21	مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ	آل عمران	179	161
22	ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ	آل عمران	154	162
23	وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟	آل عمران	167 . 166	167، 168
24	إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ بِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟	آل عمران	125 . 124	165

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

	وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾			
25	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾	النساء	71	53
26	وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً	النساء	102	55
27	لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾	النساء	165	122
28	وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا	النساء	157	135
29	وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ	المائدة	56	183
30	وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا	الأنعام	34	12
31	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾	الأعراف	65	90
32	قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾	الأعراف	70	90
33	قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾	الأعراف	66	94
34	قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾	الأعراف	67	96
35	فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾	الأعراف	77	98
36	فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾	الأعراف	79	101
37	وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾	الأعراف	82	106

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

38	وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾	الأعراف	127	114
39	قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	الأعراف	128	114
40	قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا	الأعراف	129	115
41	وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾	الأعراف	134	115
42	فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾	الأعراف	135	116
43	فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾	الأعراف	78	100
44	إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾	الأنفال	19	18
45	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾	الأنفال	66 . 65	22
46	إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾	الأنفال	44 . 43	156،24
47	يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾	الأنفال	6	25
48	وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ۖ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ۖ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ	الأنفال	60	179،21،36

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

	ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾			
49	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾	الأنفال	45	50، ، 77، 130 203
50	وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ	الأنفال	63	57
51	وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾	الأنفال	46	59
52	وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ	الأنفال	47	62
53	وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾	الأنفال	30	140
54	كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾	الأنفال	6 .5	152
55	إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾	الأنفال	11	152
56	إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾	الأنفال	9	157،166
57	إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾	الأنفال	12	158
58	وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾	الأنفال	10	160، 202
59	هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ	التوبة	33	36
60	إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾	التوبة	39	47، 218
61	إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ	التوبة	40	51، 142، 148، 149

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

	يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾			
62	لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾	التوبة	26 ،25	201 ،199 ،74 202
63	وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾	التوبة	13	185
64	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾	التوبة	38	218
65	رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾	يونس	88	116
66	قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾	يونس	89	117
67	قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾	يونس	90	119
68	وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾	هود	36	82
69	وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾	هود	37	83
70	حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾	هود	40	84
71	وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾	هود	44	85

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

72	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى	هود	60 . 50	88
73	قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾	هود	53	90
74	فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾	هود	57	94 ،90
75	وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾	هود	58	92
76	وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ	هود	68 . 61	96
77	وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ	هود	83 . 77	104
78	قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾	هود	78	108
79	قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾	هود	80	110،108
80	فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾	هود	83 . 82	109
81	وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾	هود	120	137
82	قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾	يوسف	92	198
83	لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾	إبراهيم	7	أ
84	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾	النحل	89	3
85	وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾	الإسراء	81	195
	أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟	الكهف	55	9

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

	رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا			
87	فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾	طه	44	122
88	مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾	الحج	15	10
89	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾	الحج	39	35
90	ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾	الحج	40	125،29،36
91	قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾	المؤمنون	39	90،93
92	قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾	المؤمنون	40	93،91
93	فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾	الشعراء	63 . 61	119،52 120
94	قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾	الشعراء	116	81
95	قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾	الشعراء	155	96
96	أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾	الشعراء	166 - 165	104
97	رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾	الشعراء	169	110،107
98	فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾	الشعراء	170	109،107
99	إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾	الشعراء	173 . 171	110
100	وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ	الشعراء	68 . 52	113
101	إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ	الشعراء	56 . 54	118
102	وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾	الشعراء	15 . 14	118

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

103	قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾	الشعراء	29	121
104	قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾	النمل	49	98
105	وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾	النمل	50	102،98
106	فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾	النمل	51	99
107	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾	القصص	4	120
108	وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾	القصص	7	120
109	أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾	العنكبوت	29	106،104
110	قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾	العنكبوت	30	106
111	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾	الروم	47	14،18
112	سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾	الأحزاب	62	9
113	ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ	الأحزاب	6	108
114	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا	الأحزاب	25 . 9	178،172 179،180 ،198
115	وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾	الأحزاب	27 . 26	209

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

116	وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾	سبأ	13	126
117	وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾	يس	9	143
118	وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾	الصافات	173 . 171	183، 101، 12
119	ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾	الزمر	42	133
120	إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾	غافر	51	19، 2، 13 136، 85، 79
121	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾	فصلت	17	100
122	وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾	الدخان	24	119
123	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾	الأحقاف	25 . 24	91
124	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾	محمد	7	2، 3، 11، 15، 16، 29 150، 129
125	وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾	الفتح	23 . 22	11
126	لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾	الفتح	27	181
127	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾	الفتح	5 . 1	182

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

128	لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا	الفتح	25 . 18	212،182
129	سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾	الفتح	15	212
130	مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾	الذاريات	42	88،91
131	فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾	الذاريات	36 . 35	105
132	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾	القمر	15 . 9	،85،81
133	وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ	القمر	37	110،105
134	كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾	المجادلة	21	12
135	هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ	الحشر	8 . 2	206،205
136	أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا	الحشر	15 . 11	205

Created with ...
nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

137	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤	الصفّ	14	132
137	وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣	الطلاق	3 . 2	210
138	وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧	الحاقة	7 . 6	92
139	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥	الحاقة	5	100
140	وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧	نوح	27 . 26	82
141	يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١	نوح	11	88
142	وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١	المدثر	31	145
143	فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤	النازعات	24	121
144	وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣	النصر	3 . 1	192

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

" فهرس الأحاديث والآثار "

الرقم	طرف الحديث والآثار	راوي الحديث والآثار	الصفحة
1	احمو ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل.	الحاكم	65
2	أخف عنا	البخاري وابن حبان	146
3	ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم	البخاري ومسلم	174
4	إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر..	أبو داود	15
5	أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل. . . .	مسلم	48
6	أعطيتُ خمسا لم يعطهن أحد قبلي	البخاري	220
7	اعملو ماشئتم فقد غفرت لكم	البخاري ومسلم	194
8	ألا إن القوة الرمي	مسلم	36
9	أما إنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أنا أرواحهم	الترمذي	49
10	إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا	البخاري	65
11	أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت	البخاري	128
12	أن لا يصلينّ أحد الظهر إلا في بني قريظة	مسلم	208
13	الآن نغزوهم ولا يغزوننا	البخاري	179
14	أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب	البخاري ومسلم	75
15	انصر أخاك ظالما أو مظلوما	البخاري	10
16	انفذ على رسلك التن تنزل بساحتهم ثم ادعهم . . .	البخاري ومسلم	214
17	إنما الأعمال بالنية أو بالنيات	البخاري ومسلم	63
18	إني أراكما قد دعوتما علي	البخاري ومسلم	148
19	الحج عرفات (الحج عرفة)	الترمذي والنسائي	37
20	خذ قبضة من التراب	القرطبي	158
21	خير الصحابة أربعة.	أبو داود و الترمذي	72
22	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم	البخاري ومسلم	179
23	دخل النبي المسجد وحوله ثلاثمائة وستون صنما	البخاري وابن حبان	195
24	رأيت يوم أحد عن يمين النبي	البخاري ومسلم	167
25	رباط يوم وليلة خير من صيام	مسلم	45
26	رباط يوم في سبيل الله خير	البخاري	45
27	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا	الترمذي	45
28	شاهت الوجوه	مسلم	199
29	صدق ذلك من مدد السماء الثالثة	مسلم	159
	جماعة وإياكم والفرقة	الترمذي	60

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

31	قاتلهم الله، أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما	البخاري	196
32	قدمت خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر . . .	السيوطي	33
33	قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور	البخاري	175
34	كان يوم الحديبية أربع عشرة مائة . . .	البخاري	184
35	كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق	البخاري	209
36	كنت مع النبي فرفعت رأسي . . .	البخاري	146
37	كيف يفلح قوم شجوا نبيهم	البخاري ومسلم	67
38	لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا	البخاري	70
39	لا تختلفوا فإن من كان قبلكم	البخاري	60
40	لا طاعة في معصية الله	البخاري ومسلم	130
41	لا يصلينّ أحدكم العصر إلا في بني قريظة	البخاري	208
42	لا ينبغي لنبي يلبس لأمته	البخاري والحاكم	163
43	لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم	أبو داود	48
44	لما التقينا نحن وأصحاب محمد	الطبري	202
45	لن نغلب اليوم من قلة	البخاري	76
46	اللهم منزل الكتاب سريع الحساب	البخاري ومسلم	175
47	اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب. . . .	البخاري ومسلم	51
48	ما ظنك يا أبا بكر بإثنين الله ثالثهما	البخاري ومسلم	146
49	ما كان فينا فارس يوم بدر غير مقداد	ابن حبان وابن حزيمة	153
50	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	مسلم	60
51	ما ينبغي لنبي إذا لبس	الدارمي	64
52	من بلغ بسهم في سبيل الله. . . .	أبو داود	38
53	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	مسلم	32
54	من سنّ سنة حسنة	ابن ماجه	9
55	من لم يشكر النارس	الترمذي	أ
56	من مات ولم يغز	مسلم وأحمد	32
57	هو أجل رسول الله أعلمه الله له	البخاري	192
58	ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد	البخاري وأبو داود	188
59	يا رسول الله إنا كنا في أرض فارس إذا تخوفنا . . .	الطبري	170
60	يا معشر الأنصار	البخاري ومسلم	58
61	يوشك الأمم أن تدعاعى عليكم كما تدعى	أبو داود	15
62	فإني آمرك ومن معك من أجناد بتقوى الله.	قول عمر بن الخطاب	28

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

" فهرس الأعلام والأسماء المترجمة "

الرقم	الإسم	المعروف بـ	الصفحة
1	أبو الحباب عبد الله بن أبي بن سلو المنافق	ابن سلول	64
2	أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير	ابن كثير	11
3	أبو بصير بن أسيد بن جارية	أبو بصير	187
4	أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي	أبو جندل	187
5	أبو سلمة بن عبد الرحمن	أبو سلمة	60
6	أبو عبد الله بن منبه اليماني صاحب الأخبار والقصص	وهب بن منبة	134
7	أبو عبيدة بن الجراح الفهري أمين هذه الأمة	أبو عبيدة	195
8	أبو محمد سلمان بن مهران مولى بني كاهل	الأعمش	189
9	أبو مرثد العنوي كناز بن الحصين	أبو مرثد العنوي	192
10	أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث	أوس بن خولي	184
11	إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي	إياس بن سلمة	200
12	بختنصر	بختنصر	21
13	بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة	بديل بن ورقاء الخزاعي	191
14	البراء بن عازب	البراء	77
15	تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام	ابن تيمية	28
16	ثوبان	ثوبان	14
17	جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان	جابر بن عبد الله	220
18	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام	جابر	173
19	الحارث بن عمير الأزدي هم اللهي	الحارث بن عمير الأزدي	216
20	حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة	حاطب بن أبي بلتعة	193
21	الحباب بن منذر بن جموح	الحباب بن منذر	160
22	الحسين بن مسعود بن محمد	البغوي	83
23	حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد	حكيم بن حزام	154
24	حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي	حمزة	66
25	خالد بن زهير	خالد بن زهير	9
26	خالد بن وليد بن المغيرة	سيف الله المسلول خالد	65
27	الزبير بن العوام بن خويلد	البير بن العوام	65
28	السدي	السدي	13
29	سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك	سراقة	146

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

30	سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق	سعبد بن أبي وقاص	28
31	سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب	سعد بن زيد الأسهلي	197
32	سعيد بن جبير الأسدي الفقيه المحدث المفسر	سعيد بن جرير	104
33	سعيد بن عبيد الزهري مولى ابن أزهر	الزهري	188
34	سعيد بن مسعدة	الأخفش	116
35	سعيد بن مسيب	سعبيد بن مسيب	60
36	سعيد بن ميناء أبو الوليد مولى البختري	سعيد بن ميناء	173
37	سلمان الفارسي أبو عبد الله	سلمان الفارسي	170
38	سماك بن خرشة وقيل بن أوس بن خرشة	أبو دجانة	66
39	سهيل بن عمرو بن عبد شمس	سهيل بن عمرو	181
40	شرحبيل بن عمرو بن غالب، من حمير: ملك يماني	شرحبيل	222
41	شمويل ويقال له أشمويل بن بالي	شمويل	125
42	صحر بن حرب	أبو سفيان	62
44	صفوان بن عمية	صفوان بن عمية	72
45	الضحاك بن مزاحم الهلالي	الضحاك	135
46	ضمضم بن عمرو الحنفي	ضمضم	151
47	طالوت بن قيش بن أفيل بن صارو	طالوت	123
48	طلحة بن أبي طلحة	طلحة بن أبي طلحة	65
49	طلحة بن عتبة الأنصاري الأوسي من بني ججبي	طلحة	67
50	عاتكة بنت خالد الخزاعية	أم معبد	148
51	عامر بن فهيرة التيمي مولى أبي بكر	عامر بن فهيرة	147
52	العباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد منان	العباس	162
53	عبد الرحمن بن آدم البصري المعروف بصاحب السقاية	إياس بن سلمة	200
54	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني	عبد الرحمن بن زيد	46
55	عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي	عبد الرحمن بن عوف	217
56	عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي	السعدي	30
57	عبد الكريم زيدان	عبد الكريم زيدان	23
58	عبد الله بن أبي ربيعة واسمه عمرو وقيل حذيفة ويلقب ذا الرمحين	عبد الله بن أبي ربيعة	66
59	عبد الله بن أريقط أو أريقد الليثي الديلى	عبد الله بن أريقط	147
	ن جبير بن النعمان الأنصاري أخو خوات بن	عبد الله بن جبير	64

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

	جبير	
61	عبد الله بن عامر اليحصبي	47
62	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	48
63	عبد الله بن عمر بن الخطاب	35
64	عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الانصاري	164
65	عبد الله بن مسعو د بن غافل	49
66	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	117
67	عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري	157
68	عبد الواحد بن أيمن والد القاسم مولى ابن أبي عمرو	174
69	عبيد الله بن أبي رافع واسمه أسلم مولى النبي	194
70	عتبة بن ربيعة بن عبد شمس	154
71	عسفان : منهل من مناهل الطريق	181
72	عكرمة بن أبي جهل	65
73	علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام	145
74	علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي	117
75	علي بن محمد بن إبراهيم	83
76	علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي	153
77	عمر بن الخطاب	15
78	عمرو بن العاص بن وائل	196
79	عمرو بن سالم بن حصين بن سالم بن كلثوم	191
80	عمرو بن لحي بن قمعة	196
81	عمرو بن هشام بن المغيرة المحزومي	151
82	عمير بن وهب بن خلف بن حزافة	154
83	عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر	178
84	قتادة بن دعمة السدوسي	99
85	كرز بن علقمة بن هلال بن جبير	144
86	مالك بن سنان	67
87	مالك بن عمرو بن عنيك بن عمرو بن مبذول	163
88	مالك بن عوف	72
89	مجاهد بن جبر أبو الحجاج	24
90	محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي	154
91	محمد بن رشيد بن علي رضا	21
	عمر أبو عبد الله الشهير بالواقدي الأسلمي	165

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

93	محمد بن عمر بن الحسن	الرازي	10
94	محمد بن كعب القرضي	كعب القرضي	116
95	محمد بن مسلم بن عبد الله	مسلم	34
96	محمد بن مسلم بن عبد الله	ابن شهاب الزهري	60
97	محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي	محمد بن مسلمة	204
98	محمد بن يعقوب	الفيروزآبادي	9
99	محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني	محمد عبده	53
100	محمد متولى الشعراوي	الشعراوي	22
101	محمود بن عبد الله الحسيني	الألوسي	13
102	محمود بن عمر بن محمد	الزمخشري	12
103	محمود بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي	محمود بن مسلمة	211
104	مصعب بن عمير بن هشام	مصعب بن عمير	65
105	معد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس	معد بن معاذ	207
106	المقداد بن أسود الكذري	المقداد	193
107	المنذر بن عمرو	المنذر	65
108	ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم	ناجية بن جندب	184
109	نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف	نعيم بن مسعود	175
110	هند بن عتبة بن ربيعة	هند	66
111	هند بنت أبي أمية واسمه خذيفة	أم سلمة	188
112	وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل	وحشي	66

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

القرآن الكريم

التفسير وعلوم القرآن

1- البحر المحيط" لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1422هـ ـ 2005م . حققه عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، د زكرنا عبد المجيد النوقي .

2- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 671هـ ـ مؤسسة مناهل العرفان بيروت ـ لبنان أو مكتبة الغزالي دمشق، الطبعة الثانية دون سنة الطبع . (الكتاب الأول)

3- "الجامع لأحكام القرآن " لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى : 671 هـ دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية 1423 هـ/ 2003 م . حققه هشام سمير البخاري .(الكتاب الثاني)

4- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزي المتوفى 538هـ طبعة جديدة حققها وخرّج أحاديثها وعلّق عليها على نسخة خطية عبد الرزاق المهدي ـ دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى 1417هـ بيروت لبنان .

5- المفسرون حياتهم ومنهجهم، تأليف السيد محمد علي أيازي ـ مؤسسة الطباعة: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ تهران. الطبعة الأولى 1373هـ).

6- النكت والعيون، المشهور بتفسير الماوردي لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، حققه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

7- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" تأليف الشيخ جابر بن موسى بن عبد القادي بن جابر أبو بكر الجزائري. مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة الخامسة 1424هـ ـ 2005م .

8- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ لمحمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية بيروت ـ دون سنة الطبع.

9- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى 774هـ ـ دار عالم الكتب (مؤسسة الكتب الثقافية) رياض ـ الطبعة الخامسة 1416هـ . (الكتاب الأول)

10- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي700- 774 هـ حققه سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية 1420هـ- 1999 . (الكتاب الثاني)

11- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن. دار الفكر بيروت لبنان 1979م /1399هـ.

12- تفسير السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ /2000 م . تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

13- تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولى شعراوي ـ دار أخبار اليوم ـ القاهرة سنة الطبعة:1991 م .

14- تفسير الفخر الرازي لمحمد بن عمر بن حسين الرازي ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ـ دون سنة

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

15- تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي الطبعة الأولى1411هـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت لبنان.

16- تفسير المنار للسيد محمد رشيد بن علي رضا المتوفى سنة 1354هـ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة 1990م .

17- جامع البيان في تأويل القرآن للشيخ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى310هـ. مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، 1420 هـ /2000 م المحقق : أحمد محمد شاكر.

18- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي فضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة 128هـ قرأه وصححه محمد حسين العرب ـ بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر بيروت 1417هـ .

الحديث وعلومه

19 - الجامع الصحيح المختصر للمحدث محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. دار إحياء التراث العربي (طبعة جديدة مصححة وملوّنة) بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422هـ (الكتاب الأول)

20- الجامع الصحيح المختصر للمحدث محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ـ دار ابن كثير اليمامة بيروت. الطبعة الثالثة 1407هـ حققه د.مصطفي ديب البغا. (الكتاب الثاني)

21- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ـ دار الجيل ـ بيروت دون سنة الطبع (ثمانية أجزاء في أربع مجلدات).

22- الجامع الصحيح سنن الترمذي للشيخ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت تحقيق أحمد محمد شاكر (دون سنة الطبع) .

23- "الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير" لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 2004.

24- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ـ دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى 1411هـ .

25- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ـ دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية 1392هـ) .

26- سنن أبي داود تأليف أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني وصححه الألباني . دار الكتاب العربي ـ بيروت، دون سنة الطبع.

27- سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ـ دار الكتب العربية بيروت الطبعة الأولى 1407هـ تحقيق فواز أحمد زملي.

28- سنن النسائي الكبرى للشيخ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1991م تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري.

29- سنن ابن ماجه تأليف محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني دارالسلام ـ الرياض الطبعة الأولى 1420هـ

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

30- صحيح ابن حزيمة لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت 1970م ، حققه د. محمد مصطفى الأعظمي .

31- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الثانية 1412هـ تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

32- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة بيروت 1379هـ .

33- مسند الإمام أحمد بن حنبل للشيخ أحمد بن حنبل ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1420هـ ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط.

السيرة والشمائل

34- "الرحيق المختوم" بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تأليف صفي الرحمن المباركفوري ـ دار السلام 1399هـ . .

35- السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد تحقيق طه عبد الرءوف سعد دار الجيل ـ بيروت 1411هـ .

36- السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، تأليف عليّ بن برهان الدين الحلبي دار المعرفة ـ بيروت 1400هـ .

37- المغازي للشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المتوفى سنة 207هـ . عالم الكتب بيروت ـ لبنان، حققه مارسدن جونس. دون سنة الطبع .**38-** السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، تأليف عليّ بن برهان الدين الحلبي دار المعرفة ـ بيروت 1400هـ .

38- صحيح السيرة النبوية تأليف إبراهيم العلي ـ دار النفائس ـ الأردن الطبعة الأولى: 1995م ـ 1415هـ .

39- فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ـ دار الفكر، دمشق ـ سورية، الطبعة الحادية عشرة 1991م.

التراجم

40- الأعلام لخير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة عشرة ـ دون سنة الطبع .

41- الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل ـ بيروت. الطبعة الأولى:1412هـ حققه على محمد البجاوي.

42- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، المشهور برجال صحيح البخاري. للشيخ أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن أبو نصر البخاري الكلاباذي المتوفى 398 هـ ـ دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى 1407هـ حققه عبد الله الليثي .

43- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،دار الرشيد ـ سوريا سنة 1986م حققه محمد عوامة.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

44- طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى 1396هـ.

45- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ الطبعة الأولى سنة 1997م تحقيق سليمان بن صالح الخزي.

46- 45- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ـ دار صادر بيروت 1900م . حققه إحسان عباس

القصص والتاريخ

46. البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت الطبعة الثالثة 1980 م . (الكتاب الثاني)

47. البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ـ دار الديان للتراث القاهرة الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م . (الكتاب الأول).

48. تاريخ الأمم والملك لأبي جعفرمحمد بن جرير الطبري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ .

49. "قصص الأنبياء" تأليف المرحوم عبد الوهاب النجار. دار ابن كثير دمشق ـ بيروت الطبعة الثالثة 1417هـ / 1996م .

50. قصص الأنبياء للإمام الحافظ ابن كثير ، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز . الطبعة الأولى 1417 هـ . مكة المكرمة ـ الرياض.

اللغة والمعاجم

51- العقد الفريد ، تأليف أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ـ دار الكتب العربي بيروت الطبعة الثالثة 1965م / 1343هـ .

52- المعجم الوسيط ألفه إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار دار الدعوة، دون سنة الطبع.

53- القاموس المحيط ألفه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دون سنة الطبع

54- "المنجد" في اللغة والأعلام ـ دار المشرق بيروت طبعة جديدة منقحة الطبعة الأربعون سنة 2003م

55- لسان العرب لابن منظور الأفريقي المصري ـ دار صاد بيروت الطبعة الأولى سنة1410هـ .

كتب أخرى

56- - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية" تأليف عبد الكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة 1414هـ .

57- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمعه ورتبه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي رحمه الله وساعده ابنه محمد – دون اسم المطبعة وسنة الطباعة، طَبع بالرياض تحت إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

" فهارس الموضوعات "

الموضوع	الصفحة
كلمة الشكر والتقدير	أ
المقدمة	
التعريق بالموضوع	2
أسباب اختياري له	2
أهمية دراسة الموضوع	3
مشكلة البحث	3
الدراسة السابقة في الموضوع	4
منهجي في البحث	4
خطة البحث	5
تمهيد	
التعريف بسنة الله	9
التعريف بالنصر	10
وعد الله بالنصر	11
حال المسلمين الآن	14
عوامل النصر (أسباب تحقيق النصر)	
تمهيد	18
من عوامل النصر "الإيمان"	19
وضع الأنبياء السابقين والمسلمين اليوم لا ينقض سنة الله في نصر المؤمنين	20
الإيمان وعوامل النصر المادية	21
للقوة المادية تأثيرها في نفوس البشر	25
من عوامل النصر "تقوى الله"	27
من عوامل النصر "نصرة الدين"	29
أهمية أو دور الجماعة المسلمة في نصرة دين الإسلام	31
من عوامل النصر "الجهاد وإعدا القوة"	33
أ. الجهاد	33
ب. إعداد القوة	36
ـ معنى القوة ومستلزماتها	36
ـ يجب أن يكون للمسلمين عدة وعتاد لإرهاب العدوّ	39

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

من عوامل النصر "الصبر والمصابرة والمرابطة"	43
ما يعين على الصبر ومصابرة الأعداء:	45
ـ أن العاقبة والنصر للمؤمنين	45
ـ الدور الذي كلّفنا الله به في أمره	46
ـ الرغبة في تحقيق الثواب الذي أعده الله للمجاهدين	47
من عوامل النصر "ذكر الله"	50
من عوامل النصر "الأخذ بالحذر"	53
من عوامل النصر "تأليف القلوب"	57
معوّقات النصر (أسباب تأخير النصر)	
من معوّقات النصر "التنازع والاختلاف"	59
من معوّقات النصر "البطر والرياء "	62
من الأمثلة في هذا المجال	
تغيّر النصر في أحد	64
ـ نبذة يسيرة عن غزوة أحد	64
ـ سبب تغيّر النصر في غزوة أحد	67
أ. عدم الصبر والتقوى في المغانم	69
ب. التنازع والاختلاف والعصيان	69
التفرّق أول الأمر في حنين	71
ـ نبذة يسيرة عن غزوة حنين	71
ـ التفرق أول الأمر في حنين	73
أ. الإعجاب والغرور بكثرة العدد	74
ب. عدم الصبر عند رؤية المغانم وعدم الثبات أمام العدوّ	75
" نصر الله ـ عزّ وجلّ ـ أنبياءه "	
تمهيد	78
نصر الله نوحا ـ عليه السلام ـ	79
ـ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة	79
ـ حديث القرآن عن هذه القصة	79
ـ كيف تدخلت قوة الله سبحانه لنصرة نبيه نوح ـ عليه السلام ...؟	81
نصر الله هودا ـ عليه السلام ـ	86
ـ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة	86
ـ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة	86

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ـ كيف تدخلت قوة اللّه سبحانه لنصرة نبيه هود ـ عليه السلام ...؟	89
نصر اللّه صالحا ـ عليه السلام ـ	94
ـ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة	94
ـ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة	94
ـ كيف تدخلت قوة اللّه سبحانه لنصرة نبيه صالح ـ عليه السلام ...؟	96
نصر اللّه لوطا ـ عليه السلام ـ	102
ـ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة	102
ـ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة	102
ـ كيف تدخلت قوة اللّه سبحانه لنصرة نبيه لوط ـ عليه السلام ...؟	105
نصر اللّه موسى ـ عليه السلام ـ	111
ـ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة	111
ـ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة	111
ـ كيف تدخلت قوة اللّه سبحانه لنصرة نبيه موسى ـ عليه السلام ...؟	112
نصر اللّه داود ـ عليه السلام ـ	122
ـ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في العبادة	122
ـ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة	122
ـ كيف تدخلت قوة اللّه سبحانه لنصرة نبيه داود ـ عليه السلام ...؟	124
نصر اللّه عيسى ـ عليه السلام ـ	130
ـ نبذة عن جهده ـ عليه السلام ـ في تبليغ الرسالة	130
ـ حديث القرآن الكريم عن هذه القصة	130
ـ كيف تدخلت قوة اللّه سبحانه لنصرة نبيه عيسى ـ عليه السلام ...؟	133
أمثلة لنصر اللّه رسوله والمؤمنين	
تمهيد	138
النصر على المشركين	
في الهجرة إلى المدينة	139
ـ نبذة يسيرة عن هجرة النبي ρ إلى المدينة	139
ـ حديث القرآن الكريم عن هذه الهجرة	139
ـ نصر اللّه سبحانه نبيه محمدا خلال عملية الهجرة	141
1. نجاته ρ من المتربصين الذين حاصروا منزله	142
2. نصره سبحانه إذ هما في الغار	143
أ ـ نسيج العنكبوت وعشّ الحمامة على باب الغار	144

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ب. تعمية أبصار المشركين عن إبصر الرسولρ وأبي بكر في الغار	145
3. ماحدث لسراقة وفرسه وهو يلحق برسول الله ρ	145
4. معجزة في خيمة أم معبد الخزاعية	147
في غزوة بدر	150
ـ نبذة يسيرة عن غزوة بدر	150
ـ حديث القرآن الكريم عن غزوة بدر	150
ـ نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة بدر	151
1. نزول المطر وغشيان النعاس	151
2. الانشقاق في صفوف المشركين حين وصولهم بدر	153
3. تقليل المشركين في نظر المسلمين وتقليل المسلمين في نظر المشركين	155
4. إلقاء الرعب في قلوب الكفار ونزول ألف من الملائكة مردفين	156
5. المعجزة في رمي المشركين بالحصباء	158
في غزوة أحد	160
ـ نبذة يسيرة عن غزوة أحد	160
ـ حديث القرآن عن غزوة أحد	160
ـ نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة أحد	160
1. رسالة عاجلة التي بعثها العبّاس إلى المدينة	161
2. حماسة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ للجها في هذه الغزوة	162
3. تمييز المسلمين عن المنافقين	163
4. نزول الملائكة في هذه الغزوة	164
في غزوة الخندق أو الأحزاب	169
ـ نبذة يسيرة عن غزوة الخندق أو الأحزاب	169
ـ حديث القرآن عن غزوة الخندق أو الأحزاب	170
ـ نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة الخندق	171
1. التوفيق إلى فكرة حفر الخندق حول المناطق المكشوفة	171
2. تكثير طُعيم جابر ـ رضي الله عنه ـ	172
3. تسخير الله سبحانه نعيم بن مسعود ليخذل الأحزاب	174
4. العاصفة أو الريح التي كانت ناقمة على المشركين	176
في اتفاق الحديبية	180
ـ نبذة يسيرة عن اتفاق الحديبية	180
ـ حديث القرآن عن اتفاق الحديبية	181

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ـ نصر الله سبحانه في اتفاق الحديبية	182
1. تكثير ماء الحديبية	182
2. بنود المعاهدة وما وراءها من الحكم والنصر	184
في غزوة فتح مكة	190
ـ نبذة يسيرة عن غزوة فتح مكة	190
ـ حديث القرآن الكريم عن غزوة فتح مكة	190
ـ نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة فتح مكة	192
1. إعلام الله رسولهρ بما صنع حاطب بن أبي بلتعة	192
2. دخول المسلمين مكة عنوة وغلبة بغير قتال	193
3. تحطيم الأوثان، وتطهير المسجد الحرام من رموز الشرك	194
في واقة يوم حنين	198
ـ نبذة يسيرة عن واقعة يوم حنين	198
ـ حديث القرآن الكريم عن واقعة يوم حنين	198
ـ نصر الله سبحانه وتعالى في واقعة يزم حنين	198
1. معجزة الرسولρ في رمي المشركين بقبضة من التراب	199
2. سكينة النفس للمؤمنين، ونزول الملائكة في المعركة	200
النصر على غير المشركين	
النصر على يهود بني النضير وبني قريظة	203
ـ النصر على اليهود بني النضير	203
أ. نبذة يسيرة عن غزوة بني النضير	203
ب. حديث القرآن الكريم عن غزوة بني النضير	203
ج. نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة بني النضير	204
ـ النصر على اليهود بني قريظة	207
أ. نبذة يسيرة عن غزوة بني قريظة	207
ب. حديث القرآن الكريم عن غزوة بني قريظة	207
ج. نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة بني قريظة	208
في غزوة خيبر	210
ـ نبذة يسيرة عن غزوة خيبر	210
ـ حديث القرآن الكريم عن غزوة خيبر	211
ـ نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة خيبر	212
1 المعجزة في معالجة عيني علي ـ رضي الله عنه ـ	213

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

2. سقوط حصن الصعب بن معاذ ساعة جهد فيها المسلمون ولم يكن بأيديهم شيء	213
في غزوة تبوك	215
ـ نبذة يسيرة عن غزوة تبوك	215
ـ حديث القرآن الكريم عن غزوة تبوك	516
ـ نصر الله سبحانه وتعالى في غزوة تبوك	218
الخاتمة	
نتائج البحث	221
فهارس الآيات القرآنية	223
فهارس الآحاديث والآثار	235
فهارس الأعلام والأسماء المترجمة	237
قائمة المصادر والمراجع	240
فهارس الموضوعت	245

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional